الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MAG 390-94/03
معهد الثقافة الشعبية
رقم جرد 689
تاريخ الوصول
رقم الترتيب

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

عنوان الرسالة

ثقافة البحارة الصيادين في الغرب الجزائري

دراسة أنثروبولوجية

رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا

من إعداد الطالب:

طهير أحمد

تحت إشراف الأستاذين:

المشرف الأول: الأستاذ الدكتور شايف عكاشة

المشرف الثاني: الدكتور رمضان محمد

لجنة المناقشة

الدكتور سعيدي محمد	رئيسا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
الأستاذ الدكتور شايف عكاشة	مشرفا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
الدكتور رمضان محمد	مشرفا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
الدكتور بشير محمد	مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
الدكتور مولاي الحاج مراد	مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة وهران
الدكتور مجاود محمد	مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة سيدي بلعباس
الدكتور بورحلة علال	مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية 2005 – 2006

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى روح والدتي الصّاهرة التي غمرني حبها في عزّ الوجود ولم ينسني فراقها دار الخلود.

إلى الوالد الكريم حفظه الله.

إلى زوجتي العزيزة خليدة وابنتيّ الغاليتن يمينة وإيمان

إلى كلّ من عــلّمني شيئاً كنت أجهله.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الرسالة عربون تقدير ووفاء وإخلاص.

كلمة شكر وعرفان

لا يسعني، وأنا أضع هذه الرسالة بين أيدي أساتذتي الكرام لتقييمها وتقويمها، إلاّ التقدم بعاطر الشكر لأستاذي الدكتور شايف عكاشة على ما أولاني من نعم المعرفة وفضل الإشراف.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور رمضان محمد المشرف الثاني الذي شجّعني في عملي ثم طالع الرسالة وزودنّي بملاحظاته القيّمة والدقيقة .

ولا تفوتني الفرصة كذلك أن أرفع شكري الجزيل لكل البحارة الصيادين بميناء الغزوات على ما بذلوه معي من جهد في جمع المادة.

المقدمة

يعد موضوع الصيد البحري موضوعاً بكراً في الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر بحيث ظلت الفئة المهنية للبحارة الصيادين جدّ مهمشة وغائبة عن هذه الدراسات العلمية نظرا لخصوصية الفضاء المهني والاجتماعي للبحارة الصيادين. فالبحارة الصيادون فئة مهنية ذات خصوصية أنثروبولوجية فرضت نفسها علينا من أجل الاقتراب منها ومحاولة إظهار مميزاتها الثقافية ودراسة تلك الظواهر الاجتماعية المرافقة لممارسة مهنة لا تكاد تشبه تلك المهن الممارسة فوق فضاء الأرض.

لا تنطبق هذه الوضعية على الواقع الجزائري فقط، وإنما هي ظاهرة عالمية حيث توجد القليل من الدراسات التي اهتمت بهذه المهنة، و تناولت الآثار النفسية التي تخلفها ممارسة مهنة الصيد البحري على البحارة الصيادين. فطبيعة العمل البحري انعكست على سلوكات ومواقف البحارة الصيادين و جعلتهم يشكلون فئة مهنية تعاني من التهميش والانغلاق عن النفس. فهذه المواصفات جعلتهم يقيمون سياج اجتماعي بينهم وبين أولئك العمال الذين يعملون بالقطاعات الأخرى.

كما أن الظروف التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري عملت على تطوير بعض الأنشطة المهنية التي تخدم المصلحة الاقتصادية للمعمرين، ومن بينها نشاط الصيد البحري الذي عرف انتشارًا على السواحل الجزائرية منذ السنوات الأولى للاستعمار. فهذا الواقع، عمل على وراثة مهنة الصيد وتداولها من جيل إلى جيل لتصبح إرث مهني وثقافي ورث عن المعمرين الذين طوروا هذا النوع من النشاط.

فالأهمية العلمية لدراسة هذا النوع من النشاط تكمن في التواصل الثقافي لممارسة مهنة الصيد البحري. إن الباحث الذي عاين مجتمع البحارة

الصيادين، قد يلاحظ تلك المخلفات الثقافية في هذا القطاع والتي تتلخص في أساليب تنظيم العمل ولغة التواصل وممارسة مهنة الصيد، وتسمية أدوات العمل ونوعية الأسماك... الخ.

وانطلاقاً من النتائج التي انتهينا إليها في بحثنا – لنيل درجة الماجستير – حول التعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيادين في مدينة الغزوات، ارتأينا القيام بدراسة أنثروبولوجية نتناول فيها ثقافة البحارة الصيادين في الغرب الجزائري الذي يتوفر على إمكانات هامة للصيد البحري حيث تقع أهم موانئ الصيد نظراً لاتساع الرصيف القاري في هذا الجزء من السواحل الجزائرية .

ولمعالجة هذا الموضوع ارتأينا التطرق إليه في أربع محاور شكلت العناصر الكبرى لموضوعنا هي:

المحور الأول: الأهمية العلمية لموضوع البحث حيث تتجلى في الأسس المنهجية إذ تمّ تحديد مشكلة البحث من خلال طرح المشكلة وأسباب اختيار الموضوع وأهدافه مروراً بالدراسات السابقة مع ذكر مصطلحات الدراسة ، ثمّ أبرزنا الإجراءات المنهجية بدءاً بمجتمع البحث و خطوات الدراسة ثم التعرض لفرضية البحث ومنهجه وتقنياته حيث تتجلى في الملاحظة والمقابلة والاستمارة والبيوغرافيا، ثم تناولنا المكانة الحضارية للصيد البحري من خلال تحديد البعد التنموي للصيد البحري ثم تحليل وضعية قطاع الصيد البحري والموارد الصيدية في الجزائر انتهاءاً بالتعرض للمسار التاريخي لممارسة مهنة الصيد البحري بميناء الغزوات باعتباره فضاءاً لدراستنا.

المحور الثاني: ويتناول السمات الثقافية والاجتماعية للبحارة الصيادين لأننا أمام فئة مهنية معينة تعاني نوعا من التهميش المرتبط بطبيعة العمل البحري

بالإضافة إلى أنه قطاع موروث عن المعمرين الإسبانيين خاصة من خـــلال وراثـــة علاقات إنتاج فأدى هذا الوضع إلى ظهور ورسوخ خصائص ثقافيـــة يمتـــاز بـــها البحارة الصيادون.

المحور الثالث: الـــتأثيرات الثقافية وعلاقاتها بلغة وممارسة الصيد البحـــوي بالمنطقة المدروسة بحيث نتناول الإطار المعرفي واللغوي لحرفة الصيـــد البحـــري أولاً و البعد الدلالي للتعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيادين ثانياً.

المحور الرابع: يتناول تسيير الموارد البشرية بقطاع الصيد البحري لأنـــها تعد من أهم العراقيل التي تواجه تطور وتحسين الأوضـــاع الاجتماعيـــة والمهنيـــة للبحارة الصيادين إذ تتمثل هذه المميزات في نقص الـــتكوين والتسريح التعـــــسفي والترقية المبنية على العلاقات الشخصية وتذبذب الدخل لدى البحار الصياد مع ســوء المعاملة من قبل المجهزين و الوسطاء،وأخيرًا معاناة التهميش وحماية اجتماعيـــة شبه منعدمة و غياب العمل النقابي مما جعل البحار الصيـــاد يمـــارس مهنتـــه فـــي ظروف جدّ قاسية.

الفصل الأول

الأهمية العلمية لموضوع البحث

أولاً: الأسس المنهجية

أ- تحديد مشكلة البحث

1-أسباب اختيار الموضوع:

يمكن حصر أسباب اختيار هذا الموضوع في التالي :

تكمن الأسباب الذاتية في أن تجربتنا البيوغرافية (الذاتية) سمحت لنا أن نعيش في وسط جغرافي حيث تعد مهنة الصيد البحري المورد الأساسي لأغلب سكان المنطقة وأكثر من ذلك هو انتمائنا إلى عائلة من البحارة الصيادين.

أمّا الموضوعية فترتبط بتاريخ ممارسة هذه المهنة حيث تعتبر إرث مهني وثقافي ورث عن المعمرين أثناء التواجد الاستعماري بالجزائر.

2-طرح مشكلة البحث :

إن الخاصية الاجتماعية لفئة السكان بمدينة الغزوات خلال سنوات الاستعمار جعلت من قطاع الصيد البحري مركز التقاء عدة ثقافات حيث نجد الفرنسيين والأسبانيين والإيطاليين، كلهم مارسوا الصيد البحري أو كانت لديهم علاقات بهذا النشاط الاقتصادي حتى سنوات الاستقلال.

يعتبر الأسبان أكبر فئة اجتماعية عملت على تسيير قوارب الصيد وممارسة هذه المهنة بميناء الغزوات، فالتأثير الأسباني في هذا الميدان لم يتوقف على الجانب الاقتصادي بل تعداه ليشمل الجانب الثقافي أيضاً.

عملت هذه المهنة على غرس مفاهيم لغوية لدى البحارة الصيادين، فاستعمال هذه المفاهيم الأساسية تخفي من ورائها نوع من الرواسب الثقافية لدى البحارة

الصيادين حيث يشعرون بنوع من الانتماء الثقافي إلى الأسبانيين، فيتعاملون بتقـــاليد أسبانية أثناء ممارسة مهنتهم التي ورثوها عن الأجداد والآباء الذين عملوا كبحـــارة مع هؤلاء المعمرين، فنجد ضمن فئة البحارة الصيادين عائلات تداولت مهنة الصيـد البحري عبر أربعة أجيال، وعليه فحرفة الأب تؤثر على الابن مباشرة في الاختيار المهني وهذا ما يؤكـــده Hughes بأن مهنة الآباء لها نـــوع من التأثيـــر على مهنـــة الأولاد[1].

إن التأثير الأسباني على البحارة الصيادين مازال قائمـــاً، فبالإضافـــة إلـــى الارتباط الثقافي هناك ارتباط تجاري مادام أن معظم أدوات العمل تستورد من هـــذا البلد وخاصة أثناء تجديد أسطول الصيد البحري.

بما أننا بصدد البحث الأنثروبولوجي فالواقع الثقافي للبحارة الصيادين أدى بنا إلى الوقوف على طبيعة وحقيقة التأثيرات المهنية الثقافية الموروثة عن الأســـبانيين ودراسة هذه التأثيرات من خلال الكشف عن سلوك البحارة الصيادين وممارســـتهم لنشاط الصيد البحري وعن الميكانيزمات الموروثة عن الأسبان في تسيير المـــوارد البشرية من توظيف وتكوين وتوزيع الدخل ومحاولة معرفة مواقفهم نحـــو مهنتـــهم ومحيطهم الاجتماعي.

ويمكن طرح التساؤلين التاليين:

-بما أن هناك سمات اجتماعية وثقافية متداولة بين البحارة الصيادين فمـــا تأثيرها على ممارسة مهنة الصيد البحري؟

-ولما كانت فئة البحارة الصيادين تمتاز بخصائص مهنية، فما هـــي طبيعـــة وخصوصية تنظيم العمل وتسيير هذه الفئة المهنية ؟

---

(1) HUGHES , E , Men and Their Work , Glencoe , Llinois , The Free Press , 1958, p 48.

3- أهداف البحث :

يدخل هذا البحث في إطار الأنثروبولوجيا الثقافية وذلك عن طريق دراسة الحياة اليومية للبحارة الصيادين، ونهدف من وراء هذه المقاربة الأنثروبولوجية إلى الوقوف عند الخصائص الاجتماعية والثقافية لفئة مهنية تعاني نوع من التهميش. نظرا لطبيعة وخصوصية العمل في ميدان الصيد البحري، فالهدف الأساسي لهذه الدراسة هو محاولة الإطلاع على الأساليب المطبقة في تنظيم العمل البحري وتسيير الموارد البشرية. كما نهدف إلى إظهار التأثيرات الثقافية في ممارسة مهنة الصيد وهذا عن طريق دراسة التعابير الشفوية المتداولة بين البحارة ولغة الاتصال أثناء ممارسة العمل البحري.

إن طبيعة العمل البحري جعلت من هؤلاء البحارة الصيادين ينفردون بمميزات ثقافية تجعلهم يتصفون بنوع من التمثلات لعملهم البحري وللوضع الاجتماعي والمحيط الذي يعايشونه والتي تختلف عن تلك التمثلات التي تتصف بها الفئات المهنية الأخرى والتي تعمل في فضاء مختلف.

4- الدراسات السابقة:

رغم أهمية موضوع الصيد البحري في الدراسات الأنثروبولوجية إلا انه لم يحض بالبحث المعمق ، والواقع أن هناك عملا دؤوبًا ينتظر الباحثين في الجزائر الذين تقع عليهم مسؤولية إعادة تأصيل علم الأنثروبولوجيا بما يتوافق مع الثقافة الجزائرية، والعمل على وضع أسس منهجية ومقاييس علمية ثابتة وصادقة مع النهوض بالبحث التفصيلي حول ثقافة البحارة الصيادين. وبالإضافة إلى أطروحتنا في الماجستير، فقد وقع اختيارنا على دراستين أنثروبولوجيتين تناولتا البحث في

موضوع البحارة الصيادين في منطقتين ساحلتين مختلفتين وذلك من خلال التربصات العلمية التي قمنا بها بمساعدة جامعة تلمسان إلى فرنسا منها:

الدراسة الأولى:

تحليل عمل البحارة الصيادين بمنطقة بروتانيا La Bretagne الفرنسية قام بها. J.Maline و P.Dorval.[1].

يمثل الصيد البحري نوعية مميزة بالنسبة للفروع الأخرى من النشاطات ويتمثل هذا التمييز في كون هذا النشاط يتميز بثلاثة أشكال من الضغوط والقيود:

أ. **الضغط الزمني: Contraintes Temporelles** يؤدي هذا الضغط بالطاقم البحري للإبحار على متن قارب صيد لفترات زمنية متقلبة قابلة للتغيير.

ب. **الضغط المحيطي Contraintes Environnementales** ويتمثل في الضوضاء والأحوال الجوية المتقلبة.

ج. **الضغط المكاني أو الحيزي :Contraintes spatiales** يعد قارب الصيد فضاء أو نطاق صغير تنحصر فيه مجموعة عمالية ملزم عليها العيش في هذا النطاق المغلق والمتصل بالعالم الخارجي إلا عن طريق أجهزة الاتصال (الراديو VHF).

تفرز ظروف القيام بنشاط الصيد البحري أساساً ثلاثة خصائص:

فالأولى تتمثل في محيط العمل غير المضمون والمشكوك فيه، والثانية في حضور جماعة من الأفراد في العمل أي الطاقم، والثالثة في المكان أو النطاق الذي يجري فيه العمل.

---

(1) باحثان من جامعة بروتانيا الغربية قدما دراستهما عام 1991 تحت عنوان: تحليل عمل البحارة الصيادين من خلال أفراد طاقم.

1. محيط عمل غير مضمون ومشكوك فيه:

زيادة على التقلبات المناخية المرتبطة بمحيط العمل الذي يعمل فيه البحار الصياد فهو يظهر في شكلين بالنسبة له:

أ- تقلب اقتصادي ومالي:

إن أجر البحار الصياد لا يتوقف على فترة العمل بل على سوق السمك والتحولات التي يعرفها عن طريق خاصيتي العرض والطلب.

ومن خلال هاتين الخاصيتين الأساسيتين يبرز لنا المتغيران التاليان: "القيمة" و"الكمية"، ولتعويض تراجع أسعار الأول يتصرف البحار في الثانية التي ليس له تحكم فيها وبالتالي يتطلب منه الأمر الزيادة في ساعات العمل إن لم نقل عدد الأيام.

ب- التقلب الزمني في العمل:

مهما كان مكان الصيد فالرقم العادي لسيرورة العمل يمكن أن يعرقل، وذلك من خلال حادث أو مرض من الرئيس قصد تغيير مكان الصيد، هنا البحار يزيد من أوقات العمل ويبقى في انتظار كلّ أمر، سواء أ كان نائماً أو يتناول غذاءه، فهذا التقلب مرتبط بالفترة التي تستغرقها سيرورة العمل.

ج- تقلب مرتبط بكمية الصيد خلال كل عملية رمي الشبّاك:

لا يمكن للبحار الصياد التنبؤ بالكمية المصطادة ولهذا فلا يمكن له أن يعرف مدى فترة عمله.

د- تقلب مرتبط بحدوث حوادث العمل:

يتطلب الحذر والحيطة أثناء تأدية العمل البحري نظراً لخطورة حوادث هذا العمل لذا يسعى البحارة الصيادون بغية تفادي ذلك كلية.

2. حضور مجموعة أفراد في العمل:

إن حضور مجموع هذه التقلبات وخاصة الزمنية منها تخول لمهنة البحار أقصى درجة من الاندماج والتداخل بين الحياة في العمل والحياة خارج العمل، فيعمل البحارة جاهدين لإتقان عملهم وقيام كل واحد منهم بالمهمة المخولة إليه تحت تنسيق جماعي تام قصد تحقيق هدف مشترك.

3. خصائص مكان أو نطاق العمل:

إن ضيق مساحة العمل على ظهر السفينة تشكل نوعاً من الازدحام في تأدية المهام، فمن الصعب على البحارة الصيادين أن يقوموا بإنجاز العمل على ظهر سفينة طولها 20 متراً وعرضها 4 أمتار ونطاق عمل مساحتها 12 متر مربع. فالبقاء على ظهر السفينة هو الأهم بالنسبة للبحار أثناء تأديته لمهامه وتفادي السقوط في البحر.

لقد سمحت لنا هذه الدراسة الخروج ببعض المواصفات الاجتماعية والثقافية لهذه الفئة المهنية والتي يمكن أن تعمم على من يمارس مهنة الصيد البحري. فطبيعة العمل وظروف ممارسة الصيد البحري لها كلّ القوة على أن تؤثر على سلوك ومواقف البحارة الصيادين وتجعلهم يعيشون نوع من التهميش والتقوقع في فضاء خاص بهم. كما أن للعمل البحري بعض الخصوصية في وتيرة العمل تجعل من البحارة الصيادين ينفردون بحياة خاصة لا يشاركونهم فيها أولئك الذين يعملون فوق الأرض.

ومن جهة أخرى تبرز الدراسة أن البحارة الصيادين يمتازون بنوع من الحياة البدائية نظراً لحدودية مشاركتهم مع أفراد المجتمع، فأوقات الفراغ يقضونها في الميناء نظراً للارتباط بالمهنة التي لا يستطيعون مفارقتها ويتصفون بشخصيات تمتاز بالانطواء والانغلاق عن النفس، فوصفوا بأنهم محافظين، تقليديين يعانون

من الروتيـــن واللامبالاة حيث يصرفون أموالـــهم بـــدون عقلانيـــة فـــي الإنفاق.

كما أثبتت هذه الدراسة أن البحارة الصيادين لا يعملون عمـــلاً آخـــر خـــلال العواصف وهيجان البحر حيث يفضلون البقاء بدون دخل ويستلفون الأمـــوال مـــن ذويهم وأقاربهم ولا ينتقلون إلى الفضاء الأرضي.

إن الخاصية العامة لهذه الفئة المهنية تتمثل في تدنـــي المســـتوى الدراســـي وارتفاع نسبة الشباب الذين تركوا مقاعد الدراسة في أطوارها الأولى وذلك يعـــود للطلب المتزايد عن اليد العاملة بسبب الاستثمار في الصيد البحري.

فهناك نوع من السخط وعدم الرضى عن العمل البحـــري نظـــراً لصعوبـــة ظروف العمل، فقد لا تجد عائلة من البحارة لم تفقد فرداً من أفرادها، ولكن ورغـــم قـــساوة الظروف هناك نوعاً من الارتباط بين البحارة الصيادين والمهنـــة وذلـــك يعود إلى البساطة في علاقات العمل واكتساب خصوصيـــة مهنـــة وثقافـــة الصيـــد البحري.

<u>الدراسة الثانية:</u>

دراسة أنثروبولوجية حول رجال البحر في أحد موانئ فرنسا المتوســـطية هوميناء صات Sète للباحث جان رونكو[1]، وقد تألفت هـــذه الدراســـة مـــن أربعة فصول:

(1) هو أستاذ محاضر بجامعة مونبلييه، من مواليد 1953 له أبحاث في السلوك والهوية لعدة جماعات مهنية في فضاءات مختلفة منها مجتمع البحارة له دراسة حول البحارة الصيادين في العالم الثالث.

الفصل الأول: الإطار التاريخي لمدينة صات من خلال الميناء باعتباره فضاء ثقافي للبحارة عبر قرون عديدة.

الفصل الثاني: تناول فيه الباحث النشاط اليومي للبحارة في ميناء صات سواءً أتعلق الأمر بالبحارة الصيادين أم ببحارة التبادل التجاري، مع الأخذ بعين الاعتبار تخصصات البحارة وخاصة أن الميناء هو أحد الموانئ الفرنسية الكبرى المشتركة بين الصيد البحري والنشاط التجاري. توقفت الدراسة هنا وبمنظور مقارن بين البحارة الفرنسيين والأجانب وخاصة أولئك هاجروا من العالم الثالث.

الفصل الثالث: يدور أساسًا حول أنماط السلوك عند البحارة وتحليل المميزات المهنية لدى البحارة الصيادين وأساليب التسيير ثم الاعتقادات والبحر عندهم وماهية دور النساء في مجتمع البحارة عامة والصيادين خاصةً.

الفصل الرابع: دور ميناء صات في التنمية فهو يمثل الهوية الوطنية بالاعتماد على وسائل الإعلام المعاصرة انطلاقا من الحركات الجمعوية في المدينة وخصوصية شخصية البحار في صات مقارنة مع الفئات الشعبية الأخرى.

انتهى الباحث إلى أن ميناء صات هو فضاء مشترك لحِرف البحارة من جميع الأصناف والتخصصات التقنية،وهذا يعود أساسا إلى تكوين المجتمع في المدينة باعتبارها من المدن الفرنسية الساحلية المتوسطية بل تربعت على المرتبة الأولى في إنتاج الصيد البحري خلال فترة طويلة (سنوات السبعينيات والثمانينيات).

إن استعمال العتاد الحديث والتقنيات الجديدة في حرفة الصيد البحري ما بعد 1962 أدى إلى تطور العقليات والسلوكات عند هؤلاء البحارة الصيادين منها مشاركة النساء في العمل البحري كخياطة الشباك مثلاً.

صات هو أول ميناء فرنسي على واجهة البحر الأبيض المتوسط وخاصة بعد وصول سفن الرعايا الفرنسيين من إفريقيا الشمالية وخاصة الجزائر (1962) بحيث تسبب تحديث أدوات الصيد البحري في جعل هذا الميناء ينال المرتبة الأولى في إنتاج السردين.

لقد كان لظاهرة انفتاح السكان على العالم الخارجي أثر إيجابي كبير تمثل في اكتساب عادات احتفالية أخرى لم تكن موجودة من ذي قبل.

يمثل مجتمع البحارة الصيادين في ميناء صات وحدة تماسك فقد بلغ تعدادهم عام 1988 (1157 بحار صياد منهم 709 بحار صياد له اهتمام بتربية الأسماك).

<u>الدراسة الثالثة:</u>

رسالتنا في الماجستير والموسومة: التعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيادين –صيادو الغزوات نموذجا–

لقد اخترنا البحث في العلاقة الاجتماعية الثقافية الموجودة بين أشكال التعبير وفئات المجتمع، وعلى هذا الأساس حددنا التعابير الشفوية عند البحارة الصيادين كمنطلق معرفي ومنهجي من أجل البحث في رؤية وفلسفة التفكير الشعبي إزاء الصيد البحري.

إن الإرث الثقافي الذي ورثته هذه الفئة المهنية يعدّ موضوع دراسي[1] خصب فرض نفسه علينا كباحثين في الأدب الشعبي والأنثروبولوجيا إلى حدّ ما، مما دفعنا إلى الاقتراب من الواقع الثقافي واللغوي فوجدنا تعابير شفوية تتداول بينهم وهي ذات صلة وثيقة بواقعهم المهني والاجتماعي .

وقد اشتملت الدراسة على بابين، يحتوي كل باب على ثلاثة فصول، وانتهت إلى نتائج تلخصت في التالي:

تكمن الأهمية الاستراتيجية للموقع الجغرافي الذي تميزت به منطقة الغزوات في كونها منفذا بحريا استغلته جميع الأجناس البشرية التي توالت عليها عبر المراحل التاريخية حتى أصبحت مدينة المعمرين الأوربيين الذي مارسوا فيها نشاطات مهنية مختلفة بل جعلت المدينة مركزا لانتشار حرفة الصيد البحري .

إن الحديث عن الصيد البحري كفضاء اجتماعي ثقافي اقتصادي يتعدى الطرح المادي و الرسمي ،فالصيد البحري حرفة لها خصوصية والبحارة الصيادون حرفيون يختلفون عن باقي الفئات المهنية الأخرى.

لقد جمعت الذاكرة الشعبية لدى البحارة الصيادين تعابير شفوية ذات دلالات اجتماعية رمزية تكشف صورة البحر الذي ارتبط بحياة الإحسار الصياد، بعقيدته، ثقافته حتى أصبح البحار الصياد لا يستطيع العيش خارجه، فالبحر هو حياته كلها.

---

(1) تكملة لما جاء في دراستنا هذه لنيل شهادة الماجستير حددنا المحاور التي نبحث فيها في الدكتوراه حيث تتمثل في:

- السمات الثقافية والاجتماعية لفئة البحارة الصيادين.
- علاقات التأثيرات الثقافية بلغة وممارسة الصيد البحري.
- تسيير الموارد البشرية في قطاع الصيد البحري.

5- مصطلحات الدراسة :

من أهم المصطلحات التي لها علاقة بدراستنا ما يلي :

1- **الحرفة** : نحاول من خلال هذا الطرح تحديد مفهوم الحرفة والتي عرفت عدة تعاريف متباينة ومختلفة مرتبطة بالخصوصية الثقافية والاجتماعية لمكان وزمان المجال المدروس.

تتميز الحرفة بعدة خصائص و لعل من أهمها :

- الاعتماد على الخبرة المتعلقة بالمعارف.
- وتحتاج هذه الخبرة إلى التدريب.
- ينبغي على المهني إظهار قابلياته ومهارته.
- يجب على المهني تقديم خدمة للصالح العام[1].

وهناك فريق من الباحثين من يميّز بين نوعين من الحِرف: النوع الأول هو ما يسمّى بالمهن المحلفة، والنوع الثاني يُعرف بالمهن المنظمة التي تنتقل من جيل إلى آخر دون أن يكون لها موضوع قائم على الاستدلال[2]، الأمر الذي جعلها بهذه الخاصية تقابل في العصر الحديث مدلول مهنة[3].

2- **البحار الصياد**: المقصود بمصطلح بحار صياد هو كل فرد عامل على متن سفينة صيد يتكفل بترتيب أجهزة الصيد ونقل الأسماك إلى الميناء ويكون لهذا

---

(1) دينكن ميتشال، معجم علم الاجتماع ترجمة إحسان محمد الحسن، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص166.

(2) Gilles FERROL, Dictionnaire de la sociologie ; Paris; Armand Collin, 1991, p 40

(3) METIER ; Dictionnaire de L'Académie ; 1988.

الشخص دفتر بحري Fassicule ومسجل في سجل السفينة Rôle كما يمكن إطلاق هذا المصطلح على المجهّز الذي لا ينضم إلى جماعة الطاقم[1].

وتتوزّع اختصاصات البحارة الصيادين كما يلي :

أ. **الرئيس أو الربّان Patron côtier:** هو المسؤول الأول على السفينة وأفراد الطاقم له عدة مهام منها تسيير العمل وتنظيمه والإشراف وإعطاء التعليمات العملية والبحث عن الأماكن التي تكثر فيها الثروة السمكية ، يحتاج إلى كفاءات ومؤهلات عالية نظرية وتطبيقية.

ب. **نائب الرئيس:** ويعتبر المسؤول الثاني عن السفينة له الصلاحيات المطلقة في تسيير العمل والإشراف عليه.

ج. **الميكانيكي:** يشرف على مراقبة محركات السفينة وتصليحها وصيانتها باستمرار، فوجوده فوق السفينة يُعدُّ ضرورياً يحتاج إلى مؤهلات عالية يتحصل عليها من خلال التجربة في الممارسة الميدانية أو عن طريق التكوين الخاص.

د. **البحار أو الملاح Matelot:** هو كل شخص يقوم بخدمة السفينة ضمن الشروط التي يمليها عليه الرئيس، وبذلك فهو لا يحتاج إلى مؤهلات كبيرة وعلى هذا الأساس يشترط على البحار أن يكون قادراً على العمل فقط تحت الشروط والظروف التي تمليها عليه المهنة، بهذا فاختصاصات عمل البحارة تظهر أثناء عملية الصيد وبعدها.

هـ. **المجهّز L'armateur de Pêche:** إن كل شخص يقوم باستغلال مؤسسات الصيد البحري باسمه هو مجهّز Armateur له المسؤولية الأولى على

---

(1) Journée d'étude : Financement des artisans Pêcheurs. Ed. Chambre de commerce d'oran 1984 ; p 3.

جميع تجهيزات السفينة ويؤمن لها جميع قواعد الصلاحية للملاحة والصيد والأمـــن وكذا تأمين حياة البحارة في حالة وقوع حادث عمل أو أمراض مهنية، وعلـــى كـــل فإن اختصاصات المجهزّ تقتصر على التجهّيز والتموّين والتأمين دون المشاركة فـــي سيرورة العمل ،فهو يعتمد على رأسماله بالدرجةالأولى ولا يحتـــاج إلـــى تـــأهيل وكفاءات.

و- **الوسيط Le Mandataire**: وظيفته تسويق الأسماك بحيث يتمّ البيع فـــي المصيدة Pêcherie عن طريق المزاد العلني Criée، علّما بـــأن الوســطاء يملكــون محـــلات تابعة للبلدية عن طريق الكراء، يأخذ الوسيط نســـبة 7% مـــن المداخيـــل الأسبوعية للسفينة .

3-**السفن** : وهي القوارب المستعملة للصيد إذ تختلف عن بعضها البعض من حيث نوعية الوسائل المستعملة و أنواع الأسماك المصطادة و هـــي علـــى العمـــوم تقليدية نظرا لطابع الصيد البحري الساحلي:

أ) **الجيبيات Les chalutiers**

تسمى السفن البيضاء وهي وحدات صيد مخصصة لصيد الأسماك البيضـــاء والقشريات و تستعمل شباك يجرّ (Filet Traînant)، يبلغ طولها ما بين 16 و25 متـــراً وعرضها ما بين4 و6 أمتار، ومجهّزة بمحركات قوية تتراوح قوتها مـــا بيـــن 300 و700 حصان بخاري[1]، ويمكن لها أن تشغّل ما بين 8 و10 بحارة منهم ثلاثة بحـــارة يقومون بعمل شاق و ضروري في سيرورة العمل على متن هذا النوع و هم الرئيس ونائب الرئيس والميكانيكي.

(1) Journée d'étude : Financement des artisans Pêcheurs. OP Cit. P5.

ب) السردينيات: Les sardiniers

وتسمى السفن الزرقاء وهي وحدات صيد مخصصة لصيد الأسماك الزرقـــاء أو السطحية وتستعمل شباك عائمة (Filet Flottant)، ويبلغ طولها ما بين8 و17 مـــترا وعرضها ما بين 2,5 و3 أمتار، مجهزة بمحركات ذات قوة تتراوح بيـــن 100 و300 حصان بخاري، وتشغل ما بين 10 و22 بحارا[1].

ج) الزوارق الصغيرة Petits métiers palongriers

هي زوارق صغيرة طولها دون 10 أمتار مخصصة لصيد مختلـــف أنـــواع الأسماك، مستعملة لأجهزة ووسائل صيد ذي حجم صغير مثـــل الشـــبّاك الصغـــير Trémail، خيط الصنانير Palongre ، والقفف Nasse[2].

ب. الإجراءات المنهجية:

1- <u>مجـــتـــمع الـــدراسة:</u>

يتمثل المجتمع الكليّ للدراسة في موانئ الصيـــد البحـــري بـــالغرب الجزائري[3]، فالميناء هو الفضاء الطبيعي العادي الذي يعيش فيه البحار الصياد بل يمثل الحياة اليومية للبحارة الصيادين. وبما أن طبيعة الموضوع ميدانيـــة تســـتدعي الملاحظة لفئة البحارة الصيادين وعملهم البحري، فـــالإطار الجغـــرافي لدراســـتنا

(1) Journée d'étude : Financement des artisans Pêcheurs. OP Cit. p, 5.

(2) Ibid. p5.

(3) تمثل سواحل الغرب الجزائري نسبة 50 بالمائة من الكتلة السمكية المستغلة وطنيا والمقدرة بـــ200 ألف طن وأيضـــا في الإنتاج حيث انتقل من 18800طن سنة 1980إلى 32100طن سنة1984 وأيضا في تعداد البحارة الصيادين بـــ14 ألـــف بحار صياد من مجموع 30ألف بحار صياد على المستوى الوطني. إحصائيات الديوان الوطني.

سيتمثل في ميناء يتصدر موانئ الصيد في الغرب الجزائري من حيث الإنتاجية[1] وحجم الأسطول واليد العاملة به ألا وهو ميناء الغزوات.[2] اقتصرت الدراسة عليه لعدة اعتبارات من أهمها البعد الجغرافي، الموضوعية في التمثيل، التسهيلات في إنجاز البحث، تناسب العينات المختارة مع أهداف البحث....الخ

وبما أن المهن والحرف تستوجب فضاء يتمّ فيه ممارسة هذه المهنة فالمجتمعات الممارسة لهذه المهن تعمل على الحفاظ على بقائها وتداول ونقل مهنتها إلى الأجيال القادمة، وهذا ما يضفي نوعاً من الخصوصية الثقافية.

يشكل عالم البحارة الصيادين إحدى المجالات التي عرفت تداول وتنقل ثقافة مهنية وحرفية ذات خصوصية مرتبطة بعالم الصيد، و خاصة من خلال الدلالات اللغوية للغة الاتصال المستعملة بين البحارة الصيادين.

2- خطوات الدراسة:

حاولنا الإطلاع على جلّ الدراسات المونوغرافية التي أنجزت خلال التواجد الاستعماري والتي تخص منطقة الغرب الجزائري وخاصة ميناء الغزوات، وهذا لمعرفة مدى تعلّم واكتساب مهنة الصيد البحري عند السكان المحليين ووراثتها عن المعمرّين وخاصة الأسبان وكذا تداولها عبر الأجيال.

---

(1) مثل ميناء الغزوات نسبة 90% من الإنتاج السمكي السنوي لولاية تلمسان الذي بلغ 11000 طن سنة 2003 وجعلها تحتل المرتبة الرابعة على المستوى الوطني.(إحصائيات مديرية الصيد البحري والموارد الصيدية).

(2) مثل نسبة 12% من الإنتاج الوطني سنة 2002 ثم 10% سنة 2003 بحيث بلغ الإنتاج في الثلاثي الثاني من سنة 2004 ما يساوي 3278 طن منها 80% أسماك زرقاء (سردين و بلّم) و10% أسماك بيضاء و10% قشريات. (إحصائيات مديرية الصيد البحري والموارد الصيدية). Office National des statistiques. Annuaire statistique de. L'algérie.n°22.Edition 2002. p 171.

كما قمنا ببحث بيبلوغرافي للإطلاع على أهم الكتابات الخاصة بهذا النوع من النشاط المهني والإلمام بالدراسات الأنثروبولوجية للفئات المهنية والحرفية لمعرفة الخصوصية الثقافية والاجتماعية لهؤلاء الفاعلين الاجتماعيين.

مهدت لنا هذه الإحاطة الأولية الطريق لأعداد استمارة بحث ودليل للمقابلة وهذا للقيام بالدراسة الميدانية الأساسية.

وعلى هذا الأساس فإن دراستنا مرت بالفترات الزمنية التالية :

1. **فترة أولية:** تبدأ من تاريخ التسجيل وذلك انطلاقا من نتائج بحث الماجستير حول التعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيادين- صيادو الغزوات نموذجًا-.

2. **الدراسة الاستطلاعية:** تبدأ من جوان 2001 حتى ديسمبر 2001 أجريت في ميناء الغزوات للتعرف على الصعوبات التي قد تعرض في إنجاز هذا البحث وأخذ كل التدابير لتفاديها في الدراسة الأساسية وأيضا للتعّرف على أدوات البحث والإلمام بالتصور الشامل للموضوع.

3. **الدراسة الأساسية:** من جانفي 2002 إلى جانفي 2004 (24 شهراً) قضيت هذه الفترة في جمع البيانات ومقابلة العينة المختارة وتطبيق أدوات البحث .

4. **مرحلة التحرير:** فبراير 2004 إلى ديسمبر 2004 تناولنا في هذه الفترة تفسير النتائج والبحث في المساهمة العلمية لهذه الدراسة.

3- عينة البحث:

إن كل البحارة الصيادين من الذكور المختارين تتراوح أعمارهم ما بين 19 و97 سنة يقيمون بمدينة الغزوات ويبلغ حجم الدراسة 400 بحار صياد[1] تمت

(1) بنسبة 25% من مجموع تعداد البحارة الصيادين في ميناء الغزوات الذي بلغ سنة 2003، 1628 بحار صياد.
إحصائيات مديرية الصيد البحري والموارد الصيدية لولاية تلمسان.

دراستهم جميعاً مع أخذ بعين الاعتبار الخبرة المهنية على أســـاس الذيـن مارســوا الحرفة لمدة تفوق ثلاثين عاما لديهم رصيد ثقافي ومهني موروث عن الأجيال التـــي عملت مع المعمرين، وعليه انقسمت العينة إلى مجموعتين:

تكونت الأولى من 100 بحار صياد تجاوزت أعمارهم 60 عاماً (سن التقاعد)، ومثلت المجموعة الثانية أكثر من 300 بحار بجميع الاختصاصات .

لقد اعتمدنا على نسبة 25% لتكون أكثر تمثيل لمجتمـــع البحـــث و بالتـــالي يتسنى لنا استنباط الخصوصية الثقافية للبحارة الصيادين .

4- <u>فرضية البحث:</u>

تمثل الفرضية احتمال وإمكانية حلّ المشكلة التي هي موضـــــوع البحـــث إذ يسعى الباحث عن طريق استخدام بعض المناهج و الأدوات لتحقيق الهدف[1].

انطلاقا من واقع قطاع الصيد البحري و الموارد الصيدية في الجزائر حيـــث لا يزال يعاني من مشاكل متعددة،علمًا بأن فئة البحـــــارة الصيـــادين لـــهم ســـمات اجتماعية وخصائص مهنية خاصة جعلتنا نحدد فرضية بحثنا من النوع المباشـــر وقد تجلت في فرضيتين أساسيتين:

أولا: إن الإرث الثقافي والمهني لمهنة الصيد البحري بالمنطقة كان له آثـــار على الحياة الاجتماعية والمهنية للبحارة الصيادين.

ثانيا:إن طبيعة الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج جعلت من أربـــاب العمـــل أن يكون لهم هيمنة في مسائل تسيير واتخاذ القرارات الخاصة بطبيعة وسيرورة العمل البحري.

---

(1) موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخـــرون، دار القصبة للنشر الجزائر، 2004، ص 44.

5- منهج البحث:

إن طبيعة الموضوع فرضت علينا التقيد بالمنهج المسحي الوصفي بحيث تم استخدامه انطلاقـًا من محاولة وصف الحياة اليومية للبحارة الصيادين في ميناء الغزوات لأن دراستنا تريد الإجابة عن بعض التساؤلات التي لها علاقة بالأصل المهني للبحارة الصيادين وظروف حيا تهم، فطبيعة حياتهم اليومية تختلف عن باقي الفئات المهنية في القطاعات الأخرى كالصناعة والخدمات. إن هذه الاعتبارات هي التي دفعتني إلى اعتماد الوصف لتقييم مظاهر حياة البحار الصياد علماً بأن الأسلوب الوصفي لا يهدف إلى وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو بل إلى الوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره[1].

لذا تنصب دراستنا على الظاهرة الثقافية عند فئة البحارة الصيادين في المنطقة المدروسة والمتغيرات التي تطرأ على هذه الفئة[2].

6- تقنيات البحث :

يقتضي البحث الأنثروبولوجي اختيار طريقة منهجية مثلى إذ يجد الباحثون صعوبات عديدة نظرًا لعدم تأصيل الدراسات في هذا المجال وفق مقاييس علمية ثابتة بل توقف نجاح استخدام الملاحظة بالمشاركة في بعض الدراسات الأنثروبولوجية على كفاءة الباحث وقدرته على الملاحظة بدقة وصبر وثبات. لذا سنستخدم أداة الملاحظة المباشرة في دراستنا بالاعتماد على العلاقة المتواصلة التي كانت تجمعنا بمجتمع البحث (البحارة الصيادون) ، وما جمعنا من خلالها من

---

(1) عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، " مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث"، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 131.

(2) نفسه ص 124.

معلومات وبيانات وكذلك استغلال ا لمراجع المتوفرة وتوظيف استمارة البحث بـــل تعتبر كل هذه الطرق من روح الدراسة الأنثروبولوجية الكفيلـــة بالتفســير المعمــق وبمنظور شامل وكامل.

فعملنا هذا المتمثل في دراسة السمات الثقافية والأنثروبولوجية لعينة البحــارة الصيادين يتطلب منا الاستعانة بتقنيات البحـــث التـــي هـــي الملاحظـــة، المقابلـــة والاستمارة، البيوغرافيا.

- **الملاحظة:** تعتبر من الأدوات الأساسية في الدراسة الأنثروبولوجية إذ من خلالـــها ينضم الباحث إلى المجتمع محل الدراسة فيقيم علاقات مع الأفراد، ويقوم أثناء ذلـك بتسجيل المعلومات ملتزمًا بالموضوعية ومتحليا بالصبر في الملاحظة.

وقد كنت أرافق البحارة الصيادين في خرجاتهم إلى البحر وذلك بمـــا أننـــي أنتمي إلى عائلة تحترف مهنة الصيد البحري حتى أكون في اتصال مســـتمر مـــع العينة المدروسة ومعايشة طبيعة حياتها ونشاطها اليومي ودراسة حياتها الظاهريـــة، لأن هدفنا الأساسي هو التوصل إلى وصف لـــثقافة البحـــارة الصيـــادين الكلّيـــة وطريقتهم في الحياة .

- **المقابلة:** اعتمـــدنا فـــي دراستنا على مقابلة مســـحية[1] لأنـــها تســـتخدم فـــي الحصول على معلومات معينة وخاصة أن البحارة الصيادين فئة اجتماعية و مهنيـــة تختلف عن باقي الفئات. ولما كان الكثير من البحارة الصيادين لا يعـــرف القـــراءة والكتابة فمن مزايا المقابلة أنها مفيدة جدًّا معهم .

---

(1) عمار بوحوش، محمد محمود الـــذنيبات، المرجع السابق، ص 124.

- **الاستمارة :** وقد قمت بتصميم استمارة بغرض الحصول على البيـــانات الكافيـــة والتي لها علاقة بوصف الحياة اليومية للبحارة الصيادين من خـــلال طبيعـــة مهنـــة الصيد البحري بل عالم الصيد البحري ككّل. تحتوي الاستمارة على مجموعة مـــن الأسئلة صيغت بمنظور أنثروبولوجي، وذلك بعد الاستعانة بالأستاذ المشـــرف ثـــم طباعتها وتوزيعها على أساتذة من جامعتي تلمسان ووهران (علم النـــفـــس، علـــم الاجتماع)، حيث كانت تشتمل في البداية على 70 سؤال وبعـــد التعديـــلات التـــي أجريت على الاستمارة تمّ ضبط 45 سؤال من النوع المفتوح وهي كالتالي:

1. الـــســـن .
2. المســـتوى الـــدراســـي .
3. الحـــالة العـــائـــلـــيـــة .
4. ما هي مهـــنـــتـــك الأولى ؟
5. ما هو تـــخصصـــك المهني ؟
6. كم من سنة قضيت في ممارسة مهنة الصيد البحري ؟
7. ما هي مـــهـــنـــة الأب ؟
8. ما هي مـــهـــنـــة الجـــدّ ؟
9. هل لك أبناء يعملون بحارة ؟في حالة نعم كم عددهم ؟
10. كيف تمّ اختيارك لمهنة الصيد البحري ؟
11. هل هناك وساطة للحصول على منصب عمل في قارب صيد ؟
12. هل تربطك علاقة ما بصاحب القارب أو رئيس القارب؟ في حالة نعم حددهـــا كم عدد البحارة الذين يحملون نفس اسمك العائلي على متن القارب الذي تعمـــل به؟

13. هل تؤدي الصلاة بانتظام وهل تقوم باستشارة إمام في أمور الدين ؟

14. وما رأيك في زيارة أضرحة الأولياء وهل تعتقد بظاهرة العين ؟

15. كيف تزوجت و هل تجمعك القرابة أو الجوار بزوجتك ؟

16. هل تتخذ القرارات بمفردك في الميزانية و السلطة على الأبناء ؟

17. هل نقص الدخل يعد سببا للنزاع الأسري ؟

18. لماذا وقع الطلاق عندك ؟

19. هل تملك سكنا خاصا و ما هي طبيعة الحيّ الذي تسكنه و ما هـــي المشـــاكل التي تعاني منها حددّها ؟

20. كيف يتم إحياء حفلات الزواج عندكم ؟

21. كيف تحّضر للأعياد و المناسبات الدينية و هل تحضر الوعدات التي تقام ؟

22. ما رأيك في الترقيّة و كيف تتمّ هذه الترقية ؟

23. هل هناك انتظام في الدخل ؟ لـــمـــــــاذا ؟

24. كيف تتصرف في حالة عدم الانتظام في الدخل ؟

25. ما رأيك في طريقة تقييم الدخل بالوسطاء ؟

26. هل ترى أن الدخل كاف مقارنة مع الظروف التي يجري فيها العمل ؟

27. كيف ترى نفـــسك كعامل أجير مقارنة مع عمال القطاعات الأخرى ؟

28. ما رأيك في بعض المجهزّين و هم يطردون البحارة بدون سبب ؟

29. كيف ترى حقوق البحارة في ظل غياب العمل النقابي ؟

30. هل يتوفـــر قارب الصيد الذي تعمل فيه على أدوات الأمن و الوقـــاية ؟

31. هل تعـــرضت لحادث عمل يوماً ما ؟ في حالة نعم هل تحصلت على بعـــض التعويضات ؟

32. كيف تنظر إلى التعويضات التي تمنح عن حوادث العمل ؟

33. كيف تنظر إلى منحة التقاعد ؟

34. هل تـــفضّـــل الخروج إلى التـــقاعد عند بلوغ السن المحدد ؟ لماذا ؟

35. هل تـــفكر في حل آخر ؟

36. هل تـــنصح أبناءك باختيار مهنتـــك ؟ و هل أنت راض عن مهنتك ؟ لماذا ؟

37. أين تقضي أوقات الفـــــــراغ ؟

38. هل تفكر في السفر إلى الخارج ؟

39. كيف ترى النظام السياسي والاقتصادي في الجزائر؟

40. هل تقرأ الجرائد؟

41. هل سبـــق لك و أن عملت مع بحارة إســـبانيين؟

42. هل توجد لدى البحارة الأسبان كفـــاءة مهنية كبـــيرة فيمـــا يخـــص مهنـــة الصـــيـــد الـــبـــحـــري؟

43. هل ترى أن أسلوب العمل و لغة التواصل في سفينة الصيد الحالية قد ورثـــت عن البحارة الأسبان ؟

44. هل يمـــكـــن القـــول أنك تعلمت أســـرار المهـــنـــة على يد هؤلاء البحـــارة الأجانب ؟

45. كيف ترى عالم الصيد البحري حالياً مقارنة مع فترة عمل البحارة الأسبان ؟

- **البيوغرافيا:** وهي تستخدم من طرف العديد من الأنثروبولوجيين أثناء الدراسة الميدانية حيث تتمثل عندنا في تدوين الأحداث التي تمر في حياة بعض البحارة الصيادين الذين تجاوزت أعمارهم الستين أي سن التقاعد .

ثانيا: المكانة الحضارية للصيد البحري:

الصيد البحري نشاط مهني عرفته المجتمعات الإنسانية المطلة على البحر والذي عادة ما كان مركز أمن لكسب معيشتها والحفاظ على بقائها بل تشكل المناطق الساحلية دعامة لنشاطات الصيد البحري التي هي مدعوة إلى المساهمة بصفة أكثر فعالية في تحقيق هدف التوازن الغذائي.

أ- **البعد التنموي للصيد البحري :**

يحتل الصيد البحري مكانة مرموقة لا بالنسبة للاقتصاد القومي فحسب بل بالنسبة للاقتصاد العالمي أيضاً ، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى التقدم العلمي والدور الهام الذي لعبه في تطوير طرق الصيد البحري. وهذا التقدم لم يقتصر على الناحية التكنولوجية فقط بل تعداها أيضا إلى دراسة أنواع الأسماك وهجراتها الفصلية وتحديد مناطق هجرتها لأن الظروف الطبيعية والبشرية تتحكم في توزيع الأسماك، فالأسماك تكثر عموماً في مناطق الأرصفة القارية حيث يقل العمق عن 200 متر وحيث يتوفر الغداء الأساسي للأسماك (البلانكتون) وكذا في مناطق التقاء التيارات المائية الباردة بالدافئة كسواحل البحر الأبيض المتوسط مثلا.

فابتداء من عام 1950 شهد قطاع الصيد البحري تغيرات تقنية هامة شملت وسائل العمل البحري كالمحركات وآلات الكشف وغيرها، مما أدى إلى تطوير العملية الاقتصادية وذلك بارتفاع الإنتاج السمكي العالمي وخاصة عن طريق

نشاطات الشركات المتعددة الجنسيات التي ساهمت بقسط وفير في تطوير القطـــاع ككلّ.

يعد الصيد البحري أولوية من الأولويات الاقتصادية بحيث يساهم بقسط كبـير في التنمية لمعظم البلدان[1] التي تستغل مواردها الصيدية بجـــدارة وخاصـــة بعـد إصابة عالم تربية المواشي بـــأمراض فتاكة كجنون البقر والحمى القلاعية عنـــد الغنم وأنفلونزا الدجاج، اتجه الأمر في العقد الأخير نحـــو الأســـماك. وعلـــى هـذا الأساس ما فتئ العالم يسعى إلى تنظيم النشاط وتهيئة منـــاطق الصيـد فـــتوزيع الصيد يخضع إلى مجموعتين من الشروط طبيعية واقتصادية –تقنيـــة علمًـــا بـــأن المخزونات السمكية العالمية[2] – هي مخزونات مشتركة وتمثـــل برامج الشـــراكة لأن البحر[3] حوض مشترك للدول التي تجاوره –تشهد تدهورًا كبيرًا فـــ 40 بالمائـــة فقط من مناطق الصيد تستغـــل كما ينبغي وباقي المناطق تشهد فـــوضى كبيرة فـي استغلال الثروات[4].

لقد تضاعف الإنتاج الإجمالي لقطاع الصيد البحري خلال القـــرن العشـــرين وخاصة بين 1918 و1970 حيث انتقل من 20 مليون طن سنة 1950 ليصل ســـنة 1993 85 مليون طن ثم 94 مليون سنة 2000[5].

---

(1) من أهم مناطق الصيد البحري الكبرى في العالم: شمال غرب أوربا،شرق آسيا،شمال شرق أمريكا الشمالية، ســواحل البحر الأبيض المتوسط.

(2) يوجد أكبر مخزون للأسماك في العالم في الشمال الغربي للأطلسي والذي بدأ يستنفذ منذ فترة فحسب منظمة التغذيـــة Fao فمن 272 صنف من الأسماك لم يبق إلا 25 نوع فقط حيث استنفذ 33 نوع خلال الثمانينيات.

(3) فالمساحة السمكية في البحر الأبيض المتوسط تزداد تقلصا منذ خمسين عاماً.

(4) بيير جورج، الوجيز في الجغرافيا الاقتصادية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 262.

(5) فحسب منظمة التغذية إن سبب ارتفاع الإنتاج ما بين 1950 و1989 يعود إلى استنزاف الأسماك التي يأكلها الإنســان بكثرة وذلك منذ الحرب العالمية الثانية.

ومن المحتمل أن يرتفع عام 2010 إلى 144 مليون طن في حين يحتاج العالم حوالي 150 مليون طن كطلب مما يبرز الضغط على البحار والمحيطات.[1]

وإذا كانت الثروة السمكّية في الوقت الراهن تشهد انخفاضاً مستمراً فيعود أساساً إلى التلّوث الذي يهدد البحار من خلال السموم التي يضعها الإنسان وتؤثّر على تغذية الأسماك وبالتالي تسبب أمراض فتاكة لدى الإنسان.

وتبقى النظرة المستقبلية تشاؤمية إلى حدّ بعيد رغم تطور تربية المائيات[2] من جهة وتنظيم الصيد المراقب الذي تسعى إليه دول العالم على العموم من جهة أخرى. فحوالي 99 بالمائة من مناطق الصيد هي تحت السيطرة الدولية فالبحر زاخر بالعطاء، لكن الإنسان لم يتعلم بعد السيطرة عليه والمحافظة على ثرواته علماً أن أصل الممارسة فيه هو السفينة المتجهة لسحب الشبّاك[3].

يستقطب قطاع الصيد البحري[4] اهتمامات المتعاملين والمستثمرين ويوفر 23%من البروتينيات العالمية ويضمن غذاء الملايين من البشر بل يمكنه استيعاب أيدي عاملة متزايدة[5]. هذا ما يعكس الأهمية الاقتصادية والغذائية لنشاط الصيد البحري، فهل استطاع هذا القطاع أن يكون له نفس الدور في الجزائر؟

---

(1) F. DOUMENGE, Géographie des mers, Paris, P.U.F. Col, Magelan, 2001, p 111.

(2) بلغ الإنتاج العالمي منها سنة 2000، 18 مليون طن حسب إحصائيات منظمة التغذية والزراعة.

(3) الشريط الوثائقي "اقتفاء آثار الطبيعة "،قناة الجزيرة الفضائية،الأحد 26 سبتمبر 1999على الساعة 11مساءا بتوقيت غرينيتش.

(4) يمثل عجلة الاقتصاد لدى العديد من البلدان كالنرويج وكوبا واليابان خاصة.

(5) Joni SEAGER : Atlas de l'Environnement dans le Monde Ed. Autlrement, Série Atlas, n°2, avril 1993, p107.

ب- وضعية قطاع الصيد البحري والموارد الصيدية في الجزائر :

تسعى الجزائر جاهدة من أجل تطوير قطاع الصيد البحري مادام أن كل الظروف والمعطيات الطبيعية والمادية متوفرة ،فالشريط الساحلي الممتد على طول 1200 كلم[1] يوفر استغلال مساحة عقار صيدي تقدر بـ9,5 مليون هكتار لا يستغل منها سوى 2,2 مليون هكتار فقط . ويتراوح عرضها ما بين 32 و52 ميل بحري[2]، والاحتياطي من الثروة السمكية يقدر بـ 500 ألف طن (حسب تقديرات حملة التنقيب لسنة 1982) منها 160 ألف طن فقط قابل للصيد. هذا إلى جانب نسيج صناعي وهياكل قاعدية معتبرة (عشر موانئ مخصصة للصيد وثلاثة عشرة مخبأ). أما الموارد البشرية فتتمثل في 100 ألف عائلة تعيش من نشاطات القطاع[3].

كان قطاع الصيد البحري تابعا على التوالي: وزارة الإصلاح الفلاحي من 1963 إلى 1968 ، وزارة النقل من 1969 إلى1979 ثمّ كتابة الدولة للصيد البحري من 1979 إلى 1984 ليعاد وصله بوزارة الفلاحة من 1984 إلى 1999 وأخيرًا وزارة الصيد البحري والموارد الصيدية منذ سبتمبر1999.

لقد تمّ استغلال الموارد السمكية حتى سنة 1980 دون وسائل مادية كبيرة ودون يد عاملة متدربة على تقنيات الصيد العصري. ولكن إجراءات إعادة تنظيم القطاع التي قررت في إطار المخطط الخماسي 1980-1984 قد بعثت حيوية جديدة

---

(1) بمقتضى المرسوم رقم 63-403 المؤرخ في 12 أكتوبر 1963المتضمن رسم حدود الشريط الساحلي الجزائري، الجريدة الرسمية رقم 04-1963 .

(2) بمقتضى المرسوم ا رقم 94-13 المؤرخ في 28 ماي 1994المتضمن عرض المياه الإقليمية الجزائرية الجريدة الرسمية رقم 07-1994.

(3) فحسب إحصائيات 1995 بلغ تعداد البحارة الصيادين في الجزائر 13500 ينشطون في 245 جيبيات، 750 سردينيات و460 من القوارب الصغيرة.
ينظر :.Méditerranée. Magazine Internationale n°01. Janvier 1999. p 15

بحيث تمّ توفير شروط الاستغلال العقلاني للموارد كوضع هياكل قاعدية[1] واستفادة البحارة الصيادين من نظام خاص للقرض بغية شراء وتجديد وتحديث واستغلال قوارب الصيد[2].

وعليه ومن خلال الجدول (1:1) الذي يبين تطور إنتاج الصيد البحري في الجزائر:

السنة	الكمية	1992	95.274
1965	18.000	1993	101.896
1970	25.700	1994	135.402
1975	37.700	1995	105.872
1980	33.300	1996	116.351
1984	85.000	1997	99.620
1990	90.700	2003	141.528
1991	79.690	2004	137.108

المصدر: إحصائيات الديوان الوطني للإحصائيات. الوحدة: الطن.

يتضح لنا أن التطورات التي شهدها القطاع خلال الثمانينيات نتج عنها ارتفاع الإنتاج الوطني بنسبة عالية بل تضاعف بحوالي ثلاث مرات أثناء المخطط الخماسي الأول. أما في التسعينيات فظلّ إنتاج الأسماك في تصاعد وتطور ملحوظ للعيان وحسب ما أقرّ به الديوان الوطني للإحصائيات فإن مؤشر إنتاج الصيد البحري قد

(1) يوجد على المستوى الوطني أربع ورشات لبناء السفن (بوهارون،خميستي ،جيجل،بني صاف) وأربع ورشات أخرى لإصلاح العتاد (عنابة، سكيكدة، مستغانم، الغزوات).

(2) الجزائر،الدليل الاقتصادي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 1987، ص109.

ارتفع بمعدل سنوي قدر بـ 4,30%في الفترة ما بين 1986-1996 ليرتفع إلى 20% خلال 1998-1999[1].

وبمجرد ترقية القطاع إلى مصف وزارة، عملت في اتجاه أن هذا القطاع اقتصادي وهام يتطلب إعادة الاعتبار من خلال سنّ قوانين تشريعية[2] تهتم بالمهنيين وتنظيم نشاط الصيد البحري حيث قامت الوزارة بتأسيس 119 جمعية مهنية انبثقت عنها الغرفة الوطنية للصيد البحري وتربية المائيات التي تتفرع عنها مديريات للصيد البحري[3] على مستوى الولايات التي تعمل على تطبيق السياسة الوطنية للصيد البحري. فهي تتكفل بضمان تطوير وتسيير ومراقبة استغلال الثروات الصيدية والعمل على تقييم المساحات المائية البحرية والقارية عن طريق تطوير نشاطات تربية الأسماك بأصنافها المتنوعة.

وكذا السهر على احترام التشريعات والقوانين الخاصة بالإضافة إلى تدعيم وتشجيع الاستثمار في نشاطات الصيد البحري وتربية المائيات. كما تسعى إلى دراسة المعطيات الإحصائية الخاصة بالقطاع ومراقبة الموارد الصيدية مع تنظيم المهنة بتفعيل برامج التكوين. فاقترحت الوزارة على الحكومة خريطة للتكوين من شأنها دعم قدرات المؤسسات الحالية في كل من القل والقالة وعنابة والجزائر وشرشال ووهران وبني صاف وقدرات 2000 سفينة جديدة تتطلب بحارة مؤهلين .

---

(1) إحصائيات الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، 1998.

(2) تدعم قطاع الصيد البحري بتشريعات جديدة موجودة في الملاحق، ص 201.

(3) بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 135.01 المؤرخ في 28 صفر 1422 الموافق لـ 22 ماي 2001، الجريدة الرسمية09-2001.

تقوم استراتيجية التنمية في قطاع الصيد البحري على جملة من الميكانيزمات منها تطبيق برنامج اقتصادي يتمثل في مخطط وطني ممتد إلى سنة 2020 يهدف إلى رفع الإنتاج السمكي باختلاف الأنواع أي تحقيق الاكتفاء الذاتي .وعصرنة أسطول الصيد البحري الذي يتجاوز معدل سنّ السفن 25 سنة، علمًا بأن هذا الأسطول يتشكل حالياً من 3200 وحدة منها 1900 قارب صغير و40 %معطلة وتحتاج إلى تجديد. وذلك ليتسنى رفع نسبة استهلاك الفرد الجزائري من السمك[1] التي تبقى ضعيفة مقارنة بنسبة استهلاك الفرد الأوروبي والفرد المغاربي.

فقد تمّ الإعلان عن عدة برامج لدفع تنمية القطاع على المدى المتوسط تماشياً مع الأهداف[2] التي سطرتها وزارة الصيد البحري والموارد الصيدية. و عليه كان برنامج الإنعاش الاقتصادي[3] الممتد ما بين 2001 و2004 بمثابة الوسيلة الناجعة لتخفيض معدل سنّ أسطول الصيد البحري من خلال استفادة المهنيين أصحاب

---

(1) أقرت منظمة الصحة العالمية ما يساوي 6,3كلغ سنوياً فيتراوح حجم استهلاك الجزائري ما بين 3 و4كلغ.

(2) هي :تشجيع الاستثمار الخاص الوطني والأجنبي وكذا الشراكة، تقييم إنتاج الصيد البحري،تطوير النشاط عن طريق تدعيم عتاد الإنتاج المباشر.

(3) الجريدة الرسمية 02-2001 ،يهدف برنامج الإنعاش إلى تقييم وترقية النشاطات الملحقة بالصيد البحري وتربية المائيات تماشيًا مع الأهداف المتمثلة فيما يلي:

- تنمية الصيد البحري وتربية المائيات.
- خلق مناصب شغل دائمة.
- إنشاء استثمار وطني وأجنبي.
- رفع الإنتاج الوطني.
- تشجيع التصدير خارج المحروقات.
- الحفاظ على البيئة البحرية.
- تجديد الأسطول البحري وأسطول الصيد بمختلف أنواعه الساحلي والحرفي.
- تفعيل القوارب الصغيرة.
- تجديد وسائل التعبئة والتحويل والبيع في المسمكات والأسواق.
- تدعيم التعاون الاقتصادي العلمي والتقني في الاتجاه الذي من شأنه أن يساهم في التكامل الجهوي.

المهنة برفع الدعم المالي لها إلى 80 %.حتى يتسنى تجديد وحدات الصيد وتطوير وتنويع تجهيزاته والرفع من المستوى التقني وتوسيع منطقة الصيد وتنظيم دورات تكوينية للصيادين في تخصصات مختلفة يجهلونها في الوقت الراهن أي تنقصهم الاحترافية بحيث يملك9777 بحار صياد فقط شهادة التأهيل من أصل 29802 بحار صياد ينشطون على المستوى الوطني[1].

نظراً لضعف الأسطول الجزائري للصيد البحري وعجزه عن استخراج الثروة السمكية التي تتوفر بكثرة في سواحل الجزائر[2] .يبقى القطاع في حاجة ضرورية إلى تحسين مستويات التأطير والدعم للمحيط الاقتصادي وتشجيع الشباب الراغب في خلق مؤسسات صغيرة خاصة وكذا مسح ديون المستفيدين. لذلك تم رصد –في إطار مخطط الإنعاش الاقتصادي– ما قيمته 9,5 مليار دينار لدعم المشاريع الاستثمارية في القطاع[3].

كما أن تحسين ورفع مستوى الإنتاج[4] مرهون بتدعيم طاقات الاستعمال عن طريق إنجاز موانئ صيد جديدة. فتمّ تأسيس مؤسسة مينائية لكل ملاجئ الصيد

---

(1) يتكفل به الصندوق الوطني لتطوير الصيد البحري وتربية المائيات بحيث استفاد 1753 بحار صياد عام 2003 بقوارب صغيرة مجهزة بالوسائل الضرورية أ نظر: أخبار الصيد البحري، الغرفة الجزائرية للصيد البحري وتربية المائيات، عدد نوفمبر 2004، ص 4.

(2) اعترف وزير الصيد البحري والموارد الصيدية في لقاءه بأصحاب المهنة بتاريخ 25 أكتوبر 2003 بمرض القطاع ضعف الإنتاج في بعض الأنواع السمكية المهاجرة وذات الحجم الكبير عموماً والتون الحمراء خصوصاً، فالسمك دخل مرحلة الشيخوخة ولا يزال ينتظر مستهلكيه الذين بقوا على النوع الأزرق. الخبر السنة12، العدد3886، 26 أكتوبر 2003، ص 6. ارتفاع أسعار السمك راجع إلى ضعف الإنتاج .

(3) تلقت الوزارة 6500 ملف من المهنيين اعتمد منها منذ 2002 إلى 2004، 3900 ملف تم دعم 1300 منها في مرحلة أولى، جريدة الخبر، السنة13، العدد 4186، الأربعاء 8 سبتمبر 2004، ص1، إسماعيل ميمون يعد بتجاوز الضعف .

(4) تصبو الدولة من خلال مخطط تنمية القطاع الذي يمتد ما بين 2003 و2007 إلى رفع إنتاج الأسماك إلى 280 ألف طن مع الأخذ بعين الاعتبار عدد السكان ونسبة استهلاك الفرد الواحد سنوياً أ نظر :أخبار الصيد البحري، الغرفة الجزائرية للصيد البحري وتربية المائيات، المرجع السابق، ص2 .

الموجودة .[1] لكن تبقى الثروة السمكية مهددة بالزوال في بعض المناطق من خلال خرق قوانين الصيد[2] التي تحدد أماكن ومسافات الصيد بحجة أن الأسطول غير قادر على الإبحار في أعالي البحار. وعليه سيتم إنشاء سلك شرطة للصيد البحري و التي ستعمل بالتنسيق مع حراس السواحل على مراقبة عمليات الصيد[3].

ومن العوائق الأخرى التي تواجه نشاط الصيد البحري هي غياب الدراسات العلمية حول المخزون السمكّي وأماكن تمركز أنواعه بحيث أن الدراسات التي يعتمد عليها القطاع في الوقت الراهن تعود إلى السنوات الأولى للاستقلال، والحديث منها يعود إلى بداية الثمانينيات وتخص الشريط الساحلي فقط.

ولهذا انطلقت حملة التنقيب وتقييم الموارد الصيدية في السواحل الجزائرية تحت إشراف هيئة علمية إسبانية[4]. تشمل العملية الأعماق الجيبية وأعماق الجرف القاري الممتدة ما بين 50 و1000 متر.ومرت بمراحل بحيث امتدت من عام 1997 ثم توقفت ما بين 2000 و2001 وبعد ذلك امتدت ما بين مارس 2003 ومايو 2004 لتقييم السمك الأزرق والسمك الأبيض.

---

(1) هي مؤسسة sogiport التي تأسست في جوان 2004 باعتبارها المتعامل المباشر مع البحارة الصيادين.

(2) يمنع القانون الصيد على بعد 6 كلم من السواحل من فاتح مايو إلى نهاية أوت للحفاظ على الثروة السمكية كون أن الحيوانات البحرية تدخل في هذه الفترة إلى المياه الإقليمية الدافئة للتكاثر.القانون الصادر بالجريدة الرسمية 18-2004. أنظر الملاحق، ص 201.

(3) جريدة الخبر السنة 13 العدد 4174 الأربعاء 25 أوت 2004 ص3، شرطة السواحل مسؤولة عن محاربة صيد المرجان.

(4) في سفينة علمية اسمها El VISCONZI وبالتعاون مع خبراء جزائريين برئاسة المهندس خالد فليتي الذي يشغل حاليا منصب رئيس الغرفة الولائية للصيد البحري وتربية المائيات لولاية تلمسان.

بما أن هذه الدراسة التقنية كانت تهدف إلى إعداد خرائط الصيد البحري تحدد مواقع الصيد حسب تواجد أنواع الأسماك واحتياطاتها، فـانتهت إلى أن الجزائـر تمتلك مخزون يصل إلى 187 ألف طن سنوياً من السمك موزعًا حول 26 صنف مـن الأسماك أهمّها السردين. ومن جهة أخرى تمّ تقسيم هذه الكثافـة السـمكية حسـب المناطق من الغرب نحو الشرق كما يلي:

1- المنطقة الأولى من الغزوات إلى تنس: 80 ألف طن.

2- المنطقة الثانية من تنس إلى أزفون: 69 ألف طن.

2- المنطقة الثالثة من بجاية إلى القالـة : 38 ألف طن.

كما أثبتت الدراسة وجود مخزون هام من السمك خاصة الأزرق منـه علـى طول السواحل الغربية. ولذا فإن الاستعانة بالخرائط في العمل البحري و اسـتخدام نظام (جي بي ارس) ستمكن البحارة الصيادين من ربـح الوقـت والوقـود ممـا سينعكس إيجابا على أسعار السمك.

ولما كان الإنتاج السنوي لا يتجاوز 100 ألف طن فيتعيـن إنشـاء وحـدات إنتاجية من قوارب وسفن بالإضافة إلى خلق مناصب شغل مباشرة بالقطاع تقدر بـ 10500 منصب وحوالي 30 ألف منصب غير مباشر بالقطاع[1].

(1) الخبر العدد4005، السنة 13، التاريخ 9 فيفري 2004، ص5، قطاع الصيد بحاجة لألفي باخرة لتحقيق الاكتفاء الذاتـي من السمك .

أمّا بالنسبة لعملية الإستزراع السمكي [1] فتسعى الدولة إلى تشجيع الاستثمار [2] فيها بحيث تمّ الإعلان عن انطلاق أول دراسة حول تربية المائيات وتحديد المواقع المؤهلة لها. وتشمل هذه الدراسة شمال الجزائر وبعض المناطق الداخلية وذلك عبر 15 مشروعاً جاهزاً تقنياً[3]؛وتولى هذه الدراسة مكتب ألماني (شركة روج مارين كوسليتنج) حيث انطلقت في مايو 2003 وبتكاليف مقدرة بـ 74 مليون دينار [4].

جـ- المسار التاريخي لممارسة الصيد البحري بميناء الغزوات:

تتمثل المنشآت القاعدية لقطاع الصيد البحري بولاية تلمسان[5] باعتبارها من الولايات الأربعة عشر الساحلية بحيث تتربع على شريط ساحلي[6] ممتد على

---

(1) لا يتجاوز الإنتاج الوطني 476 طن في حين يصل في دول المغرب العربي إلى 10ألف طن كتونس التي يوجد فيها 4 مؤسسات للتربية المائية و73 وحدة إنتاجية في المناطق الداخلية،يمثل إنتاجها 2%من الإنتاج السمكي التونسي،علماً بأن علّو نسبة استهلاك الأسماك لدى الفرد التونسي شجع على الاستثمار في تربية المائيات رغم طول السواحل التونسية (1350كلم) وكذا انقراض بعض الأصناف نظراً للصيد المكثف والمتزايد بحيث يرتفع الطلب عليها في المطاعم السياحية. أ نظر :أخبار الصيد البحري، الغرفة الجزائرية للصيد البحري وتربية المائيات، المرجع السابق، ص10 .

(2) كتوقيع اتفاقيات تعاون مع البلدان الرائدة في تربية المائيات مثل كوبا التي وقعت اتفاقية مع الجزائر في تربية الجمبري. أ نظر :أخبار الصيد البحري ،المرجع السابق ،ص8 .

(3) سيتدعم قطاع الصيد البحري بولاية تلمسان بمشروع نموذجي لتربية الأسماك بشاطئ أقلا ببلدية بني خلاد دائرة هنين. هذه المنطقة الساحلية ذات الطابع الصخري توفر شروطا مناسبة لهذا النوع من النشاط الذي لا يزال مجهولاً خاصة لدى المستهلكين. يتربع المشروع على 5 هكتارات نصفها تقريبا مساحة بحرية في حين تبلغ قيمته الاستثمارية 8 ملايير و450 مليون سنتيم ممولة من طرف الصندوق الوطني لتنمية الصيد البحري. المتعامل المستفيد من هذا المشروع السيد عابد بن معزوز إطار سامي متخصص في البحث العلمي بالمعهد البحري ببوسماعيل، أكد أن هذه المزرعة النموذجية الأولى من نوعها ستعرف إنجاز أحواض لتنمية و تربية الأسماك ومخبر علمي وغرف للتبريد. تقرير عن وضعية نشاطات وتنمية قطاع الصيد البحري والموارد الصيدية لولاية تلمسان، مارس 2003، ص18.

(4) جريدة الرأي، العدد 1574، السبت 28 جوان 2003، ص 4، تشجيع الاستثمار في المائيات.

(5) تقدر مساحتها بـ9061 كلم مربع وتعداد سكاني قُدر بـ 842053نسمة /93نسمة في الكلم مربع .
إحصائيات الديوان الوطني سنة 1998 .

(6) يتوزع على ثماني بلديات تشغل مساحة إجمالية تقدر بـ3534 كلم مربع وتعداد سكاني يقدر بـ 91692 نسمة.
إحصائيات الديوان الوطني سنة 1998 .

طول 70 كلم من الحدود المغربية غربا إلى رأس أقلا شرقا في ميناء الغزوات المخصص للنشاط التجاري والصيد البحري وملجأين الأول بهنين والثاني بمرسى بن مهيدي هو في طريق الإنجاز ، بالإضافة إلى سبعة شواطئ إرساء هي: عنابرة، البخاثة، سيدي يوشع، الوردانية، القنطرة، بيدر ومعروف.

يعرف مردود الثروة السمكية في ولاية تلمسان انخفاضاً محسوسا نظرًا لضعف التكفل التقني الذي يراعي عملية الحفاظ على هذه الثروة وحمايتها من الإتلاف . ميزت الفوضى القطاع لعدة سنوات حيث لازال تقييم الثروة السمكية خاضعا لكشف التنقيب المنجز سنة 1982 الذي حددت على إثره الكتلة السمكية بمختلف الأنواع بالشريط الساحلي للولاية.

الجدول (2.1) يبين نتائج حملة التنقيب عن الثروات السمكية المحققة سنة 1982:

النوع Catégorie	الكتلة Biomasse	المخزون الممكن اصطياده Stock Pêchable
سمك متنقل Pélagique	25.500	9.500
سمك قاري Démersal Chalutable	18.828	6.276
سمك قاري للمناطق الوعرة Démersal Zone Accidentée	5.240	1.747
المجموع	52.568	17.523

المصدر :مديرية الصيد البحري والموارد الصيدية لولاية تلمسان. الوحدة : طن

تتميز منطقة الغزوات بخليجها وموقعها الاستراتيجي المميز جلبت انتباه البحارة والغزاة الذين دخلوها في مختلف الأحقاب التاريخية.

تقع منطقة الغزوات في أقصى الطرف الغربي للجزائر على الخطوط 4 °6 .13.35 غربا وتبعد عن تلمسان بـ75 كلم، وعن مغنية بـ48 كلم، وعن الشريط الحدودي الجزائري المغربي بـ34 كلم. ويبلغ شريطها الساحلي حوالي 65

كلم، ويتراوح عمق مياه سواحلها ما بين متر ونصف وعشرة أمتار على الساحل و400 متر بعرض البحر. ولا تنزل درجة حرارة المياه شتاء عن 19 درجة، وفي فصل الصيف تصل إلى 30 درجة[1].

لقد تعاقبت على الغزوات عبر التاريخ تسميات مختلفة: آدفراتراس[2]، توانت[3] ثم جماعة الغزوات، نمور nemours [4] وأخيراً الغزوات، مما أدى إلى توالي أجناس بشرية أثرت تأثيرًا اجتماعيًا وثقافيًا ولسانيًا على السكان الأصليين بربر بني منصور لترارا، ومازالت سمات هذا التأثير يحملها السكان حاليا[5]. ومن جهة أخرى يمكن – ولا نجزم القول – أن يكون أصل سكان الغزوات فرعًا من فروع القبائل اليمنية والحميريةّ التي دخلت المنطقة إثر الفتوحات الإسلامية أو أن يكونوا من أصل شامي من بين النازحين إلى إفريقيا المولعين بالبحر والتجارة والصيد. وخاصة إذا علمنا أن هذه اللهجة تنتشر في الساحل بشكل خاص (جيجل شرق الجزائر)، أو قد يكونون قبائل أمازيغية داخلها العنصر العربي فطغت العربية على الأمازيغية علماً بأن المنطقة عمرّتها قبائل أمازيغية وقبائل عربية قادمة من المغرب الأقصى ووسط وشرق البلاد[6].

---

(1) Francis Llabador : Nemours Djemaa Ghazaouet ; Alger ; imprimerie la typolitho ; 1948 ; P88.

(2) تعني الأخوين باللغة اللاتينية، أطلق هذا الاسم على صخرتين منتصبتين في البحر على بعد 300متر من مدخل ميناء الغزوات من الجهة الغربية، حيكت حولهما أساطير وقصص مازالت تحتفظ بها الذاكرة الشعبية. أنظر الصورة في الملحق، ص 204.

(3) رسمها اللاتيني TUNT وهي كلمة بربرية قديمة تعني الرؤية ثم أصبحت تطلق على برج المراقبة الذي أنجز لغرض مراقبة السفن.

(4) اسم علم لابن ملك فرنسي لويس فيليب أطلق على المنطقة تكريماً له.

(5) فالمرأة البدوية مازالت أصالتها بربرية كوضع المنديل على الرأس، ولف الفوطة ذات الخطوط على خصرها ولهجتها أكثر ميلا إلى البربرية.

(6) بزلي عمار "صدى الثورة الجزائرية في الأهازيج النسوية لولاية تلمسان منطقة ترارا نموذجاً" رسالة ما جستير، معهد الثقافة الشعبية تلمسان 1991، ص 17.

تتجلى الخصوصية الاقتصادية لمنطقة الغزوات في الميناء[1] الذي اعتبر من الأولويات لفكّها عن العزلة نهائياً، فهو المنفذ البحري الهام الموجود على طول الساحل الغربي للجزائر ابتداءاً من مضيق جبل طارق[2].

ونظرًا لهذه الأهمية الاستراتيجية نجمل أسباب إنشاء الميناء في عاملين: سياسي واقتصادي. فالعامل السياسي يتجلى في تكالب الدول الأوربية (ألمانيا، إسبانيا، بلجيكا) مع فرنسا حول احتلال المغرب الأقصى، أما العامل الاقتصادي فيتمثل في كثرة المنتوجات الفلاحية وغيرها من البضائع القادمة من المغرب الأقصى لتصديرها عن طريق ميناء وهران، حيث طول المسافة سبّب ارتفاع نسبة فساد وإتلاف البضائع وهلاك المواشي.

لهذا كلّه رأت السلطات الفرنسية ضرورة تفادي هذه النقائص بنسبة معينة في حالة إنشاء ميناء بالجهة خاصة بعد معركة سيدي إبراهيم مع الأمير عبد القادر حيث ازدادت وتيرة المعمرين وتوسّعت نشاطاتهم المهنية[3].

وتعود فكرة إنشاء منفذ بحري قريب من المغرب الأقصى إلى عام 1886[4] عندما أعلن لويس صاي[5] عن مشروع ميناء ولكن المحاولة باءت بالفشل الذريع ابتداءًا من عام 1907 بعدما استعمرت مدينة وجدة المغربية، وتمّ إعطاء دفع جديد لميناء الغزوات ليكون مركز عبور لكل المنتوجات .وتبعاً لذلك قُضي على مشروع

---

(1) أنظر الصور في الملاحق، ص 205.

(2) Le Frotter de la Garenne Nemours. Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'oran /tome 8 ; 1888 ; p228.

(3) Ibid, p230.

(4) Cardonne. P, et Rabot.J ; la colonisation dans l'ouest Oranais. Alger. Heintz ;1930 ; p 111-134

(5) لويس صاي هو أحد رجال الأعمال الفرنسيين من مواليد كانت 1844 في 1879 أصبح منتدبا لدى وزارة المستعمرات بباريس وفي سنة 1883 ترشح للانتخابات التشريعية في إقليم قسنطينة ببرنامج تضمن ضرورة السيطرة على المنافذ البحرية المتوسطية بغية احتلال تونس والمغرب الأقصى،توفي 1915، لكن مشروعه لم ير النور.

ميناء صاي، ويبيّن جيلالي صاري بأن مدينة الغزوات كانت تعتبر منفذاً بالنسبة للمغرب الأقصى[1].

وهكذا عرف هذا الميناء الصغير نوعاً من النشاط التجاري منذ السنوات الأولى من الاحتلال. فالدراسات المونوغرافية التي أنجزها المعمرون عن المنطقة، تدل على الأهمية التجارية لهذا الميناء ،وتشير بعض الإحصاءات إلى مدى حركة النشاط التجاري بميناء الغزوات مقارنة مع بعض موانئ الغرب الجزائري. فكانت تصدر كل الحبوب المنتجة في النواحي المجاورة[2] لهذا الميناء في اتجاه فرنسا أولاً وأوربا الغربية ثانياً.

الجدول (3:1) يبين دور الميناء في عملية الشحن (تصدير واستيراد) في العهد الاستعماري.

السنوات	عدد السفن الراسية بميناء الغزوات
1890	570
1900	372
1910	585
1920	587
1930	646
1938	673

المصدر : Françis Llabador ; op.cit 603

(1) Jillali SARI Ghazaouet débouché d'Oriental Marocain in Maghreb–Machrek. Vol 60. 1973. pp27-33.

(2) تمتد هذه النواحي من ندرومة إلى المغرب الأقصى، بلغت مساحتها الزراعية 500 هكتارا. أنظر خريطة التقسيم الإداري، ص 203.

كما ظهرت صناعة جد معتبرة ساهمت في الرفع من قيمة الصادرات آنـــذاك وهي صناعة الألياف النباتية .فكان هناك 25 مصنعاً فـــي محـــور طولـــه 25 كلـــم وخاصة في ندرومة وسيدي بوجنان وباب العسّة وسيدي ابراهيم، تقوم بصناعة هـذه الألياف النباتية فتشترى هذه المنتوجات من طرف تجار من مدينة وهـــران الذيـــن كانوا بدورهم يقومون بتصديرها عبر ميناء نمور Nemours نحو إيطاليـــا وألمانيـــا وبلجيكا لتصل إلى ما يُقدّر ب 200 ألف قنطار من المنتوج سنوياً[1].

فبالإضافة إلى الألياف النباتية هناك منتوجات أخرى كانت تُصدر كالحلفـــاء والخروب، فمثلا صدرت 12000 طن سنوياً من الحلفاء نحو إنجلـترا وما بين 1600 و2000 طن من الخروب نحو فرنسا بهدف صناعة السكر[2].

أما الواردات فقد تمّ استيراد ما يُقدّر بثلاثة أربـــاع مـــن واردات المغـــرب الأقصى عن طريق ميناء الغزوات منها 3000 طن من الأسمدة[3].

إلا أنه لم يتوقف نشاط الميناء على التصدير والاستيراد وإنمـــا كـــان مينـــاء للصيد البحري حيث شهد تطوراً في أسطوله البحري منذ بداية القرن العشرين، ممـــا ساعد على تطور وإنجاز ورشات صغيرة خاصة بتصبـــير السـمك حيـــث كـــان للإيطاليين الفضل في تطوير هذه الحرفة باعتبـــارهم أكـــثر الشـــعوب الأوروبيـــة استهلاكاً للبلّم. فابتداء أ من سنة 1906 قام المعمرون (لابادور، فالكوني، بـــتزيني، ليقوري، جردانو، مرزيانو، كلالنو، بابالاردو) بإنشـــاء معـــامل للتصبـــير وتمليـــح الأسماك (خاصة البلّم anchois) حيث عمل الجميع على تطوير هذه الصناعـــات،

(1) CARDONNE. P. et RABOT. J ; Op. Cit. P 126.

(2) Ibid, p 127.

(3) Ibid, p 128

فوصل العدد إلى 14 ورشة صناعية كانت تصدر من 1000 إلى 1200 طن من السمك المصبر سنويا إلى فرنسا وإيطاليا[1].

فانتشار هذه الصناعات عمل على زيادة الاستثمار في ميدان بناء السفن وقوارب الصيد لتموين هذه المعامل بالأسماك، وقد انقسمت القوارب حسب أشكالها وتخصصاتها إلى نوعين :

1- لامبارو Lamparo [2]: وهو صنف إيطالي يتراوح طوله ما بين 8 إلى 9 أمتار ووزنه من 1,82طن إلى 5,5 طن، يعمل به ما بين 8 إلى 10 بحارة، واستعمل لأول مرة في البحر الأبيض المتوسط سنة 1960.

2- بوبامونا Popa Mona [3]: وهو نوع إسباني يبلغ طوله 11,5مترا وعرضه 3,5 مترا ووزنه 5,5 طن.

وقد ساعد هذا على تطوير قطاع الصيد البحري في منطقة الغزوات لكي يكون إحدى القطاعات الأساسية في توفير مناصب الشغل. و ابتداء ا من عام 1946 عمل الفرنسيون على تطوير الحرفة وبالتالي التخلص من هيمنة الإيطاليين على الصيد البحري.

---

(1) CARDONNE. P. et RABOT.J ; op. Cit. P 128.

(2) الصورة ص 207.

(3) الصورة ص 207.

الجدول (4:1) يبين وظيفة قطاع الصيد البحري بميناء الغزوات حتى سنة 1962.

السنوات	أسطول الصيد البحري	عدد البحارة الصيادين	إنتاج السمك (بالطن)
1926	55	398	2189.80
1950	//	//	3584.64
1952	//	//	4616.76
1954	//	398	2367.98
1956	60	730	2751.98
1958	74	866	1970.08
1960	69	808	2903.69
1962	75	880	3108.98

المصدر : مصلحة الصيد البحري لميناء الغزوات.

تشير هذه الإحصائيات إلى أهمية القطاع منذ استعمار المنطقة حيث كان الإنتاج مرتفعا وهذا لوجود أسطول صيد بحري جّد معتبر سمح بتشغيل عدد غير قليل من البحارة الصيادين.

ومن هنا فإن أهمية قطاع الصيد البحري بالميناء خلال العهد الاستعماري جعلت تعداد البحارة الصيادين يتزايد عبر السنوات حيث نجد الفرنسيين والإسبانيين والإيطاليين والجزائريين واليهود.

فهذا النشاط شجع المعمرين على تطوير النشاط البحري بالمنطقـــة، ليحتـــل ميناء الغزوات في سنة 1926 الرتبة الأولى من حيث إنتـــاج الأســماك وخاصـــة الزرقاء منها، مقارنة مع موانئ القطاع الوهراني الأخرى.فالجدول رقم 5 يبيـــن الكميات المنتجة من الأسماك في موانئ الغرب الجزائري سنة 1926.

الجدول:(5:1) يبين الكميات المصطادة من السمك بالقنطار في الســـاحل الوهرانـــي خلال سنة 1926

الموانئ	وهران	مرسى الكبير	بني صاف	مستغانم	أرزيو	الغزوات	المجموع
الأسماك الزرقاء	4.133	5.673	9.902	1.800	19.800	21.997	45.445
الأسماك البيضاء	4.480	//	11.393	5.839	6.960	751	29.623
الرخويات	33	15	//	//	2	//	50
نمادج أخرى	1.525	2.026	403	423	3.602	176	8.155
المجموع	10.171	7.714	21.898	8.062	12.504	22.924	83.273

Source : M. Nevolla, ''Le Quartier d'oran : Pêche et pêcheurs'', in Bulletin de Société Géographique et archéologique d'Oran, 1927 : 45

يظهر لنا الجدول رقم (5:1) الأهمية الاقتصادية لقطـــاع الصيـــد البحـــري بالمنطقة والذي عمل على خلق مناصب شغل للسكان المحليـــن. فممارســـة مهنـــة الصيد البحري من طرف سكان المنطقة شكلت الفضاء الذي من خلالـــه اســـتطاع هؤلاء السكان تعلم مهنة جديدة سمحت لهم بـــالاقتراب مـــن البحـــارة المعمريـــن، ليكتسبوا مهارات وكفاءات مهنية. كما أن هذا الفضاء يعتبر مجال التقاء وتعـــايش عدة أفراد وجماعات ذي أصول إثنية مختلفة بحيث يرى أحد المشرفين عن قطـــاع الصيد آنذاك، أن هناك نقص في التجانس (Homogénéité عند البحـــارة الصيـــادين

بالموانئ السبع للقطاع الوهراني، ففي Nemours (الغزوات حاليا) نجد كل الفئات الإثنية المتواجدة في الجهة[1].

عمل الاستعمار الفرنسي على تشجيع وتسهيل مهمة تنقل الأوروبيين إلى التراب الجزائري من أجل استغلال ثرواتها السمكية، ففضاء الصيد البحري مثله مثل القطاع الزراعي، كان مجال وفضاء هام بالنسبة للأوروبيين. ففي 01 جانفي من سنة 1926، كان مجموع البحارة الصيادين بالقطاع الوهراني، يساوي 1760 بحار، من بينهم 234 أجنبي، 60 بحار من جنسية فرنسية، 786 من أصل إسباني، 571 من أصل إيطالي، و319 السكان المحليين Indigènes، و24 بحار من أصل إسرائيلي[2] وفي ميناء الغزوات بلغ عدد البحارة الصيادين المسجلين 306 بحاراً منهم 44 إسبانياً و18 إيطالياً و10 فرنسيين و195 جزائريًا و23 يهودياً.

فمن خلال هذا نلاحظ ارتفاع تعداد البحارة الإسبانيين لقرب المسافة من بلادهم، أما الإيطاليون فكانت نسبتهم أقلّ بسبب التواجد الموسمي (ما بين مارس وسبتمبر) ثم العودة إلى إيطاليا. إن ظهور هذا النشاط المهني ساعد السكان المحليين على الرفع من دخلهم، فإلى جانب العمل الفلاحي، يقوم معظم الفلاحين بتلبية طلب أرباب العمل البحري وخاصة أثناء الانتهاء من الأعمال الزراعية. فحسب نوفلا Novella[3] أن من بين البحارة الصيادين المسجلين بميناء الغزوات،

(1) M. NEVOLLA "Le Quartier d'oran : Pêche et pêcheurs", in Bulletin de Société Géographique et archéologique d'Oran, 1927 : P47

(2) Ibid. P48.

(3) Administrateur principal de l'inscription maritime ; chef du quartier d'Oran.

نجد 115 بحار موسمي، يتوجهون نحو العمل البحري عند الانتهاء من العمل الزراعي[1].

فالعمل البحري كان مصدر رزق بعض الفئات الاجتماعية التي لم تكن تعتبر في ذلك الوقت العمل البحري كعمل يمكن الاستقرار به وهذا نظرا لخصوصيته والمتمثلة في التذبذب في الدخل وظروف العمل الجد قاسية.

فالتركيبة الاجتماعية للفئات المهنية التي عمرت سواحلنا، في ذلك الوقت لم تكن تختلف في مميزاتها الثقافية عن الفلاحين المحليين. فيتسأل أحد المعمرين عن الأصول الاجتماعية لأولئك البحارة الصيادين، فيقول : "كل العالم يعرف الأصول الاجتماعية للبحارة الصيادين والذين جاءوا من المناطق الأكثر فقرًا وتخلفًا وجهلاً من السواحل الإيطالية والإسبانية. فهم حقيقة فضالة أو نفاية اجتماعية، والذين يتصفون بالخمول الاجتماعي والانغلاق عن النفس، فهم منعزلون عن باقي أفراد المجتمع، فقد عاشوا مهمشين .... فهم لم يقوموا بأي جهد من أجل تطوير وضعيتهم، فلم يبعثوا بأطفالهم إلى المدارس وهم كذلك ليس لديهم أي استعداد للتعلم،... فإنهم أقل استعدادا لتحسين وضعيهم"[2].

فرغم تلك الصفات التي يمتاز بها أولئك البحارة إلا أنهم استطاعوا أن يشكلوا قطاع اقتصادي هام بالمنطقة عن طريق استثمارهم في ميدان الصيد البحري.

كما نلاحظ أن قطاع الصيد البحري عرف مرحلة من التطور حتى سنوات الاستقلال، حيث وصل عدد أسطول الصيد البحري إلى 75 قارب صيد، ثم تناقص

---

(1) M. NEVOLLA, Le Quartier d'oran : Pêche et pêcheurs'' Op. Cit. p 47

(2) Ibid., p51-52

هذا العدد بعد السنوات التي تلت الاستقلال ليصل إلى 20 قارب سنة 1964. هـذا ما أثر على فرص العمل، ليتناقص عدد البحارة من 881 بحار سنة 1956 إلـى 250 بحار سنة 1964.

فالتفسير الأساسي لهذه التحولات التي عرفها القطـاع يكمـن فـي رحيـل المعمرين، إلا أنهم تركوا ذخر معرفي أو كفاءة ممارسة Un Savoir Faire بالمنطقـة وثقافة مهنية مرتبطة بالعمل البحري.

وهذا ما شجع البحارة الصيادين المحليّين على مواصلة ممارسة مهنة الصيـد رغم الصعوبات الفيزيقية والمهنية التي يتصف بها العمل البحري وذلك حتى بدايـة سنة 1970 حيث اضطر بعض البحارة الصيادين إلى الهجرة خارج الجزائر كفرنسا خاصة[1].

تجسدت السياسة الاقتصادية الجزائرية في مخططات تنموية ابتداء أ مـن السبعينيات بحيث نلمس هذه السياسة في كثرة المنشآت الصناعية ولـهذا اسـتفادت مدينة الغزوات بمشروعين ضخمين يعـدان مـن المشـاريع الصناعيـة الكـبرى، فالمشروع الأول يتمثل في إنشاء وحدة صناعية للزنك باشرت الإنتـاج سـنة 1974 ويشتغل فيه 800 عاملاً، أما المشروع الثاني فيتمثل في وحدة للخزف الصحي أنشئت سنة 1976 وتشغل 500 عامل.

أدى التصنيع في المدينة إلى التأثير العكسي على نظـرة السـكان المحليّـن بحيث ظهر نوع من السخط الاجتماعي على هذا التصنيع، رغم الجـانب الإيجـابي

---

(1) فحسب إحصائيات 1977 هناك 3025 مغترب من منطقة الغزوات.
أنظر: Caisse Algérienne d'aménagement du territoire ; étude socio-économique des 8 communes de la wilaya de Tlemcen ; publication officielle 1977.

الذي ترتب عنه من خلال خلق فرص للعمل المأجور والقضاء على البطالة، وبالتالي بعث الحياة الاقتصادية والاجتماعية من جديد.

فالسخط الاجتماعي يكمن في تشييد مصنع الزنك في وسط المدينة على مساحة شاطئ سياحي هام، حيث هدمت معامل تصبير الأسماك إلى جانب مؤسسة ثقافية هي "سينما الشاطئ Ciné Plage".كما أن السكان يرون أن هذه المؤسسة الاقتصادية تعمل على تلويث المحيط[1]، سواء عن طريق السوائل التي تُرمى في عرض البحر أو التلوّث الهوائي عن طريق المدخنة الكبيرة للمصنع[2] والتي أصبحت في نظر الكثير من السكان السبب ا لرئيسي للإصابة بأمراض الجهاز التنفسي كالرّبو والسّعال المزمن والحساسية عند مختلف فئات الأعمار.

وفي غياب دراسة علمية جادة حول التأثيرات العامة والخاصة التي يحدثها هذا المركب الصناعي، يصعب حقيقة رسم حدود الوضع القائم الذي يتميز بالكارثية.

ومن جهة أخرى عملت هذه المؤسسة على تطوير نشاط الميناء التجاري وخاصة بعد إنجاز طريق وطني يربط الغزوات بتلمسان مروراً بمنطقة ترارا التي كانت تعاني العزلة الشديدة قبل الاستقلال وبعده بقليل.

فالإحصائيات تشير إلى أن مدينة الغزوات عرفت نمواً ديموغرافياً هاماً، فبينما كان عدد سكانها سنة 1966 ما يعادل 19795 نسمة فقط، ارتفع عام 1977 إلى 26742 نسمة ثم 29795 نسمة سنة 1987 وأخيرًا 33039 نسمة سنة 1997.

---

(1) SEMMOUD Bouziane : l'industrialisation de Ghazaouet : Etude de Localisation Industrielle. Implications- ,Géographiques ; In Cahiers Géographiques de l'Ouest. N°2-31979. pp271-274.

(2) رغم عملية الإصلاح والترميم التي أشرفت عليها شركة إسبانية متخصصة بأهم ورشات المصنع سنة 2001 وذلك من أجل حماية البيئة لا يزال المصنع يشكل خطراً على الصحة العمومية والحياة النباتية والبحرية.

وعليه فإن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على المنطقة أثرت على الحياة اليومية للسكان بحيث أصبح لمعظم الأفراد علاقات وطيدة مع الصناعة ساهمت في تقليص نسبة التجانس والتضامن.

وكان العمل في قطاع الصيد البحري غير مرغوب فيه لتخوّف أغلبية أفراد المجتمع من طبيعة وظروف العمل بهذا القطاع. فكانت فئة البحارة الصيادين تتكوّن من أولئك الذين لديهم ارتباط اجتماعي مع هذا القطاع (ممارسة الأب لهذه المهنة أو أحد أفراد العائلة)، مما جعل الكثير منهم يتجه صوب العمل الصناعي[1]، لكن سرعان ما تركه البعض بعد بضعة شهور بسبب محيط العمل الذي يفرض نوعاً من السلوك والانضباط.

ولكن تفاقم مشاكل البطالة وتدني مستوى الشغل جعلا من قطاع الصيد البحري يصبح إحدى أهم القطاعات بالمدينة وخاصة مع بداية الثمانينيات[2] .

كما هو واضح من خلال الجدول 6 نلاحظ أن هناك اهتمام متزايد بهذا القطاع نظراً للاستثمارات المتزايدة في شراء الأسطول البحري مما أدى إلى توسيع القوى العاملة بهذا القطاع.

---

(1) مراد مولاي الحاج "الغزوات : "مدينة في ظل التحولات السوسيو-ثقافية " في إنسانيات، العدد 5، 1998، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية بوهران ،ص35-47.

(2) بعد عواصف 26 ديسمبر 1980 التي تكبد فيها البحارة الصيادون خسائر فادحة في العتاد قدمت الدولة تسهيلات وقروض من أجل تجديد الأسطول فتمّ استيراد السفن من إسبانيا و فرنسا .

الجدول (6:1) يبين تطور قطاع الصيد البحري بميناء الغزوات

السنوات	أسطول الصيد	عدد البحارة الصيادين	إنتاج السمك بالطن
1964	20	250	1848,84
1970	27	340	2529,23
1972	23	280	2494,88
1975	29	370	4112,63
1980	40	400	2405,00
1983	61	718	5165,00
1986	76	921	5506,40
1988	80	1088	6409,64
1990	92	1202	8415,50
1992	99	1311	10289,74
1994	100	1380	12470,13
1997	105	1591	8478,33
1999	105	1573	11126,32
2000	107	1571	10045,78
2001	111	1586	13339,78
2002	128	1610	11571,24
2003	127	1628	11050,60
2004	127	1413	7463,22

المصدر :مندوبية الصيد البحري بميناء الغزوات.

أما من حيث إنتاج الصيد البحري فنلاحظ من خلال الجدول رقم 7 أنه عرف تطورًا معتبرا في ميناء الغزوات منذ 1980 على غرار موانئ الصيد في الجهة

الغربية بسب الاهتمام المتزايد بقطاع الصيد البحري، وهذا رغم توفر الهياكل الأساسية اللازمة وعدم تطبيق التقنيات المناسبة في العمل ونقص التأهيل لدى البحارة الصيادين بصفة عامة.

جدول (1: 7) يبين تطور إنتاج الصيد البحري بموانئ الجهة الغربية من الجزائر.

الميناء / السنوات	1980	1981	1982	1983	1984
الغزوات	2405	3486	4585	5165	6200
بني صاف	4905	3037	6475	8010	8800
وهران	8061	7348	9030	10140	11300
أرزيو	294	118	1420	1910	2110
مستغانم	3205	1802	3340	3490	3690

الوحدة :الطن

المصدر: الجزائر، الدليل الاقتصادي والاجتماعي، المرجع السابق، ص111.

يتربع ميناء الغزوات على مساحة تقدر بـ25 هكتاراً ويتكون من عشرة أرصفة ولكن يعرف اكتظاظا كبيراً[1] لأنه يصنف كميناء مشترك يجمع بين نشاط الصيد البحري والنشاط التجاري وباستثناء الحوض المخصص لرسو السردينيات والذي تبلغ مساحته هكتار واحد بسعة لا تفوق عشرين سفينة، تجد سفن الصيد صعوبات كبيرة في إيجاد مكان ترسو فيه وخاصة الجيبيات التي لا تملك مكان

(1) فشل مشروع ميناء هونين في أداء المهمة التي أنجز من أجلها وهي رفع الضغط عن ميناء الغزوات لأن البحارة الصيادين يرفضون استغلاله منذ أكثر من سبع سنوات من إنجازه لأسباب تقنية تتمثل في أن القوارب لا يكتمل توازنها في الحوض لقرب مياهه من سطح الرصيف زيادة على انعدام المرافق المكملة لنشاط الصيد البحري وأخرى اجتماعية لا تسمح للبحارة الصيادين بالاستقرار.

محدد داخل الميناء ترسو فيه ، فهي مضطرة للتنقل يوميا بين الأرصفة العشرة التي يتكون منها الميناء. وما زاد الأمر تعقيدا هو فتح الخط البحري[1] لنقل المسافرين ما بين الغزوات وألميريا الإسبانية حيث أصبح الميناء يجمع بين عدة نشاطات في آن واحد مما انعكس سلبيا على قطاع الصيد البحري. وخاصة أن هناك 12 سفينة من مجموع السفن -بلغت 127 سفينة في 30 أكتوبر 2004 – قدمت إلى ميناء الغزوات من موانئ أخرى كبني صاف ووهران وبوشجر نظرا لارتفاع نسبة مردودية الإنتاج بالدرجة الأولى وكذا لأسباب مهنية أخرى.

ولهذا تم تسجيل مشروع إنجاز ميناء خاص بالصيد البحري[2] لتخفيف الضغط من جهة والعمل على إعادة بعث نشاط الصيد البحري من جهة أخرى. علما أن وسائل دعم الإنتاج تبقى دون المستوى المطلوب كالمسمكة[3] التي يحتج[4] البحارة الصيادون منذ سنة 2001 على طريقة استئجارها نظرا للنقائص الموجودة في مرافقها. فبيع السمك يتم على الرصيف ولا وجود لطبيب بيطري[5] مختص وحتى ندرة المياه، ولذا لديهم رغبة في تسييرها في شكل تعاونية جماعية.

---

(1) ابتداء ا من 21 جوان 2002 حيث تبلغ المسافة الممتدة بين الميناءين 160 كلم تقطع في ظرف 6ساعات ونصف.

ينظر: El HADI HADDADOU. Liaison Maritime Espagne Almeria-Ghazaouet ; Phare. Journal des Echanges Internationaux, des Transports et de la Logistique. N°40; Août 2002; p 18.

(2) هو في طور الدراسة لم يتم بعد اختيار الموقع الذي ينبغي فيه مراعاة الجوانب الاجتماعية للصيادين والاقتصادية للنشاط.

(3) تتربع على مساحة 1800 متر مربع و12 مربع ويشتغل بها 28 عاملا وتشرف عليها مصالح النظافة لبلدية الغزوات.

(4) شهدت مدينة الغزوات مسيرة احتجاجية شنها البحارة الصيادون في 28 أوت 2003 انطلقت من مقر الملاحة البحرية إلى دار البلدية للمطالبة بتسوية وضعية المسمكة.

(5) في غياب الطبيب البيطري بالمسمكة يبقى السمك الموجه الاستهلاك محل تساؤلات عديدة.

وذلك في غياب الإطار القانوني خلال المزايدة التي حضرها بعضهم فقط مع العلم أنه ينبغي تهيئة مسمكة جديدة بميناء الغزوات تتطلع إلى كلّ المتطلبات والمقاييس التقنية الجديدة التي يتوفر عليها مثل هذه المنشآت العصرية لدعم وسيلة الإنتاج[1].

أمّا عملية التبريد فتبقى ناقصة بحيث توجد وحدة للتبريد فقط تسمى MAGOR أنشئت سنة 1997 وتتربع على مساحة قدرها 6000 متر مربع وسعة استيعاب تقدر بـ2000 طن منقسمة إلى سبع غرف تبريد، هذا بالإضافة نقص إنتاج الجليد وخاصة في فصل الصيف حيث تزداد الحاجيات بفعل ارتفاع درجة الحرارة، كما أن وحدات التحويل هي منعدمة ، فهناك أربع وحدات منها وحدة عاطلة وأخرى متوقفة عن النشاط منذ أبريل 2000وهي في طريق البيع لمؤسسة الأخوين Les deux frères. أما معدات الرفع إلى اليابسة فتتمثل في رافعة فعالة واحدة تبلغ سعتها 90 طن تستغل في مربع الجذب الوحيد الموجود على مستوى الميناء.

ومن مشاكل الصيد البحري ارتفاع سعر لوازم الصيد كالشبّاك والحبال المعدنية والمياه المثلجة والمصابيح الكهربائية والألبسة الخاصة إضافة إلى الاستهلاك الكبير للوقود الذي ارتفع ثمنه عدة مرات.

يقتصر الأسطول البحري على سفن قديمة يتطلب إصلاحها أموالا باهضة فهناك حسب الصيادين من لجأ إلى إسبانيا لتصليح قاربه لنقص الكفاءة اللازمة لدى الجزائريين. إضافة إلى الصيد بالطرق التقليدية وهذا لانعدام المؤهلات العلمية

(1) يدخل هذا في إطار الإجراءات الواجب اتخاذها من قبل مديرية الصيد البحري و الموارد الصيدية لولاية تلمسان.

للصيادين،وكما هو واضح من خلال الجدول رقم (8:1) فأسطول الصيد البحري الذي ينشط بميناء الغزوات هو معتبر ويتكون من مختلف الأنواع والتخصصات والأشكال:

نوع السفن	الجيبيات	السردينيات	قوارب	المجموع
أسطول مسجل	50	41	34	125
سفن نشطة	46	38	12	96
سفن عاطلة	04	03	22	29
سفن نشطة من موانئ أخرى	06	04	00	10

المصدر :مندوبية الصيد البحري بميناء الغزوات.

قد أشارت نتائج التنقيب عن الثروات السمكية التي تزخر بها منطقة الغزوات إلى أن المخزون الممكن اصطياده يقدر بـ 17523طن في السنة فيما لم يتحقق منه سوى 66%، أما الإنتاج السنوي فعرف تراجعًا قدر بـ 13,25 في المائة بحيث انخفض الإنتاج من 13339طن سنة2001 إلى 11571 طنا سنة 2002 شكلت فيه السر دينيات 50 في المائة[1].

(1) تقرير عن وضعية نشاطات وتنمية قطاع الصيد البحري والموارد الصيدية لولاية تلمسان، مارس 2003، ص18.

والجدول (9:1) يوضح هذا الإنتاج حسب الصنف:

الصنف	2001		2002	
سمك قاري	940	%7	807	%7
سمك قاري صغير	11513	% 86	9897	% 85
قشريات	481	%4	292	%2.50
سمك قاري كبير	123	%1	338	%3
قرش	26	%0.20	11	%0.50
رخويات	153	%1.80	223	%2
المجموع	13339	%100	11571	%100

الوحدة: الطن.

المصدر :مندوبية الصيد البحري بميناء الغزوات.

وعليه يمكن استنتاج ما يلي :

- مساهمة السمك المتنقل الصغير بنسبة 85% في تكوين الإنتاج السنوي.
- قلة إنتاج سمك القرش.
- ارتفاع إنتاج صنف السمك المتنقل الكبير مقارنة بسنة2001.

بما أن الإنتاج السنوي مرتبط بنوع السفن المستعملة فالجدول (10.1) يوضح لنا ذلك حسب أنواع الأسماك:

المهنة	قاري	متنقل صغير	قشريات	متنقل كبير	قرش	رخويات	المجموع	النسبة
جيبيات	769	3568	292	37	9	221	4898	%42
سردينيات	2	6268	--	255	--	--	6523	%57
قوارب	36	62	--	47	3	2	151	%3
المجموع	807	9898	292	339	12	223	11571	%100

المصدر :مندوبية الصيد البحري بميناء الغزوات. الوحدة: الطن

وإذا كان المردود يبقى ضعيفا رغم الإمكانيات الكبيرة التي تزخر بها سواحل المنطقة فذلك يعود أساسًا إلى نقص التكوين والتأهيل في وسط البحارة بنسبة 76بالمائة من أصل 1610 بحار صياد وكذا قدم أسطول الصيد إذ 80 قاربا متوسط أعمارها تجاوزت 20 سنة و 27 قاربا فقط لا يتجاوز عمرها عشر سنوات. والعراقيل التي تواجه أصحابه في تجديدها وندرة قطع الغيار وغلائه بالسوق الموازية مما دفع بعض البحارة الصيادين إلى انتهاج أساليب محظورة في الصيد[1]

(1) سجلت على إثرها المصالح المختصة 34 مخالفة سنة 2002 منها ضبط 24 قارب متلبس بالصيد في المياه المحرمة و10 قوارب على متنها سمك من حجم غير قابل للتسويق.

كـــعدم احترام مسافة الصيد التي تؤثر بدرجة خطيرة على عملية تكاثر الأســماك[1] زيادة على عامل التلوث وكذا غياب المراقبة[2] ونقص الخبرة في ميـــدان تصديـــر السمك بحيث هناك بعض الأنواع حسب بعض البحارة الصيادين هي فـــي طريـــق الانقراض كالسمك الأبيض بحيث أصبحت الخرجة الواحدة للصيد والتي تدوم أثنـــى عشر ساعة وتكلف حوالي ألف لـــتر من المازوت لا تثمر ســـوى علـــى ثمانيـــة صناديق على أكبر تقدير يتراوح وزن الواحد منها ما بين 15 و18 كلغ ، ممـــا أدى ببعض ملاك سفن الجيبيات إلى استعمال تقنيات أخرى متمثلة في اســـتعمال شـــباك ذات الأربعة أوجه fillet quatre face والمحظور في بعض الدول الأوربية بحيـــث لا يتمّ التمييز من خلاله بين الأسماك الصالحة للاستهلاك والتـــي لا تحـــترم فيـــها المقاسات التي حددتها وزارة الصيد البحري.

ارتبطت ظاهرة تهريب السمك الأبيض بالمردود العام للأســـماك –وخاصـــة خلال الفترة الممتدة من 1989 إلى 1994. فقد تراوحت الكميات التي يتم تهريبـــها يوميًّا انطلاقـــًا من ميناء الغزوات ما بين 90 و140 صندوقـــا[3] ثـــم يتـــمّ تكييفـــه وتعبئته بميناء الناظور بالمـــغرب الأقصى على أساس أنه سمك مغربي وذلـــك قبل تـــمـــريره إلى إسبانيا[4].

وبعد غلـــق الحدود المغربية في أوت 1994 عرفت عملية تصديـــر الســـمك مرحلة الـــتقنين بحيث أصبحت من احتكار 10 مصدرين يمتد نشاطهم مـــن ميناـــء

---

(1) فنسبة كبيرة من السمك المصطاد غير قابلة للتسويق لأنه لا يحمل المقاسات المحددة من قبل الوزارة مما أدى بـــأحد أعضاء المجلس الشعبي الولائي بأخذ عينة من هذا النوع لإطلاع السلطات الولائية على الفوضى التـــي يعيشـــها قطـــاع الصيد البحري.دورة 2002.

(2) فطريقة الصيد التي تنتهج تستدعي تدخل الدولة لحماية الثروة السمكية.

(3) مندوبية الصيد البحري لميناء الغزوات

(4) جريدة الخبر، السنة 12، العدد 3892، 25 سبتمبر 2003، ص 4، اكتسحت الأسماك الجزائرية وخاصـــة القشـــريات والأخطبوط مسمكات إسبانيا على أساس أنه سمك مغربي .

مستغانم إلى الغزوات مرورًا بوهران وبني صاف بحيث تنتشر أنواع من الأسماك يكثر عليها الطلب في إسبانيا كالجمبري، اللانقوستن الفرامانطوا، الميرو والأخطبوط. فقد تمّ تصدير في السداسي الأول من عام 2002 ما بين 4 و8 طن من الجمبري وما بين 10 و20 طن من الأخطبوط إلى إسبانيا[1]، خاصة بعد إبرام اتفاقيات الشراكة الإسبانية –الجزائرية بحيث سُمح لهذه السفن الإسبانية بالصيد في المياه الإقليمية الجزائرية والتي أصبحت متلفة للثروة السمكية وذلك في غياب الرقابة الرادعة والمتابعة[2].

يبقى تطوير قطاع الصيد البحري بميناء الغزوات مرهون بعدد من الإجراءات ينبغي اتخاذها:

– إعادة بعث نشاط القوارب الصغيرة علمًا أن هذا النوع من الاستثمار لا يكلف مبالغ مالية كبيرة بل يمكن استغلال مخزون الثروة السمكية الموجود في المناطق الوعرة التي لا تنشط فيها الجيبيات. وفي هذا الصدد استفاد ميناء الغزوات من 30 قارباً من ضمن حصة 100 قارب صيد بموجب الاتفاقية المبرمة بين وزارتي الصيد البحري والموارد الصيدية والتضامن الاجتماعي.

–تشجيع الاستثمار في النشاطات الملحقة للصيد البحري مثل تحويل منتوجات البحر، بيع قطع غيار محركات السفن وخاصة صناعة وصيانة مراكب الصيد. إن هذا النوع من النشاط يكاد يكون منعدما بسبب توقف وحدة صناعة و صيانة القوارب E COREP بالغزوات عن العمل، بالإضافة إلى عدم وجود حرفيين مؤهلين في النجارة الخاصة بصيانة السفن وفي الميكانيك والكهرباء مما يؤدي إلى

---

(1) إحصائيات مديرية الصيد البحري والموارد الصيدية لولاية تلمسان.

(2) فحسب بعض البحارة الصيادين في ميناء الغزوات أن العديد من سفن الشراكة ترمي كميات هائلة من السمك الأبيض في عرض البحر لأنه لا يفضله المطعم الإسباني ،و هنا يتحدد الوجه السلبي لهذه الشراكة .

نقل القوارب خارج الميناء، وبالضبط إلى ميناء بني صاف. وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة تشجيع التكوين المهني في الميدان لأنه يعد مشكل كبير يعاني منه القطاع .

بما أن سفن الصيد في ميناء الغزوات مختصة في صنف الصيد الساحلي أصبح من الضروري تشجيع اقتناء سفن الصيد صنف أعالي البحار الذي يلعب دوراً هاماً في حسن استغلال الثروات السمكية التي تزخر بها المنطقة ورفع الإنتاج السمكي، شريطة تكوين مهنيين مختصين في استعمال المعدات العصرية في التنقيب عن الأسماك حيث تم برمجة مشروع مدرسة جهوية للصيد البحري ستسمح برسكلة البحارة الصيادين في التقنيات الحديثة .

كما أن مشروع ميناء الصيد البحري الذي أقرّه مكتب المنشآت البحرية في نوفمبر 2004 يلقى معارضة من قبل البحارة الصيادين لأسباب تنظيمية منها مشكل التّسويق .

-تشجيع وتفعيل البحث العلمي في القطاع من خلال اتفاقية أبرمت بين المديرية الولائية للصيد البحري والموارد الصيدية وجامعة تلمسان مع تخصيص مكتب على مستوى الميناء لمتابعة العمليات العلمية وخاصة من أجل إثراء مشروع قانون البحار الصياد[1].

(1) تقرير عن وضعية نشاطات وتنمية قطاع الصيد البحري والموارد الصيدية لولاية تلمسان، مارس 2003، ص18-19.

خلاصـــة:

تمكنّا في بداية الفصل الأول من تحديد أسس منهجية البحث حيث تـــأكد لنـــا بأنه يجب على الباحث الذي يريد دراسة البحارة الصيادين أن تكون لديـــه معرفـــة بمحيط البحارة وطبيعة عملهم ولغة تواصلهم، وعلى العموم ينبغي أن يكـــون ابـــن المنطقة المدروسة، وهذا ما أدى إلى قلة الدراسات الأكاديمية التي تعالج موضـــوع البحارة الصيادين.

تكمن معاناة الصيد البحري في فقدانه للمكانة اللائقة به فـــي الاقتصـــاد الوطني جراء اللاستقرار المؤسساتي والتنظيمي الذي ميزه منذ الاســـتقلال مكرسًـــا ترحاله من وصاية إلى أخرى حتى سنة 1999، وفي الظـــروف المزريـــة للبحـــارة الصيادين من انعدام الاحترافية وقدم لوسائل الصيد وخاصة السفن التي يقدر معـــدل عمر أغلبها بـــ 25 سنة، والاستغلال غير العقلاني للمصائد والعقار الصيـــدي ثـــم انعدام الاستثمارات في مجال الصيد البحري والموارد الصيدية كمؤسسات تصنيـــع معدات وتجهيزات الصيد، إذ لا يزال المهنيون يقتنون قطع الغيار من الخارج. هـــذا إلى جانب غياب الاستثمار في نشاطات تربية المائيات واقتصاره على الاســـتزراع فقط. كما أن سعر الوقود يعتبر عبئا ثقيلا على البحارة الصيادين حيث يمثل ما قيمته 40 إلى 60% من التكلفة الإجمالية للعمل اليومي، إضافة إلى نمط التسويق المخترق من قبل الوسطاء والمضاربين. كما يرتبط تخلف قطاع الصيـــد البحـــري بعوامـــل خارجية ذات علاقة بالطقس والأحوال الجوية والكثافـــة الســـكانية علـــى الشـــريط الساحلي. وعلاوة على ذلك فإن للمواسم أثرها كذلك، ففي موسم الاصطياف حيـــث يكثر الطلب على المنتوج السمكي تدخل معظم المناطق في فترة راحـــة بيولوجيـــة للأصناف القاعية (السمك الأبيض) كل ذلك يؤثر على وفرة السمك الطازج، وهـــذا ما يتسبب في ارتفاع الأسعار رغم ما تزخر به الجزائر من ثروات طبيعية.

وبالمقابل يرتقب إيجاد حلول للقطاع منها ضرورة رفع الإنتاج بترقية وإعادة تأهيل وسائله وعصرنة الأسطول البحري للصيد إذ يرتقب إدخال السوق حوالي 2000 سفينة جديدة وكذا التكفل بالمنشئات المينائية (ويتعلق الأمر ب 15 ميناء) والعمل على تنظيم المهنة وتكريس الاستثمار واستغلال الثروات الصيدية.

ثمّ ركزّنا اهتمامنا على الجانب التاريخي لمدينة الغزوات، مع الإشارة إلى أهم المخلفات الاقتصادية والثقافية للمعمرين في المنطقة، وخاصة في قطاع الصيد البحري، مما أدى بنا إلى شرح بعض آثار الثقافة الإسبانية على البحارة الصيادين. ورغم التصنيع الذي شهدته المدينة من خلال بناء مؤسسات صناعية ذات تكنولوجيا عالية وتنظيم العمل معقد، فإنّها ظلت قائمة على نشاط الصيد البحري. كما اطلعنا على خصوصيات ونوعية نشاط الصيد من خلال معرفة واقع العمل البحري في القوارب والسفن وتنظيمه، فتأكد لنا بأنّ هذه الخصوصيات والنوعية تشكل عوامل أساسية في التحسين من ظروف عمل البحارة الصيادين.

للتخفيف من حدة الضغط حول ميناء الغزوات يقتضي بالضرورة إنشاء ميناء جديد بكل المستلزمات القاعدية التي يتطلبها حجم الأسطول البحري المحلي البالغ 127 قارب في نهاية 2004.

الفصل الثاني

السمات الثقافية و الاجتماعية لفئة البحارة الصيادين

تعد ممارسة نشاط الصيد البحري عاملا أساسيا في ترسيخ الخصائص الاجتماعيـــة والثقافية كما يرى Yvan Breton بحيث ترتكز العلاقات الاجتماعية للبحـــارة علـــى بنية ثقافية مميزة[1]، بل تبقى علاقة الإنسان بالبحر من أقوى الروابط الثقافيـــة بيـــن البحارة الصيادين لأنهم ليسوا كالعمال الآخرين أبدا فكلّ بحار له شعور الابتعاد الذي يسهل التعبير عن الصمت[2]، كما أن هذه العلاقة تفسر الصرامة البدويـــة والعقليـــة لهؤلاء الناس.

انطلاقا من أن الإنسان بالمفهوم الأنثروبولوجي هو كائن ثقـــافي[3]، فالثقافـــة هي خزان جامع للقيم والمعايير والقواعد التي تقوم عليها الجماعة المهنية بـــل هـــي الأساس الذي تدور حوله العلاقات الإنسانية[4].

وبما أن الدراسة الميدانية تفرض على الباحث معرفة الطبقات الاجتماعيـــة والمهنية[5]، فالبحارة الصيادون لهم قواعد مشتركة واهتمامات بـــل علاقاتـــهم هـــي بمثابة المحك الحقيقي لمعرفة تطور نشاط الصيد البحري .

فدراستنا المونوغرافية لقطاع الصيد البحري بميناء الغزوات ســـمحت لنـــا بالوقوف على السمات الثقافية والاجتماعية لفئة البحارة الصيادين عن طريق اقترابنا من الحياة الاجتماعية والمهنية للبحارة الصيادين بالمنطقة، نظرًا لخصوصية الحيـــاة

---

(1) Revue Anthropologie et Sociétés ; Vol 18, n°1, p,97.

(2) Mollat, La vie quotidienne des gens de mer en atlantique ; Hachette; Paris ; 1978 ; p 234.

(3) Adam J ; M ; Le Discours Anthropologique. Paris. ; Meridiens Klinksiek ; 1990; p11

(4) Sain SAINLIEU ; Sociologie de l'organisation et de l'entreprise; press de fondation nationale des sciences politiques ; dalloz ; 1987 ; p 214.

(5) Ibid p 163.

من طبائع وممارسات وسلوك ومزاج لأن الفئات المهنية في الخدمات والصناعة تختلف عن البحارة الصيادين.

ومن هنا فإن المقاربة المعتمدة بعدها أنثروبولوجي ثقافي، وتخصص لدراسة السمات الثقافية والاجتماعية للبحارة الصيادين في ميناء الغزوات حيث لا يمكن تجريد هؤلاء البحارة الصيادين من معتقداتهم التقليدية الموروثة.

أولاً: خصوصيات البحار الصياد

أ- الأصل الاجتماعي والمهني للبحار الصّياد

تعد علاقة الإنسان بالبحر مرتبطة بالنشاط الممارس فيه و بفضاء الاستثمار، و لذا فقد أدخل عدة تعديلات و تحولات على حياة الأفراد للعيش في اتصال مباشر معه ومع الحيوانات البحرية. فقد حولهم إلى بحارة حتى يمكنهم الإبحار والصيد فيه بل يمثل البحر عامل وحدة اجتماعية بين البحارة، ضف إلى ذلك أنه تأكد في بعض الدراسات أن البحار الصياد لا يستطيع أن يعيش إلاّ في البحر حيث عنف هذا الأخير يظهر جلياً في تصرفات وسلوكات البحارة، فهذه الملاحظة قد ميّزت هذه الشرائح الاجتماعية وتّم طرح فكرة أساسية مفادها أن البحارة ينتمون إلى نظام البحر[1].

هذا النظام أدى إلى اعتبار البحار كائن بحريّ، فقد كوّنت هذه الخاصية نظاماً فكرياً مشتركاً بين عدة مجتمعات التي تهتم بأعمال أخرى.

---

(1) Revue Bulletin de Psychologie ; tome L, N°432, 1997; p 655.

لقد ردد سكان وبحارة جزيرة "لامادلين la madeleine" الكندية عبارة تقـــول: "يجب أن يكون لديك دم الفقمة phoque يجري في عروقك حتى تكون بحاراً[1].

وذلك لأن البداهـــة الشعبية جعلتهم يعتقدون أنه يجب على الإنسان أن يكـــون ماء البحر يجري في عروقه و جسده حتى يكون بحاراً، ومنحدراً من عائلة بحـــارة أباً عن جدّ وبالتالي يمكنه ممارسة مهنة بحرية.

ينبغي أن تكون الخصائص الفيزيقية و السيكولوجية التي تدخل في تركيـــب البحار مبلغـــة ومحولة وموروثة عن طريق الحليب والدم، وذلـــــك حتـــى تكـــون سلالة البحارة سليمة .

فقد قيل "لكي تكون بحـــاراً يجب عليك أن تكون ابن صياد". وهذا ليس مـــن باب تعلم المهنة والإرث اللغوي والثقافي، وإنما التركيز على المعادلـــــة الكيميائيـــة والمتمثلة في جريان الماء المالح في الدم المتنقل عن طريـــق حليـــب الأم، زوجـــة البحار الصياد وخاصة بنت البحار والتي تعتبر المرأة والزوجـــة المثاليـــة للبحـــار وإضافة إلى جريان ماء البحر في عروقهم، هناك استنشاق للهواء المشترك ألا وهـــو النسيم البحري والأسماك المتنوعة التي يأكلونها على مدار السنة.

يقول: R. Dervaux في مقابلة عن البحارة: "إنـــهم مـــن ســـلالة البحـــارة ولايخرجون عن هذا المنطلق، وهذا سببه أصل سلالي ذو خصوصيـــات ممـــيزة، فالبحار متمسك بخصوصياته البحرية لأن البحر هو مسقط رأسه و يظل مرتبطاً بـــه سواء داخلياً أوخارجياً[2].

---

(1)Revue Bulletin de Psychologie, Op Cit. p 654.

(2) Ibid. p 655.

أما G. Le Bail فيؤكد على تمييز السلالة المرتبطة بالبحر من خـــلال قولـــه "البحر يكوّن البحار كلياً"، وذلك أ ثناء وصف البحـــارة الـــبروتونيين les pêcheurs Bretons الذين ارتبط الحديث بهم عن رجال البحر في نهاية القرن العشرين، فـــهم شعب بحري ينتمي إلى أمة مرتبطة حقيقة بالأرض[1].

ومن هذا المنطلق يوضح الجدول (2:1) نسبة الانتماء إلى سلالة البحارة:

الحـــالات / البحـــارة	التكرارات	النسبة
ينتمـــي	300	%75
لا ينتمـــي	100	%25
المجموع	400	%100

يبدوا أنّ 75% من البحارة الصيادين ينتمون إلى ســـلالة البحـــارة و25% لا تنتمي،ولكن من جهة أخرى ينقسم هؤلاء المنتمين إلى قســـمين (الكبـــار والشـــباب) والجدول (2:2) يبين نسبة الانتماء عند كل فئة:

الحـــالات / البحـــارة	التكرارات	النسبة
الكبـــار	100	%33,33
الشبـــاب	200	%66,66
المجموع	300	%100

(1) Revue Bulletin de Psychologie, Op Cit, p 655.

ومن هنا نستنتج أنّ نسبة الانتماء جدٌّ مرتفعة عند الكبار كما عند الشباب، فالكبار عددهم 100 بحار صياد لهم سلالة بحرية 100% يمثلون ثلث المجموع المنتمي إلى تلك السلالة، كما أنّ الشباب يمثلون 66,66% للانتماء من المجموعة أيضا.

والنتيجة أن احتراف مهنة الصيد البحري قديما كان مقتصرًا على المنتمين إلى سلالة بحرية،في حين أنّ في الوقت الراهن لم يعد كذلك حيث أصبحت تجمع بين المنتمين وغير المنتمين بصفة عامة.

لقد اتفق علماء البحار على أن أعظم وصف للبحار أنها غير ثابتة وغير ساكنة أي متحركة من خلال عوامل كالمد والجزر والتيارات والأمواج والأعاصير، بل انتهت الدراسات إلى أن هناك برزخا مائيا[1] وفاصلا مائيا يفصل بين بحرين يلتقيان في مكان واحد سواء في محيط أو مضيق أو بحر، فمعرفة الفاصل كانت بالقياسات الدقيقة لدرجة الملوحة والحرارة والكثافة[2].

فخصوصية البحر ارتبطت بخصوصية البحارة الصيادين بل ثقافة هؤلاء غير معروفة لدى جميع الأفراد في المجتمع،وهذا يعود إلى قلة الاهتمام بعالم البحر والبحارة، فالبحر يمثل الخوف والرهبة لدى الكثيرين ولذا فدراسة أسرار البحارة تتطلب مرافقتهم في العمل البحري[3].

تتميز حياة البحار الصياد أثناء الإبحار بمميزات خاصة منها القدرة على العيش في جماعة والتي تتكون عادة ما بين ثلاثة وسبعة أفراد (طاقم السفينة)

---

(1) ففي عام 1873 عرف الإنسان أن مناطق معينة في البحار المختلفة تختلف في تركيب المياه فيها.

(2) الشيخ عبد المجيد الزنداني، أسرار البحار، جريدة الرأي، العدد 1595، في 17 جويلية 2003.

(3) Revue Bulletin de Psychologie, Op. Cit. p651.

بحيث يكون التجانس بل العلاقات الشخصية والاجتماعية تتسم بالعقلانية والمرونة . ومما زاد من ذلك هو الابتعاد الشبه الكلي عن الأسرة على مدار أيام السنة.

انطلاقا من التجربة البحرية أو ممارسة العمل البحري في القوارب فإن البحار هو ذلك الإنسان الناضج المسؤول، فمجتمع البحارة يشجع مثل هذه الصفات عند الطفل منذ صغره، فجماعة العمل في القارب تقدم كل أشكال التنشئة والتثاقف بالنسبة للأفراد الجدد، فكل القصص الواردة منذ الأزمنة القديمة والخاصة بالقوارب تبين أن هناك محاولات أبرمت من أجل تسهيل هذه التنشئة عن طريق معتقدات رسمية مقارنة بتلك المعتقدات الانتقالية، فهي معتقدات أصيلة معروفة منذ عهد الإنسان البدائي، فالفرد الشاب الذي عمره 16 أو 17 سنة المتجه للبحر فهو مطالب بالتأقلم مع ثقافة مهنية بدون أي دعم من طرف عائلته، فهو يته السابقة لا تفيده في شئ فله كل الأسباب التي تدفعه للبحث عن هوية جديدة مرتبطة بمهنته فيدخل مباشرة في علاقة مسؤولية فتعطى له مهمة ليصبح جزء من جماعة العمل بدون إمكانية مشاورة أولئك الذين دعموه من قبل، وفي نفس الوقت فإنه حُرم من عدد كبير من الحريات التي كان يتمتع بها في فضاء الأرض، فعندما أصبح بحاراً أضحى يستقبل توجيهات رسمية وثابتة والتي تدل على أنه يجب عليه أن ينمو في إطار محدد وخاص بمجال نضجه[1].

وعليه تبقى نسبة الحراك المهني عند البحارة الصيادين جد مرتفعة مقارنة مع مجالات العمل الأخرى كالصناعة والخدمات، فهناك عدم وجود استقرار اليد العاملة في العمل البحري[2].

---

(1) AUBERT. V ; Work and structural setting : the interplay of work situation and relationship with structurale position in Society !in tom burns ; industrial man ; Harmoudsworth : penquin books ; 1969 ; p 380.

(2) Ibid. p381.

تبقى وراثة الحرفة من القضايا الأساسية التي تجمع بين الآباء والأبناء ومادام أن الابن يرث الخصائص الفيزيولوجية وحتى النفسية من أبيه فاكتساب الحرفة والتجربة فيها تمّ عن طريق الممارسة الميدانية[1] وهذا ما ينطبق على الصيد البحري باعتباره من النشاطات الاقتصادية التي تمارس بحرية مطلقة.

تعتبر العلاقات الإنسانية والاجتماعية في العمل عامل أساسي وحيوي في تحفيز القوة العمالية والقدرة على الإنتاج في ظل الشعور بالانتماء إلى جماعة العمل وكذلك الإحساس بالأمن والاستقرار.

لذا فإن طبيعة تنظيم العمل في قطاع الصيد البحري التي تميزت بالتقليدية والبساطة جعلت من البحارة أن تكون لهم علاقات اجتماعية وإنسانية جد متينة في العمل البحري، خاصة وأن عددهم لا يتعدّى العشرين بحاراً في سفينة الصيد. فملاحظتنا المشاركة التي قمنا بها في وسط ميدان عمل البحارة سمحت لنا أن تكون بحوزتنا بعض الملامح الخاصة بالبحار الصياد. فهم بالدرجة الأولى أفراد متضامنين قبل الخروج إلى البحر لممارسة مهنتهم، فتكتّلهم جماعات جماعات قبل وبعد الإبحار لدليل على العلاقات الاجتماعية والإنسانية المتينة التي تميزهم، فهم يظهرون نوعاً من التلاحم والتضامن والتعاون أثناء تأديتهم للمهنة، لا يمكن ملاحظته في فئات مهنية أخرى، فالظروف الطبيعية والمهنية والاجتماعية القاسية التي يجري فيها النشاط جعلت من البحارة أن تكون لهم علاقات جدّ اجتماعية في تأدية المهنة تحت مناخ اجتماعي مميّز. لقد شكلت مهنة الصيد البحري مجتمعا إنسانيا ومهنيا خاصا بها وهو مجتمع البحارة الصيادين. فبالرغم من وجود نوع من المنافسة بين قارب وآخر فيما يخص اصطياد الأسماك، إلا أن هناك شعوراً بالانتماء

(1) REBOUL Claude, L'apprentissage ; familial des Métiers de l'agriculture, Actes de recherche en scienses sociales ; n°39 ; septembre1981 ; p10.

إلى فئة ثقافية مختلفة من خلال تلاحم وتوطيد العلاقات الاجتماعية فيما بينهم في البحر والبرّ.

ب- الخصائص السيكولوجية للبحار الصياد

تنعكس أهمية وحبّ البحار لمهنته وللبحر حيث تبدي الزوجة نوعاً من الغيرة نحو زوجها في قولها أنه يحب البحر ومهنته أكثر من حبّه لها، فهي في الحقيقة تعرف جيداً حدود هذه الصورة، إذ بالنسبة للبحارة البحر قد يكون مكان نومهم النهائي حقيقة ورمزاً. ضف إلى ذلك مميزات البحار المتمثلة خاصة في الشجاعة الفيزيقية، التحمّل، الشجاعة النفسية والمعنوية، طاقة وقوة التشبث والصلابة.

فالبحار فيزيقياً ومعنوياً قويّ ومتحمّل لكل الأوضاع، ولهذا فهو يؤكد على أن أول من يقهر ويتغلب على قساوة المهنة بعد انضمامه إلى الطاقم يخرج منه عظيماً و يظهر نوعاً من المجازفة وحبّ المغامرة.

فالقدرة على المغامرة مرتبطة بالاحترافية في العمل البحري وذلك عندما تشق السفينة طريقها نحو المجهول للبحث عن الأماكن الزاخرة بالأسماك بل قد تكو ن العملية أشبه بلعبة قمار قد يستفيد المجهز من ضربة حظ تمكنه من الفوز بكميّة هائلة من الأموال، وقد يحدث عكس ذلك تماما، وهذا ما ينطبق على جميع رحلات الصيد التي تعد مغامرات حقيقية علماً بأن البحر يعطي بلا مقابل.

لا يبدي البحارة أدنى اهتمام بالمجتمعات الأخرى التي تنشط في الأرض نظراً لغيابهم عن الحياة والتظاهرات الاجتماعية، ولهذا السبب ينعتهم عمال الأنشطة الأخرى بالمهملين، حيث نجد البحار لا يهتم إطلاقاً بالفئات المهنية

الأخرى في المجتمع، وعليه نستطيع القول بأن البحار فرد اجتماعي وينتمي إلى نظام اجتماعي يعيش في البحر ويسير على نمط تقليدي وغير حضاري، والدليل على ذلك هو عدم قدرة البحارة على التحضر، بل لا يستطيعون أن يكونوا متحضرين وذلك نظراً لطبيعتهم البدائية ونمطهم في التفكير.

وفي هذا الصدد يرى C . Forget بأن البحار الصياد خاضع لغريزته، فالبحر هو الذي يجلبه ويترك إرادياً كل خيرات الأرض[1].

وهناك خصائص أخرى ألصقت بجلدة البحار هي: ذاتي وفردي، منغلق، رجعي، محافظ و تقليدي، روتيني، لا مبال ومسرف، مما جعله لا يتذوق العمل في الأرض .والدليل على ذلك هو تفضيل انتظار العودة بصيد وفير على العمل الفلاحي،مما يؤدي إلى الابتعاد الكلّي عن العمل في البرّ بل الرضى بالفقر المدقع في بعض الأحيان.

وفي هذا الإطار يرى M . Lucas أن البحارة الصيادين يتسببون بأنفسهم في وضعيتهم الإقتصادية المتردية مقارنة مع الفلاحين، وزيادة على ذلك يلجأ البحارة الصيادون إلى شرب السجائر والخمور لنسيان همومهم المرتبطة بظروفهم الاجتماعية والمهنية الصعبة، فيوصفون بالفقراء والمدمنين على الخمر، حيث يعيشون مع بعضهم البعض في المقاهي والموانئ دون مخالطة الغير قليلو الاحتياط، يتصرفون تصرف كبار الأطفال ولكنهم ذو مهارة يدوية فائقة وشجاعة نادرة، ومن الصعب –أحياناً– تقدير أعمارهم لأنهم أسرع الناس إلى الهرم نظراً لقساوة ظروف العمل البحري.

---

(1) Revue bulletin de psychologie, Op. Cit. p 657.

لئن يكون المرء فقيرًا على وجه الأرض اليابسة خيراً له من أن يكون غنيـــا وهو على سطح البحر، وهذا المثل القديم[1] الذي يردده البحارة دليل على أن الحيـــاة في البحر ليست بمثل ما يعتقده بعض الناس من السهولة و كل من يتصـــورون أن البحار يعيش عيشة الملوك سرعان ما يدركون أن هـــذه المهنـــة القاســـية لا تليـــق بالحالمين و المترددين .

فالبحر قد أفقدهم التوازن وحولّهم إلى مجتمع خاص، إذ تنعكس العواصـــف الهوجاء وقـــساوة البحر على تصرفات و سلوكات البحارة في الأرض فـــيوصفون كأفراد غير اجتماعيين[2]. ومن جهة أخرى تمكّنـــت هـــذه الخصـــائص (الخطـــر والمجازفة والمغامرة والحاجة للتأمين والعنف والتغيّب والابتعاد والعزلة) من تشكيل شخصية للفئات البحرية أو عمال البحر في كل الأوقات، وهذا إلى جانب أن الخطر والمجازفة يشكلان الأسس الاجتماعية والثقافية الخاصة بالبحارة دون سواهم.

ومن هنا فإن التهميش عند البحارة الصيادين هو وليد خصوصية الحرفة بـــل هو لون خاص على غرار ما تعرفه الطبقات الاجتماعيـــة الشـــعبية الأخـــرى مـــن تهميش[3].

يرتبط موضوع الإنتاجية بزمر العمل بحيث يتأكد أن الفـــرد يكـــون أكـــثر إبداعاً وإنتاجا في إطار زمرة لا بمفرده[4]، وهذا ما نجده عند طاقم السفينة والمتكون عادة من ثلاثة إلى سبعة أفراد حيث تكون ممارسة العمل البحري في إطار جمـــاعي

---

(1) سليمان ميموني، الوجه العكسي للمنظار، المسار المغربي، العدد 28، 1989، ص 21-22.

(2) Revue bulletin de psychologie, OP. Cit. P666.

(3) PIALOUX Michel ; Jeunesse Sans Avenir et Travail Interimaire ; Actes de la recherche en sciences sociales ; n° 26/27 ; mars / avril 1979 ; p 19-32 .

(4) مريم سليم، حقول علم النفس ندار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1986، ص 173.

لا فردي، علماً بأن سرّ وجود التقليد في المهن يعود أساسا إلى معرفة خبايا الأشـياء وتقديمها للآخرين بكل سهولة في الإطار الجماعي[1].

تكـون المسـافة السيكولوجية عن مقر السكن أقل تـأثيراً عندمـا تكـون جماعة العمل من نفس الحيّ، فهذه الجماعة تحمل وبصفة جماعية مشـتركة بعـض من ثقافة محيطهم، ولذا فـإن من بين النتائج الممكنة والناتجة عن التوظيف القـائم عـلى العـامل الجغرافي هي الحـصول على تضامن ونوع من الارتياح النفسـي في القارب[2].

وانطلاقا مما سبق فإن روح الحيوية ترتبط في الحرف والمهن بمدى انسجام أفراد الفئة المهنية الواحدة إذ يتفاوت هذا الانسجام بالقدر الممكن بين الفئات المهنيـة بصفة عامة.

فكيف هي كذلك عند البحارة الصيادين والجدول (3:2) يبين الارتيـاح مـن عدمه:

الحـالات / البحـارة	التكرارات	النسبة
الارتياح	160	%40
عدم الارتياح	240	%60
المجموع	400	%100

(1) BALANDIER ; George ; Le désordre. Fayard ; Paris ; 1988 ; p 98.

(2) AUBERT. V ; Work and Structural Setting : The Interplay of Work Situation and Relationship With Structurale Position. Op. Cit. p 389.

والبحـارة الصيـادون فئـة مهنيـة ترتفع عندهم روح الحيوية وهم علـى متن السفن، لكـن الارتياح في المهنة ينعدم إلـى درجة كبيرة مقارنة إلـى مـهن أخرى فـوق سطـح الأرض، إذ وجدنا 60%من البحارة الصيادين يشعرون بعـدم الارتيـاح،وذلـك لأسبـاب مالية وعائلية وتنظيمية، فالأسباب المالية تتمثـل فـي الدخـل المتـذبذب والعائلية في الابتعاد المستمر عن العائلة، أما التنظيمية فتتجلـى في الطبيعة الصعبة للمهام المهنية في حرفة الصيد البحري سواءا أتعلـق الأمـر بظروف العمل ومـدته أم المسؤولية أثناء الإبحار والحوادث وما ينجر عنـها مـن آثار سلبية.

ومن جهة أخرى يبقى عدم الارتياح هذا مرتبط بخشية البحارة الصيادين من مستقبل الحرفة رغم التطور التقني الذي يشهده القطاع ككل.

فمؤشرات الارتياح أو عدمه تكمن من الناحية النفسية بأن البحـار الصيـاد يعتبر نفسه صنف بشري له اهتمام كبير بالحياة في البحر ومختلف عن باقي الأفـواد في فضاء الأرض.

كما قد يفسر ارتياح البحارة من خلال فلكلور شعبي كالأغاني أثناء ممارسـة الحرفة و لهذا السبب يتعود البحار على تقبل الحياة الصعبة وله شعور البقـاء فيـها إلى سن التقاعد.

ج- الاعتقادات عند البحارة الصيادين

الاعتقاد لغة هو التصديق بالأمر والإيمان به وهو من الفعل اعتقـد ويقـال اعتقد بالشيء أي أقنع به وأثبت له[1]، فالعقيدة هي ما عقد وصـدق عليـه المـرء بضميره وعقله، فلا يحتمل فيه الشك أو الكذب أو التراجع أو التنازل عليه، فـالمعتقد

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة عقد المجلد الثالث، دار صادرة الطبعة الأولى، بيروت، 1992، ص 301.

إنجاز الفكر[1] هو الإيمان المطلق بمالا يستطيع الإنسان أن يراه أو يدركه بحواسه، وقد تكون المعتقدات في الأصل نابعة من أعماق أبناء الشعب ذاته عن طريق الكشف والإلهام.

فبالعودة إلى مشتقات الكلمة اللغوية، ندرك كامل الإدراك بأن هذه اللفظة قد ارتبطت بالفضاء الديني المقدس وببساطة فهي تمسك المرء بعقيدة دينية اعتنقها أو آمن بها، وفي اللغة الفرنسية تأتي غالبا في صيغة الجمع وترتبط بالاعتقادات المحتملة[2].

ولما كانت العقيدة تطلق في الاصطلاح الشرعي الإسلامي على كلّ فكرة كليّة عن الكون والإنسان والحياة بل هي الفكرة الصحيحة المطابقة للواقع الثابتة بالدليل العقلي الجازم[3].

فالخطاب التقليدي المتداول بين البحارة الصيادين قد أظهر تشبّثهم بالاعتقادات الدينية الإسلامية لكن لم يمنع هذا الأمر قضية الممارسة الدينية الشعبية عند بعض البحارة الصيادين .

بناءاً على هذا سيتم رصد مواقف وسلوك البحارة الصيادين حول مجموعة من الأبعاد الدينية.

---

(1) محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، (مأخوذة عن الطبعة الأولى- المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية) مصر المحمية 1306، ص 234.

(2) Pierre BOUTE et Michel IZARD– dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie ; P.U.F Paris 1991 ; p185.

(3) عزّ الدين الخطيب التميمي، نظرات في الثقافة الإسلامية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1988، ص59.

يتفق العديد من الدارسين المسلمين والغربيين على حدّ سواء على أن الإسلام لا ينظم فقط مجال العبادات بل يتجاوزه ليكون مخططاً أو برنامجاً لنظام اجتماعي شامل[1].

انطلاقاً من هذه الخلفية العامة وبالاعتماد على المعطيات الميدانية سنركز البحث على رصد تمثلات ومواقف وسلوك البحارة الصيادين (عينة البحث) حول مجموعة من الأبعاد الدينية.

قد تمّ إخضاع هذه المعطيات إلى المنهج الإحصائي حيث أسفرت النتائج إلى مجموعتين مختلفتين تعبر عن أبعاد للتدين، المجموعة الأولى تدل على البعد الشخصي أو الفردي للتدين، والثانية تبرز بعض المعتقدات الشعبية. فالمتغيرات المكونة للبعدين هي كما يلي:

1-التدين الشخصي :

- أداء الصلاة بانتظام.
- استشارة الإمام أو الفقيه في مسائل شخصية.
- قراءة أدبيات دينية.

2-المعتقدات الشعبية:

- زيارة أضرحة الأولياء.
- ظاهرة الاعتقاد بإصابة بالعين.

---

(1) MAUDUDI ; A ; A ; The Islamic law and consititution ; lahore; Islamic Publication ; 1960 .
Lewis ; B ; Islam And The West ; New York ; Oxfird University Press ; 1993.

فالجدول (4:2) يبين البعد الشخصي للدين:

أ-الصلاة

	التكرارات	النسبة المئوية
يصلي	300	%75
لا يصلي	96	%24
ملغـــى	04	%01
المجموع	400	%100

ب- الدين كمؤشر في الحياة الشخصية والعائلية:

	التكرارات	النسبة المئوية
كثيراً	280	%70
بعض الشيء	92	%23
لا	20	%05
ملغى	08	%02
المجموع	400	%100

جـــ-استشارة إمام أو فقيه

	التكرارات	النسبة المئوية
دائماً /بعض المرات	88	%22
نادراً/أبداً	300	%75
ملغى	12	%03
المجموع	400	%100

نستخلص من هذا الجدول ما يلي:

أن الأغلبيـــة العظـــمى من البحـــارة الصيـــادين (75%) تمـــارس الصـــلاة بانتظام. ولما كانت الصلاة ركن من أركان الإسلام وعماد الديـــن ولـــبّ القربـــات ورأس الطاعات من أقامها كاملة غير منقوصة فقد أقام الدين ومن تركها فقـــد هـــدم الدين، بل هي أقوى عامل يصل الروح بخالقها فهي تكفر الذنـــوب وتنقـــي النفـــس وتزيد القلب إيماناً، فإن البحارة الصيادين لا يتغافلون عن تأدية الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة في السفن أثناء الإبحار أو في المسجد قبل الذهاب أو بعد الرجـــوع من البحر خاصة أن هناك مسجد صغير[1] مطل على ميناء الغزوات يصلـــي فيـــه البحارة الصيادون بشكل كبير.

تمـــنـــح الأغلبية من البحارة الصيادين للدين دوراً أساســـياً كمرشـــد فـــي الحيـــاة الشخصية والعائلية انطلاقـــاً من أن الإسلام يدعو إلى الـــمعاملات الدنيويـــة ووضع لها قوانين وأحكاماً تتفق ومصالح الناس ومنافعهم وأساغ للإنسان أن يتمتـــع بزينـــة الله وأن يأخـــذ نصيبه من هذه الدنيا مع مراعاة الحدود الشرعية فـــي كـــل ذلك[2].

لكن هناك عدد قليل منهم يلجأ إلى استشارة دينيـــة (الإمـــام) فيمـــا يخـــص قضاياهم الشخصية أو العائلية.

---

(1) مسجد الصحابي أبي بكر الصديق وهو أقدم مسجد بمدينة الغزوات.

(2) محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، 1982، ص 185.

والجدول (5:2) يبين المعتقدات الشعبية عند البحارة الصيادين:

أ- زيارة أضرحة الأولياء.

	التكرارات	النسبة المئوية
يزور	250	%62,50
لا يزور	120	%30
ملغى	30	%07,50
المجموع	400	%100

ب- ظاهرة الاعتقاد بإصابة بالعين.

	التكرارات	النسبة المئوية
وارد	160	% 40
غير وارد	160	% 40
ملغى	80	% 20
المجموع	400	%100

لقد تأكد لنا من الجدول أن نسبة معتبرة من البحارة الصيادين لهم ممارسات شعبية بحيث مثلت زيارة أضرحة الأولياء نسبة 62,50% في حين تحددت بـ40% في الاعتقاد في الإصابة بالعين.

وبما أن الممارسات الشعبية لازالت منتشرة في المجتمع الجزائري ونظراً للمكانة التي تنفرد بها زيارة أضرحة الأولياء باعتبارها أحد الرواسب الثقافية[1]، فالبحث فيها لأية جماعة بشرية يجر إلى الحديث عن بعض السمات والخصائص.

(1) إنها السمة الثقافية المستبقاة بوظيفة ضئيلة أو بدون وظيفة .أنظر :أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص 144.

ولما كانت إشكالية العلاج الشعبي عن طريق زيارة أضرحة تطرح مشكلة ثقافية عند البحارة الصيادين، فقد تأكد لنا أن بعضهم يزورون الأولياء باستمرار معتقدين أن الزيارة تخفف من آلامهم في كل زيارة، وذلك بعد زيارة الطبيب طبعاً، كما أن نسبة منهم يترددون على الأضرحة لأنهم اعتادوا ذلك لأنهم يحسون بالاطمئنان والراحة النفسية من خلال ذلك. ويعتقدون أن هذه الزيارة للأولياء تقيّهم شرّ العوائد وتحفظهم من العين وهناك حالات تذهب لوليّ سيدي أعمر[1] قصد الشفاء بل منهم من يرى أن الزيارة هي أولا للتبرك بكرامة الوليّ والعرفان له بإخلاصهم في الزيارة.

والخلاصة أن هؤلاء البحارة الزائرين يتميزون بثقافتهم التقليدية حيث أن معظمهم يقومون بالزيارة عن طريق العادة التي خلفتها عملية التنشئة الاجتماعية، ونظراً للطابع التقليدي الذي يميز حياتهم.

ومن جهة أخرى أنتجت الأحاسيس والمشاعر معتقدات مختلفة من بينها الاعتقاد بإصابة العين، والذي يعد تفكير قديم، قدم الحضارات والثقافات، حيث اعتقد فيه الفينيقيون والفراعنة وتصدوا للوقاية والعلاج من إيذائه وأضراره بطرق كالرقية والتعاويذ.

وإذا كان الاعتقاد شائعًا في كلّ الحضارات القديمة تقريبا ولو بنسب متفاوتة، فإن العين كظاهرة اجتماعية ونفسية كثر الحديث عنها في حوض البحر الأبيض المتوسط قديما وحديثا[2].

---

(1) يوجد بالقرب من مقبرة سيدي أعمر حيث تقطن أكبر نسبة من البحارة الصيادين .

(2) ODINA Sturzenegger, Le Mauvais Œil de la Lune. Ethno Medecine-Creole en Amérique de sud. ed Karthala. Paris 1999, p 18.

وهذا ما لمسناه عند نسبة من البحارة الصيادين في ميناء الغزوات كأن يكون الواحد يتمتع بشيء من الثراء، وفجأة يضيع ما يملكه فيؤول إلى إنسان فقير، وفي هذا الإطار تحدث لنا (بحار صياد عمره 65 سنة وهو مالك سفينة صيد) كيف أنه كان من الأوائل على مستوى ميناء الغزوات الذين اقتنوا السفن من إسبانيا، وشاء القدر أن يوكّل ملكه لربّان باخرة، لا تنقصه التجربة والشجاعة في ركوب البحر والظفر بمختلف أنواع السمك ليستحوذ على أموال طائلة وفي ظرف قياسي. لكن الحظ لم يكن حليفه لمدة طويلة، بسبب عيون زملائه من الملاك الجدّد، وقد بدأ يشعر بالمؤامرة –حسب رأيه– في أوقات بيع السمك عندما كان يلاحظ كثرة المتلهفين على مشاهدة البضاعة، وفجأة بدأت النقمة تحلّ، وبدأ الشقاق يدب بين طاقم السفينة وأكثر من هذا كادت أن تكون الكارثة أكبر مما يتوقع الإنسان يوم خروج قاربه إلى الصيد كالمعتاد، بحيث انشطر إلى شطرين، وقد ذهب ضحية هذا الحادث صيادان، ولولا قرب موقع الحادث من الشاطئ لغرق كلّ الطاقم.

يمثّل البحارة الصيادون صنفا في الوقاية من العين ينتمي إلى مجموعة كبيرة من الناس، بحيث اتخذت من الظاهرة مذهبا، فأيّ تعثر في الحياة أو خسارة أو فشل روحي أو مادي أو مرض أو حادث إلا وتربطه بالعين، فيعتقدون اعتقادا مطلقا فيها، يحاولون جاهدين من أجل وقاية أنفسهم وممتلكاتهم وثرواتهم عن طريق عملية التّستر في العمل إلى درجة أنهم اكتسبوا عقد نفسية جعلت البعض منهم يدخل عالم الشواذ والمرضى.

إن هذه الفئة تفسر كل النكسات والأزمات النفسية كالعقم والقلق[1] أو الجسدية كالمرض، أو المادية والاجتماعية الفجائية كالفقر، تفسيرا اعتقاديا مرتبط بإصابة العين.

---

(1) ODINA Sturzennegger, Op C it, P 18.

ثانيا- نظام حياة البحار الصياد

إذا كان المقصود بالنظام الاجتماعي هو الأحكام التنظيمية لعلاقة الرجل بالمرأة أولا وصلة الفرد بالمجتمع ثانيا، فإننا نسلط الضوء على حياة البحار الصياد من خلال المسائل التالية:

أ- العلاقات الزوجية:

إذا كان الزواج على العموم سكن وطمأنينة للرجل والمرأة على حد السواء وطريق للراحة والهدوء النفسي فإنه بالتراضي وفرحة القلب ليس من حظ جميع البحارة الصيادين، والدليل؟

فكل واحد يدرك أن الزواج لم يعد يفرض فرضاً و لكن الجدول (6:2) يبين كيف يتقرر بالنسبة للبحارة الصيادين:

الحالة	مجموع البحارة الصيادين المبحوثين
بالرضا	%71
مفروض	%29
المجموع	%100

وعليه يتضح لنا أن الجزء الأكبر (71%) الذي يتزوج برضاه فإنه يتفاعل بالعلاقات الزوجية التي تتطور بسرعة. وبما أن المرأة هي نصف المجتمع فهي تمثل نسبة 80% من نجاح الحياة الزوجية بالنسبة للبحارة الصيادين في حين أن 95% من البحارة الصيادين ضد عمل الزوجة و05% لهم زوجات يعملن ذلك لأن

عمل المرأة أصبح مقبولاً أكثر فأكثر حتى في الأوساط المعروفة بتمسكها بالتقـــاليد، ودلائل التغيير تتمثل في التقاليد التي تتلاشى وفي الظروف الاقتصادية التي أصبـــح فيها من الصعب تلبية حاجات الأسر، فالعمل النسائي أصبح غير مرفوض لأن عـــهد المرأة الماكثة بالبيت قد ولّى.

أما فيما يخص العلاقة العائلية بين البحارة الصيادين وزوجاتهم، فإن الـــزواج الضعالي (ببنت العم أو الخال ...) لازال موجوداً رغم أن الزواج الذي يتقرر بيـــن العائلات أصبح ضئيلا.

والجدول(7:2) يبين علاقة القرابة والجوار بين البحار وزوجته:

العينة	التكرارات	النسبة
تـــوجد	312	%78
لا تـــوجد	00	%00
حالات أخرى	88	%22
المجموع	400	%100

فـــإذا كان 78%من البحارة الصيادين تجمعهم علاقـــات القرابـــة أو علاقـــة الجوار مع عائـــلات زوجاتهم، فإن الزوجة المثالية للبحار هي بـــــالضرورة بنـــت البحار لأنها تخضـــع لإيقـــاع وروتيـــن زوجها ونمط حياته، لـــهذا فـــهي تتمتـــع بروح المسؤولية والإرادة الكبيرتين في تربية الأطفال ورعايتـــهم ،بالإضافـــة إلـــى أنـــها تســـاهم بالدور الهائل في سيرورة سلالة البحار من خلال الحليـــب والـــدم. وفـــي هذا الإطار وجدنا أن 85% من العينة لهم زوجات هن بنات بحارة صيـــادين بل 60%منهن حفيدات بحارة صيادين.

أما الحصول على المكان الحيوي والاستقلال الذاتي يعتبران من المطالب المشروعة جدّاً بالنسبة للزوجين ومع ذلك فإن حوالي 50% من البحارة الصيادين يتحملون ضغوط التعايش في انتظار الغد الأفضل وفي ظروف أصبح فيها السكن الفردي مادة نادرة وضرورية في نفس الوقت.

وإذا كان الغياب شبه الدائم للبحار الصياد عن المنزل هو أكبر مشكل اجتماعي تتعرض له الحياة الزوجية عند البحارة الصيادين، فإن إدارة المنزل تتقسم بين البحار وزوجته، والجدول (8:2) يبين من يدير المنزل من الزوجين:

الحالة	الزوج	الزوجة	الاثنان معاً	المجموع
بالنسبة للقرارات الكبرى	%48	%02	%50	%100
الميزانية	%27	%23	%50	%100
السلطة على الأبناء	%25	%22,5	%52,5	%100

وهنا يتضح لنا أن المسؤولية الزوجية تتقسم بين البحار وزوجته سواءاً أتعلق الأمر بالميزانية أم القرارات الكبرى أم السلطة على الأبناء، ولكن رغم ذلك تبقى سلطة الزوج بارزة بلا منازع عند البحارة الصيادين إذ يتكفل الزوج بالاهتمامات العامة للأسرة بحيث يذهب به الحال إلى حدّ طهي السمك بأنواعه.

كما ترتبط الزوجة بالبرّ أكثر بحيث وجدنا 95% من زوجات البحارة الصيادين لا يمارسن أية وظيفة مهنية وهذا على غرار البحارة الصيادين في البحر

الأبيض المتوسط (ميناء صات الفرنسي مثلاً).وذلك عكس ما هو موجود في المحيط الأطلسي وبحر المانش حيث تشارك زوجة البحار الصياد في الحياة المهنية كتنظيم المحاسبة وترقيع الشباك وحتى بيع الأسماك[1]، ولهذا السبب الجوهري فإن ظاهرة تعدد الزوجات منعدمة تماماً عند البحارة الصيادين ولكن وجدنا عدد من البحارة الصيادين لهم زوجات من موانئ مجاورة كبني صاف وحتى وهران حيث تربطهم علاقات القرابة دائما.

ولما كانت الحياة الزوجية العامة لا تخلو من منازعات فإننا بمعاينة وضعها عند البحارة الصيادين لا نستغرب من وجود نزاعات أسرية تعددت أسبابها لذا فالجدول (9:2) يوضح أسباب النزاع عند البحارة الصيادين:

الحالة	مجموع البحارة الصيادين المبحوثين
التعايش	%39
نقص المد خول	%41
تصرفات	%36
غيرها من الأسباب	%02

المجموع يتجاوز 100% لأن بعض البحارة الصيادين المبحوثين أعطوا إجابات عديدة في آن واحد.

قد تتطور الخلافات والنزاعات العائلية إلى حدّ الطلاق لأنه لا حياة بالإكراه، بل الطلاق في الإسلام حفظ لكرامة المرأة وحقوقها، لذا لمسنا نسبية الظاهرة عند

(1) Jean RIEUCAU, les gens de mer– Sète en Languedoc, Paris, éditions l'harmattan, 1990, p.272-273.

البحارة الصيادين رغم استفحالها في المجتمع الجزائري عامة بحيث وجدنا نسبة 2,5% فقط من حالات الطلاق وذلك منذ 1980 إلى غاية 2002، وتراوحت أعمار هؤلاء البحارة الصيادين ما بين 25– 45 سنة فقط.

رغم قلة الطلاق عند البحارة الصيادين مقارنة مع الفئات المهنية فهناك أسباب جعلته موجودا وتتمثل في الجدول التالي:

الجدول (10:2) : يبين أسباب الطلاق عند البحارة الصيادين:

الحالة	مجموع البحارة الصيادين الذين وقع عندهم الطلاق
أسباب اقتصادية	%27
أسباب اجتماعية	%63
أسباب أخرى	%10

لقد نالت الأسباب الاجتماعية في طلاق البحارة الصيادين أكبر نسبة بحيث تأكد لنا أن 90%من الحالات كانت فيها الزوجة غير بنت البحار وهنا تقرر لنا أن الزوجة المثالية للبحار هي بالذات بنت البحار بلا نقاش، أما نسبة 10% من حالات الطلاق فكانت بين أزواج هم أبناء وبنات البحارة الصيادين وتعود أسبابها إلى أمور أخرى مرتبطة بالمسكن والظروف المادية للحياة .

ترى أغلبية الدراسات التي تناولت نشاط الصيد البحري بأن الحرفة هي من اختصاص الرجل فقط، لكن هناك بعض الأبحاث تنظر إلى دور المرأة[1]

(1) لقد أظهرت بعض الدراسات الحديثة بأن المرأة تقوم بالاستثمار في ميدان الصيد البحري كما هو الحال في غانا هناك نساء ورثن المهنة عن آبائهن و قمن بالاستثمار فيها وتسمى هؤلاء بـ Les mamas de Ghana
أنظر: تالاسا، مجلة البحر عدد 30 جانفي 2002.

بأنه مكمل من خلال المسؤولية الاجتماعية أثناء غياب الزوج عن فضاء الأسـرة، وهذا ما لمسناه عن قرب عند البحارة الصيادين الذين يرون ذلك.

ب- الأبناء:

يُعدُّ البحارة الصيادون أكثر الناس تغدية بالأسماك أي {les marins pêcheurs sont des ichtyophages }، وهذا طبعاً كلياً وليس جزئياً. وهذه الخاصية كـان لـها الفضل والدور الكبيرين في أن يكون للبحار أطفالاً كثيرين، وهذا ما أكـدّه كـاتب فرنسي سنة 1938 في كتاب للطبخ (ou vrages de recette de cuisine) إذ يقول: "يجب علينا تأكيد الملاحظة الخاصة بكون سكان السواحل مـن أكـبر العـائلات أفـراداً وأكثرهم أطفالاً، والفضل في هذا يرجع إلى التغدية البحرية "[1].ويشاطر هذا الـرأي الباحث P. Mevel الذي يرى في وصفه للبحارة الصيادين بأن البحر قاس والبحـارة بدورهم لهم طبيعة خشنة، لهم أعين زرقاء وصحة جيدة وأطفالاً كثيرين[2].

وتأكيداً لهذا الرأي يقول R. Dervaux الصيادون منحدرون من البحر فـهو الذي كوّنهم حسب صورة خاصة، البحارة وأزواجهم لهم قوة بدنية ونفسية كبـيرتين، ولهم أيضا طبيعة متوحشة تفرضها قـساوة البحر[3].

فأبناء البحارة وحدهم هم الذين يريدون ويستطيعون احتراف هـذه المهنـة، وهذه حقيقة شعبية معروفة في وسط البحارة الصيادين في جميع أصقاع العـالم، إذ أن هناك في مدينة الغزوات مثلاًعائلات مارست مهنة الصيد البحري منـذ أربعـة أجيال. أما فيما يخص السيرورة في وراثة مهنة الصيد البحر ي، فالبحر هنا يشـكل

---

(1) Revue bulletin de psychologie, Op. Cit. P654.

(2) Ibid p 655.

(3) Ibid p 657.

الميراث الجماعي والمحيط الذي ينشط فيهما البحار إذ لا وجود للبحارة بدون بحر، والبحارة موجودون من أجل البحر، فهم يُولدون في هذا المحيط، يتكونون فيه، يتوظفون فيه، ينمون ويتطورون فيه يتصرفون ويعملون فيه وأخيراً يحيون ويموتون فيه.

إن ملاحظتنا لبعض الأطفال (دون العاشرة) يمارسون الصيد في صخور الشواطئ أو في الميناء أثناء العطل المدرسية لدليل واضح على عظمة المهنة وخصوصياتها السلالية الأثنولوجية. فممارسو هذه المهنة (كباراً و صغاراً) لهم ماء البحر يجري في عروقهم وطموح ممارسة المهنة في سن مبكرة يراودهم نظراً لعظمة هذه الأخيرة.

إذا كان البحارة الصيادون يتفقون مطلقاً من أجل العيش الرغيد لأبنائهم فقضية كثرة الأطفال ومدى ممارسة المهنة من قبل أبنائهم تتضح لما من خلال ما يلي:

الجدول (11:2) يوضح عدد الأطفال عند البحارة الصيادين.

عدد الأطفال / عدد البحارة	التكرارات	النسبة
لا يوجد	50	%12,50
1 إلى 3	200	%50,00
4 إلى 6	120	%30,00
7 إلى 10	30	%07,50
المجموع	400	%100

والجدول (12:2) يوضح عدد البحارة الصيادين الذين لهم أبنـــاء يمارســون مهنة الصيد.

الحالات / عدد البحارة	التكرارات	النسبة
أبناء يمارسون	160	%40
أبناء لا يمارسون لصغر سنهم	240	%60
المجموع	400	%100

يبــدو أن متوسط تعداد الأطفال عند البحارة الصيادين في مدينـــة الغــزوات هــو ما بين 3 و5 أطفال بحيث بلغت نسبة 50% من البحـــارة المبحوثيــن الذيــن يملكون هذا العدد مــن الأولاد فــي حين أن نسبة الممارسة عنـــد الأولاد بلغــت 40% فقــط وهذا يعــود إلى أن متوسط عمر البحارة الصيادين يتراوح ما بيــن 30 و40 عاماً.

ولما كان الصيد البحري مهنة رئيسية في مدينة الغزوات فهناك وراثة مهنية بين الأجيال فقد اتضحت معالم ارتفاع نسبة الممارسة عند أبناء البحارة الصيـــادين بوضوح.

والجدول (13.2) يوضح الوراثة المهنية عند البحارة الصيادين في ميناء الغزوات:

عدد البحارة	عدد أبناء كل بحار	عدد الأبناء الممارسين لمهنة الصيد	النسبة
20	4	2	%50
20	5	3	%60
30	6	4	%66
20	7	5	%72
10	10	4	%40

ولكن تبقى وراثة مهنة البحار الصياد اختيار شخصي لأن الكثير من الآباء لا يفرضون على أبنائهم ممارسة هذه المهنة، وفي هذا الإطار يرى أحد المبحوثين (61 سنة) عن وراثة المهنة واختيار أبنائه لمهنة الصيد مايلي

"إنني لم أنصح ولا واحد من أبنائي بأن يختار مهنة الصيد، لا يمكنني أن أتدخل في شخصية أبنائي وكيفية اختيارهم لمهنة الصيد، أنا أعتقد أن رؤيتهم لي ولأخوتي في العمل وممارستنا لدافع كبير في اختيارهم لهذه المهنة".

ومن هنا فإن مشاورة الآباء للأبناء تبقى ذات منفعة كبيرة بحيث وجدنا أن نسبة 85% من البحارة الصيادين الآباء يشاورون أبنائهم في كثير من القضايا التي تهم الحياة الاجتماعية و أيضا المهنية.

ولكن لما يتعلق الأمر بتعلم الأبناء بنفس مهنة الآباء فإن الأمور تتغير إذ أن 50% من البحارة الصيادين الآباء يرفضون هذا الرأي ولكن بالمقابل نجد نسبة 25% فقط من البحارة الصيادين يرون أن للأبناء حق الاختيار.

أمّا فيما يخص تمّدرس الأبناء وجدنا 55% من أبنـــاء البحـــارة الصيـــادين تركوا مقاعد الدراسة في سنّ مبكر بل هناك 40% تمّ طردهم من مرحلـــة الطـــور الأساسي، أمّا النسبة الباقية فمثلت أولئك الذين واصلوا المشوار الدراسي منهم 5% فقط لهم مستوى جامعي توزعت اختصاصاتهم بيـــن العلـــوم التجريبيـــة والعلـــوم الاجتماعية.

ج- نمط المعيشة لدى أسرة البحار الصياد:

إذا كانت الأسرة في حقيقتها دولة صغيرة وما قوانينها ومهامـــها إلا صـــورة مصغرة من قوانين الحكومات ومهامها.فإن التغير الاجتماعي في المجتمع يرتبـــط بالنمط المعيشي للأسرة، و لما كان الصنف الأسري عند البحـــارة الصيـــادين هـــو صنف تقليدي فكيف هو نمط المعيشة لدى أسرة البحار الصياد ؟

لذا كيف يتضح لنا من خلال الجدول (14:2):

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
تقليدي	80	%20
حديث	20	%5
بين بين	300	%75
المجموع	400	%100

يحدد لنا هذا الجدول نظرة البحارة الصيادين لنمط معيشتهم ونمـــط معيشـــة أسرهم إذ تقدر نسبة 75% النمط المعيشي الذي يمزج بين التقليد والحداثـــة، مقـــابل 20% منهم يعللون عن نمط معيشة أسرهم بالتقليدي، أمّا 05% منهم فيعبرون عـــن

نمط معيشة أسرهم بالحديث وهي نسبة ضئيلة جدّا. ومن هنا نستنتج أن أسرة البحار الصياد هي أسرة تقليدية بمعناها الواسع بل تعود المسؤولية الأسرية للأم أي زوجة البحار الصياد نظرا للغياب شبه الدائم للزوج عن بيت الزوجية مع العلم أن المرأة تقوم بدور الأم أكثر منه كزوجة بل تحافظ على نوع من الاستقلالية،في هذا الإطار لأنها تعلمت مثل هذه الأمور من أبيها البحار و بالتالي نقلت ذلك إلى زوجها البحار أيضا[1].

يعتبر المسكن الصالح أحد الأركان الأساسية التي يقوم عليها مستوى المعيشة فسوء حالة المسكن وعدم استيفائه الوسائل الصحية، مما يؤثر تأثيراً بالغاً في الطمأنينة والصحة والإنتاج والتكوين النفسي الاجتماعي .

كما أن معرفة الحالة الاجتماعية للبحارة الصيادين ضرورية لمعرفة التحوّلات والتغيّرات في أشكال تفكيرهم وتعاملاتهم وسلوكهم اليومي، وهذا لا يكون إلاّ من خلال دراستنا للسكن والتعمّق في السّلوك الداخلي لهؤلاء.

يعرّف السكن على أنّه: "مكان مغلق، مغطّى، مسكون من قبل شخص واحد أو أكثر، أو هو مكان غامر، ولكن خاص بالسّكن، وفي معظم الأحيان هو مجموعة من الغرف، أو هو غرفة واحدة فقط مخصّصة للسّكن،"[2]. هذا التعريف هو خاص بالهيئة الشكلية للبيت وطريقة سكنه، فالبيت الواحد يمكن أن تسكنه أسرة* واحدة أو عدّة أسر والذي بدورهم مشكلون من عائلة* أو عدّة عائلات.

---

(1) DELAGE. M : La vie des marins et la santé mentale des familles. Bulletin de psychologie. Tome L. n°432. p 645

(2) HADJIJ Chérifa Famille : Logement.propriété à Alger ;. In Insaniyat.n°4 ;Oran :Edition Crasc Avril 1998; p 99.

فـــالسكن بالمفهوم الأنثروبولوجي هو مكان مصغّر أنشـــأ أو حـــوّل لســـكن أشخاص بل يجب أن يكون مميّزا، إذ على إثر الاختلاف في الأشكال والأنـــواع، والمواد المستعملة في البناء فإن المسكن هو مرآة تعكس الوسط المعيشي الذي هـــو موجود به"[1].

ومن هذا المنطلق فالجدول (15:2) يبين نوعية السكن عند البحارة الصيادين:

نوعية السكن	العـــدد	النسبة
ملكية خاصة	200	%50
كراء خاص	150	%37,5
حالات أخرى	50	%12,5
المجموع	400	%100

فنسبة 50% من البحارة الصيادين لهم مساكن خاصة و هذا دليل واضح على ارتفاع مداخيل بعضهم كالمجهزين ورؤساء السفن وأيضا الميكانيكيين في حيـــن أن الملاحين فيمثلون حالات أخرى.وهذا يعود أساسا إلى عدم انتظام الدخـــل عندهـــم باستمرار (نظام الأقساط) بحيث يأخذ البحار البسيط قسطاً واحداً في الأسبوع وهـــو دخل قليل يكفي لسد الحاجيات الضرورية فقط.

(1) Dictionnaire de l'Anthropologie et l'Ethnologie. Editions Nathan 1994. p 318.

وبما أن المدن الساحلية هي مسقط رأس أغلبية البحارة الصيادين بل يعيشون في أحياء سكانية خاصة وهذا ما لمسناه في مدينة الغزوات وأحيائها إذ يمثل حيّ سيدي أعمر نسبة 60%من تعداد البحارة الصيادين[1]، أما فيما يخص طبيعة الحيّ فإن مساكن البحارة الصيادين تتوزع في أحياء سكنية نلمحها في الجدول (16:2) الذي يبين طبيعة الحيّ الذي يقطنه البحار الصياد:

طبيعة الحي	العدد	النسبة
قصديري	00	%00
شعبي	200	%50
راقي	120	%30
عمارة و غير ذلك	80	%20
المجموع	400	%100

فقد تأكد لنا أن نسبة 50% من البحارة الصيادين يسكنون في أحياء شعبية وهذا يدل على بساطة الحياة الاجتماعية عند البحار الصياد،بل يمتاز هؤلاء بصفات نبيلة مما جعل روح التعاون بينهم معتبرة بحيث لدينا جدول (17:2) يبين روح التعاون بين البحارة الصيادين :

(1) حسب إحصائيات مصلحة الصيد البحري بالغزوات.

العينة	التكرارات	النسبة
نعم	300	%80
لا	100	%20
المجموع	400	%100

نجد أن روح التعاون بينهم جدّ عالية بلغت 80% لأنهم يشكلون فئة اجتماعيـــة لها من الخصوصية ما لا يوجد عند غيرها من الفئات المهنية بتاتاء ولكن رغم ذلك فإن هناك ثمة مشاكل يعاني منها البحارة الصيادون في أحيائهم السكنية بحيث لدينـــا جدول (18:2) يبين نوعية المشاكل التي يعاني منها البحار الصياد:

العينة	التكرارات	النسبة
نقص المرافق	250	%%62,50
الانحرافات	80	%20
حالات أخرى	70	%17,50
المجموع	400	%100

لقد تحددت نوعية المشاكل التي يعاني منها البحارة الصيادون فـــي نقـص المرافق بالدرجة الأولى في حين أن الانحرافات هي الأخرى مثلت نســبة 20% والتي تبقى لا بأس بها بل هناك أنواع لهذه الانحرافات، والجدول (19:2) يبين أهـــم الانحرافات التي تعاني منها الأحياء السكنية للبحارة الصيادين:

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
المخدرات و الخمر	180	%45
حالات أخرى	220	%55
المجموع	400	%100

د- العادات والتقاليد:

إذا كانت العائلة بالمفهوم الأنثروبولوجي هي أهم تركيبة اجتماعية في المجتمع نظرا لطابعها المميز بشريا، ثقافيا اجتماعيا، بيولوجيا، فالتقاليد[1] هي الأساس في تنظيم الحياة بصفة عامة ولذا تعد حرفة الصيد البحري إرثا اقتصاديا وثقافيا يتقبله الابن عن أبيه بلا نقاش بل يدخل ضمن العادات والتقاليد.

الحديث عن عائلة البحار الصياد هو البحث أيضا في ذلك الرباط الروحي الذي يربط حركية هذه العائلة بعاداتها وتقاليدها.

ولما كانت عائلة البحار الصياد تميل إلى الطابع التقليدي أكثر والخاضع لعلاقات ثقافية واجتماعية خاصة،فهي تمارس كثيرا من عاداتها تقاليدها حاضرا كما مارستها في الماضي بل لم تر فيها أبدا عائقا من عوائق التقدم العائلي بل اعتبرتها رمزا للأصالة وللانتماء[2].

(1) BALANDIER George, LE DÉSORDRE ; Op. Cit. p 9.

(2) James WINNEFÈLD j. : Pourquoi les marins sont différents ? Bulletin de psychologie ; Tome L ; N°432 ; p 383.

وبما أن هناك العديد العادات والتقاليد العائلية عند البحارة الصيادين التي ظلت حيّة وممارسة، سنقتصر على مظهر من مظاهر هذه العادات و التقاليد العائلية هو مظهر الاحتفالية في الزواج باعتباره أهم النظم الاجتماعية في حياة الأفراد والمجتمعات.

والجدول(20:2) يوضّح طريقة إحياء الزفاف عند البحارة الصيادين في ميناء الغزوات:

العينة	التكرارات	النسبة
تغيّرت	360	%90
لم تتغيّر	00	%00
حالات أخرى	40	%10
المجموع	400	%100

يتضح لنا من الجدول أن 90% من البحارة الصيادين يعتبرون أن طريقة إحياء الزفاف لم تتغيّر عن الماضي مقابل 10% فقط مَنْ يرون أنّ طريقة إحياء الزواج طرأت عليها تغيّرات ولكن لازال سكان الغزوات متمسّكين بعاداتهم. فبما أنّ التغيّر سنة الحياة والاختلاف هو ما يميّز الشعوب، فالزواج كذلك يختلف باختلاف المجتمعات، فهو يختلف في أشكاله كما يختلف في الوسائل التي يتمّ بها وترتكز كل هذه الاختلافات على القيم السائدة والتي يعتزّ بها النّاس في كل ثقافة من الثقافات.

كما ارتبطت ظاهرة الاحتفالية عند البحـــارة الصيـادين بالأعيـاد الدينيـة والاجتماعية وتحضر لها تحضيراً ماديا و معنوياً بل تعمل جاهدة على خلق وإبـداع أعياد أخرى محليـّة كعيد السردين الذي يحتفل به سنويا في شهر أوت من كل سـنة. علما بأن هذا العيد مرتبط بالثروة السمكية التي ارتبطت بها منطقة الغـزوات منـذ العهد الاستعماري بحيث كان المعمرون من إسبانيين وإيطاليين يمارسون هذه العادة بالمنطقة والتي يحافظ عليها البحارة الصيادون إلى الوقت الحاضر بحيث يتم إحيـاء المناسبة بمساهمة جمعيات البحارة الصيادين وذلك بالتعاون مع البلدية و مؤسسـات المجتمع المدني فتخصص ساحة مكسر الأمواج بالميناء كمكـان لـهذه التظـاهرة الاجتماعية حيث الشواء التقليدي الجماعي للسردين والذي يهديـه مـلاك السـفن. وعلى العموم نجد انطباعا مميزا في نفوس أهالي المدينة عامة والبحارة الصيـادين خاصة بحيث توارثت هذه العادة منذ زمن طويل. كما ارتبطت هذه العادة بـالمردود والإنتاج الوفير.

ولما تصفحنا سجل الأعياد والاحتفالات المحلية عند البحارة الصيادين وجدنـا أن ذاكرتهم الشعبية تحـتفظ بجغرافية زمانية وثقافية واجتماعية لكـل عيـد ولكـل حفلة: فمـن عيـد الفطر إلى عيد الأضحى يتوقف البحارة الصيادون فيـه عـن نشاطاتهم المهنية لمدة أسبوع، ثم باقي الأعياد الأخرى كالمولد النبوي ورأس السـنة الهجرية وأعياد خاصة بالأوليـاء الصـالحين (وعدة سيدي بوشع، ووعـدة سـيدي أعمر).

وإحياء هذه الطقوس الدّينية يتضح من خلال الجـدول (21:2) الـذي يبيـن مساهمة البحارة الصيادين في الوعدة:

العينة	التكرارات	النسبة
نعم	240	%60
لا	80	%20
حالات أخرى	80	%20
المجموع	400	%100

وهنا يتضح لنا أن 60% من البحارة الصيادين يساهمون في إحيـاء بعـض الطقوس الدينية (الوعدة) إلاّ أنّ ظاهرة الوعدة في الغزوات قليلة إلاّ تلك التي تقـام سنويا في ضواحي المدينة وبالضبط في منطقة "سيدي يوشع" والتي يحضرها أنـاس من مناطق مختلفة من الجزائر.

يعتبر الاحتفال بالعيد قيمة ثابتة للحياة الاجتماعية للبحارة الصيادين حيـث أن للعيد نكهة خاصة يدعو الناس للتوقف عن العمل و القيام بأعمال غير مجدية علـى الصعيد المادي، العيد يدفع الناس إلى التمتع بالحياة والاحتفال بالعلاقات الاجتماعيـة خارج إطار العلاقات الاقتصادية[1].

ومن هنا نستطيع القول أنه رغم تعرض عائلة البحار الصيـاد لتطـورات اجتماعية وثقافية واقتصادية عميقة إلا أنها بقت عاجزة في أن تصيب بعض مظاهر الثقافة الشعبية عند البحارة الصيادين بصفة عامة.

ولما كان البحر ثروة مشتركة بين جميع الأفراد والجماعـات فـهناك عـادة إهداء الأسماك الزرقاء كالسردين والبلّم في الميناء للفقراء والمساكين من قبل ملاك السفن في أيام ارتفاع نسبة العرض والمردودية.

---

(1) معتوق فردريك، "التقاليد والعادات الشعبية اللبنانية"، طرابلس، لبنان، مطبعة جروس برس، ص 82.

هـ-الحياة اليومية للبحار الصياد:

تُعدُّ علاقات البحارة الصيادين مع الفئات المهنية الأخرى جد محدودة وحتى مع عائلاتهم نظراً لأوقات العمل المختلفة عن أوقات العمل الرسمية، إذ يبدأ البحار الصياد (صنف السردينيات) عمله مع غروب الشمس إلى غاية الصباح، وعادة ما يزيد من أوقات عمله ليخرج إلى البحر لممارسة المهنة في وقت مبكر من النهار، أما في (صنف الجيبيات) فيتّم عمل البحار الصياد ما بين منتصف الليّل إلى غاية الظهر و قد يمتد إلى العصر.

تتم مهنة الصيد البحر ي في أوقات الليل بناءاً على الأساليب التقنية المستخدمة مثل الإنارة، ولهذا فالبحار يخرج عادة من منزله مساءاً بعد أن يقضي أوقات النهار في النوم والاسترخاء بدون أن يمارس أي نشاط مهني آخر، وفي غالب الأحيان لا يهتم حتى بشؤون عائلته ويتركها لزوجته وأبنائه.

بعد مغادرة المنزل يتجه البحار نحو المقهى حاملاً قفته التي تحتوي على عشائه مرتدياً الزي الأزرق الخاص[1]،هذه الخصوصية يقول P. Mevel: "البحارة الصيادون البرتونيون لهم عيون زرقاء ويرتدون دائماً اللباس الأزرق ولهم خطوات مرتجفة[2].

يُعدُّ المقهى مركز التقاء البحارة الصيادين بل هو المكان المفضل لتناول فنجان قهوة مع الطاقم، فالمهم أن يكون البحار في وسط فئته المهنية (البحارة)، وينصب حديثهم بالدرجة الأولى حول ليلة الصيد الماضية أو عن مكان الصيد في الليلة التي يستعدون فيها للخروج إلى البحر مع أخذ بعين الاعتبار الأحوال الجوية وبالأخص اتجاه الرياح، حيث يطرحون آرائهم التي غالباً ما تكون

---

(1) معروف في مختلف أنحاء العالم Bleu de Marseille

(2) Revue Bulletin de Psychologie, Op. Cit. p 655.

صحيحة حول تغيّر اتجاهات الريح، نظراً للتجربة في ممارسة المهنة والاحتكاك بالبحارة الكبار، كما يرى معظمهم أنه من اللا زم على البحار أن يلم ببعض المعارف كالملاحة بالنجوم والقمر والريح ونقاط الاستدلال[1] وأيضا التقنيات الحديثة كآلة الكشف بالملون والرادار وآلة GPS[2].

ويتجه البحارة بعد إلتقائهم في المقهى نحوالميناء حيث بيوت القوارب التي تحوي أجهزتها وعتادها البحري، وهي أيضاً بيوت للبحارة يلبسون فيها بدلتهم الخاصة، ثم يتجهون نحو القارب إثر تلقي الأمر من طرف الربّان بوقت الخروج إلى البحر.

بعد الخروج من الميناء وحلول الليل يلتف البحارة حول بعضهم البعض في شكل جماعات صغيرة لتناول العشاء، ثم يستريحون وينامون قليلاً فيما يقوم الربّان في الوقت نفسه بالكشف عن الأسماك عن طريق آلة الكشف[3]. وبعد الكشف مباشرة يقوم الربّان بإيقاظ البحارة النائمين لجّذب الشّباك في جوّ عمل جيد وتنسيق تام فيما بينهم، حتى لا يرتكبوا الأخطاء في سيرورة العمل التي قد تؤدي إلى فقدان الأجهزة أو العطل مثلاً أو الحصول على صيد غير وفير، وهذا ما يخشاه كل بحار، إذ يبدي نوعاً من السخط وعدم الرضى عن مهنته في هذه الحالة والعكس تماماً في حالة الصيد الوفير.

وبعد رجوع البحارة إلى الميناء يتّم بيع الإنتاج من قبل الوسطاء في نفس الوقت يقوم البحارة الصيادون ببيع حصتهم[4] من السمك المقسمة بينهم لتناولها

---

(1) Les points de repères

(2) هي آلة دقيقة الكشف عن الأسماك في الجيبيات وتتوفر عند البعض منها فقط.

(3) Sounder

(4) وهي كلمة إسبانية Galfa

في المنزل وهذا طبعًا لمساعدتهم في دعم مداخليهم القليلة لتلبية الشخصية كشـــراء السجائر والحليب والخبز اليومي.

وقبل مغادرة الميناء يغيّرون ملابسهم و يتجهون من جديـــد نحـــو المقـــهى للحديث عن ليلة الصيد أو عن الإنتاج، وعادة ما تكون مدة الحديث قصيرة حتـــى يمكن لهم العودة إلى منازلهم وبالتالي الخلود إلى الراحة و النوم.

نادراً ما نرى بحاراً يتخلى عن عمله بدون سبب قاهر يعزله عن المـــهنة فقد عايش البحر بعواصفه و هيجانه أثناء ممارسته لمهنة الصيد، وفـــي أواخـــر سـنين عمله يتحصل البحار الصياد على تقاعد و يدخل مباشرة فـــي الحياة العائلية ليعيـش في جوّ جديد أكثر هدوءاً. فباستطاعتنا رؤيتـــه أو مقابلتـــه عندمـــا يكون جالساً فـــي جانب معيّن من الميناء أو متجولاً في الشاطـــئ أو المصيـــدة يحلم بأيـــام عملـــه من خلال تخيّل خرجاته و دخلاته البحرية أو مهـــتماً بتصليـــح قـــارب صغـــير أو زورق يخرج به إلى البحر ليصطاد السمك بطـــرق تقليديـــة منهمـــكاً في إصلاح وخياطة شباك الصيد،كما هناك صنف مـــن البحـــارة الصيـــادين المـــــتقاعدين يبـــتعد تماما عن البحر ويلجأ إلى اهتـــمامات أخرى في البرّ، بالإضافة إلـــى أنـــه غائب عن كل التظاهرات الاجتماعية.

وفي هذا الإطار يرى L.Berthaut بأن أعمال واهتمامات البحـــار الصيـــاد المتقاعد لها علاقة جدّ وطيدة بمهنته السابقة، ففي كل الأحوال لا بّد من علاقة تصله البحر، فقد كان مهداً له ولحياته، وأيضا قد يمنحه الراحة النهائية من خلال اســـتقبال أعماق البحر له أي مماته بعد أن كان ميدان وموضوع عناء، وكدّه[1].

(1) Revue bulletin de psychologie. Op. Cit. p 655.

خلاصـــة :

إذا كان البحارة الصيادون يعيشون في جماعات وفي أحياء سكانية تتحد فيـــها العادات،فهم يكونون مجموعات إنسانية مستقلة حرة يعيشون منطوين على أنفســـــهم بعيدين عن غيرهم اجتماعيا مختلفين في استعمال أدوات العمل، وعلـــى المســـتوى النفسي يمثل البحارة الصيادون فئة مختلفة عن باقي العمال على الأرض وبالتـــالي تمثل هذه الخصائص ذاتية البحار الصياد.

لقد ارتبطت حياة البحار الصياد بظروف عمله البحري،فالزوجة هـــي دائمـــا في خدمة زوجها مع التكفل باهتمامات الأسرة من تسيير الميزانيـــة وتربيـــة الأولاد وتعليمهم.

ومن جهة أخرى يعيش البحار الصياد وحيدا لا يملك القـــدرة علـــى تغيـــير ظروف العمل البحري وإن كان بعض أسر البحارة الصيـــادين تتبـــادل الزيـــارات بالمناسبات المختلفة والخروج للبحر للترفيه أيام العطـــل، فـــإن بعـــض البحـــارة الصيادين يفضلون مواصلة ممارسة العمل حتى بعد سن التقاعد لأنهم يعتبرون مهنـــة الصيد البحري نظام رمزي للحرية.

ومن جهة أخرى ترتفع نسبة الغيرة بين البحارة الصيادين إلى درجـــة غـــير عادية بحيث يتمنى البعض سوء الحظ للآخر، لكن البحر يجمع بين المتدين وغـــير المتدين من البحارة الصيادين.

وقد تأكد لنا أن هذه السمات لها علاقة بالبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائـــري الأصلية.

الفصل الثالث

التأثيرات الثقافية وعلاقاتها بلغة وممارسة الصيد البحري

تتجلى خصوصية ممارسة الصيد البحري في أنه يتمّ على متن البواخر وقوارب الصيد وهذا ما يؤثر على الاتصال ما بين البحارة الصيادين حيث تمثل الإشارات[1] والأوامر التنفيذية الشفوية الوسيلة الأساسية من أجل التواصل، فلا يمكن أن نتصور عمل البحارة بدون أن يكون هناك مدّ الصوت[2] وتشديده من أجل فعالية في إنجاز العمل. ومن هذا المنطلق ارتبط البحارة الصيادون في تواصلهم بتعابير شفوية خاصة بهم دون سواهم من الشرائح الاجتماعية الأخرى.

ويتمثل هذا الموروث الثقافي في مجموعتين: المجموعة الأولى تتمثل في تعابير شفوية تدخل ضمن لغة الاتصال والقيام بمهمة الصيد البحري وتشمل تسمية المناطق الساحلية والسفن ووسائل العمل البحري وأوامر تنفيذه، وكذا الأسماك. وتتجلى المجموعة الثانية في الأقوال السائرة والأمثال والألغاز، وقد تمّت عملية الجمع والتدوين عن طريق التسجيل المباشر والشفوي، أي تسجيل نصوص وقت سماعها من أفواه البحارة الصيادين، كما تمّ رسم الكلمة حسب نطقها.

وقد حددنا الإطار المنهجي المتبع في تحليل الموروث الثقافي انطلاقاً مما توحي به الثقافة الشعبية لذا مرت عملية التحليل بمرحلتين:

1- المرحلة الأولى: تحديد الإطار المعرفي واللغوي لحرفة الصيد البحري بدراسة هذه التعبيرات الشفوية ذات الصلة بالحرفة وهي تتمثل في:

---

(1) إن لغة البحارة هي عبارة عن إمارات (إشارات) قصدية أنتجت قصداً لتبليغ أهداف بعملية الصيد لا غير.
انظر: توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة وهبة، 1939، ص134.

(2) تأصلت ظاهرة مدّ الصوت وإشباع الحروف في لهجة الغزوات بناءاً على النمط الذي ميّز حياتهم الاجتماعية، بحيث كانوا يعتمدون على نشاط الصيد البحري و الفلاحة في حياتهم ، وغالباً ما يكون التخاطب بينهم على مسافة بعيدة و حتى يدرك السامع ما يريده المتكلم كان يجنح إلى ظاهرة مدّ الصوت وإشباع الحروف .

- تسمية المناطق الساحلية.

- تسمية السفن والقوارب.

- وسائل العمل البحري.

- أوامر تنفيذ العمل البحري.

-الأسماك.

2-**المرحلة الثانية:** دراسة التعابير الشفوية (الأمثال والأقوال والألغاز) من جانب المضمون ودلالتها على الحياة الاجتماعية بالمدلول الواسع لهذه الحياة [1]. وذلك من خلال البحث في الخصائص الاجتماعية والثقافية التي يمتاز بها البحارة الصيادون دون غيرهم من الشرائح المهنية الأخرى. ولاشك أن مجموع التعابير الشفوية موضوع التحليل تحمل دلالة لا بد من الكشف عنها، فخصصنا الحديث عن الأبعاد الدلالية للتعابير الشفوية بعد تحديد فضاء الصيد البحري فيها، ووقف الدراسة على هذه المجموعة من التعابير الشفوية منهج أتاح لنا حصر البحث والتحكم في المادة إلى حّد ما.

---

(1) ولعل أهم الدراسات التي تناولت أشكال التعبير الشعبي في هذا الاتجاه نذكر:

- إبراهيم أحمد شعلان: " الشعب المصري في أمثاله العامية".
- أحمد أمين: " قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية".
- أحمد تيمور: "الكنايات العامية".
- أحمد رشدي صالح: " الأدب الشعبي".
- نبيلة إبراهيم: " أشكال التعبير في الأدب الشعبي".
- مرتاض عبد المالك: - "الأمثال الشعبية الجزائرية: دراسة في الأمثال الزراعية و الاقتصادية بالغرب الجزائري".
- "الألغاز الشعبية الجزائرية: دراسة في ألغاز الغرب الجزائري".

أولاً- الإطار المعرفي واللغوي لحرفة الصيد البحري.

جعلت الخاصية[1] الاجتماعية لسكان مدينة الغزوات خلال سنوات الاستعمار من قطاع الصيد البحري نواة امتزاج عدة ثقافات حيث نجد الفرنسيين والإسبانيين والإيطاليين والمسلمين واليهود كلهم امتهنوا حرفة الصيد البحري أو كانت لديهم علاقات بهذا النشاط الاقتصادي بالمنطقة حتى سنوات الاستقلال. إلاّ أن الإسبانيين[2] كانوا أكبر فئة اجتماعية عملت على تسيير قوارب الصيد وممارسة هذه المهنة، وتأثيرهم في هذا الميدان لم يتوقف على الجانب الاقتصادي والمهني فحسب بل تعداه ليشمل الجانب الثقافي المتعلق بتسمية المناطق الساحلية وبعض أصناف الأسماك ووسائل نشاط الصيد البحري[3] وأساليب تنظيم وتسيير العمل كما تمّ ترسيخ مفاهيم في وسط البحارة الصيادين تدخل ضمن لغة الاتصال والقيام بمهمة الصيد البحري.

أ- المناطق الساحلية :

نظراً لقلة الوسائل التكنولوجية مع بداية نشاط الصيد البحري[4] بالغزوات لرصد أماكن تواجد الأسماك بعرض البحر، لجأ الأسبان إلى اتخاذ من بعض رؤوس الخلجان معالم استدلال[5]، لذا بات لزاماً عليهم بغية تعميمها وتسميتها بأسماء إسبانية محضة ثم تعرضت مع مرور الوقت إلى بعض التحريف لتنسجم

---

(1) المقصود الطابع الاجتماعي للسكان الأصليين، صُنفت الغزوات على أساس منطقة صيد بحري حسب ما أشار فرنسيس لابادور.

(2) كان الأسبان يمثلون اكبر نسبة من البحارة الصيادين.

أنظر: FRANCIS LLABADOR : Nemours ; Op. Cit. P571.

(3) لقد تغيرت تسمية السفن والقوارب بعد الاستقلال رغم بقاء بعض الأسماء المسيحية مثل سانت ماري وغيرها.

(4) بدأ نشاط الصيد البحري يتكيّف بصورة معتبرة بعد أن أنجز مارسيل باس الميناء.

أنظر: CF .Francis LLABADOR : Nemours. Op. Cit. P 582.

(5) اتخذت هذه المعالم لرسم الخرائط البحرية للمنطقة أنظر الخريطة، ص 202.

وتتكيّف مع نطق أهل المنطقة الذين لازالوا يستدلون بها إلـــى يومنـــا هـــذا فـــي خرجاتهم إلى الصيد.

وهـــذه الأهميـــة القصـــوى للـــرؤوس الممتدة باتجاهيها الشرقي والغربي بدءاً من منارة[1] الغزوات تجعلنا نتناولها بالـــدراسة مـــع الأخذ بعين الاعتبـــار بعض المعـــطيات التاريخية وكذا قيمتها عند البحارة الصيـــادين وتتمثـــل رؤوس الخلجان الغربية في:

1-بيريكو Periko.

2-كابو نيقرو Capo Negro

3-رأس ملوية Ras Malouya

أما الشرقية فتتجلى في :

1- رأس توانت: Touant

2- رأس تارصا: Ras Tarsa

3- كابويات: Capo Yat

4- كابو نوي: Capo Noe

5- رأس أكرا: Capo Acra

تتوفر الجهة الغربية على ثروة سمكية معتبرة بحكم قربها من مضيق جبـل طارق[2] الذي تهاجر من خلاله الأسماك إلى البحر الأبيض المتوسط، مما جعـــل البحارة الصيادين في ميناء الغزوات يحبذونها على الجهة الشرقية.

---

(1) توجد 24 منارة في الجزائر أنظر: الجزائر: الدليل الاقتصادي والاجتماعي، المرجع السابق، ص 109 .

(2) يوجد البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي، يبلغ عرضه 15 كلم و عمقه 350 متراً.

يُعدُّ خليج بيريكو Periko القريب من شاطئ أولاد بن عايد[1] أهم حيز بحري يقع غرب الغزوات إذ يتراوح عمقه[2] ما بين 50 و80 متراً وتكثر فيه الأسماك المسطحة[3] ثم رأس كابو نيقرو Capo Negro[4] الذي سُمي بذلك لأن الرأس الخليج الذي يمتد نتوءه إلى مياه الساحل بنحو 300 متراً مشكل من صخور سوداء .

أما رأس خليج ملوية[5] فيقع في أقصى الجهة الغربية حيث يمثل همزة الوصل بين الجزائر والمغرب الأقصى في المياه الإقليمية.

ولا تقلّ رؤوس الخلجان الممتدة على الضفة الشرقية[6] للشريط الساحلي للغزوات أهمية عن الغربية، فأولها رأس توانت[7] Ras Touant بعد ذلك نصل إلى رأس تارصا[8] Ras Tarsa الذي ينقسم إلى قسمين لأن الصخور التي تشكّل رأس الخليج متشابهة في الشكل الطبيعي، فيسمى عند البحارة الصيادين كابويات Capo Yat[9] وهو يقع على بعد 18,5 كلم شرق الغزوات، تكثر فيه الأسماك كالسردين والبلّم.

---

(1) أولاد بن عايد هي قبيلة من قبائل مسيردة كانت تسكن هذا الشاطئ و تستغل ثروته السمكية.

(2) وحدة قياس العمق البحري هي براصة Brasse تساوي 60 ،1متر. العمق في المنطقة المذكورة يتراوح ما بين 30 و50 براصة.

(3) مثل سمك صول Sole سمك موسى.

(4) كلمة مركبة من كابو تعني الرأس و نيقرو تعني الأسود Capo Negro.

(5) نسبة إلى واد ملوية الذي يقع شرق المغرب الأقصى يصب في البحر الأبيض المتوسط يبلغ طوله 450 كلم.

(6) تحبذ الجهة الشرقية من قبل البحارة الصيادين في مواني بني صاف و وهران و مستغانم لأنها تمثل الاتجاه الغربي لهذه المناطق .

(7) تسمية الغزوات في العهد الإسلامي ،أصل الكلمة بربري يعني الرؤية.

(8) كلمة إسبانية تعني رسغ الطائر و ذلك لأن الصخور التي تشكل رأس الخليج تشبه قدم الطائر.

(9) كلمة مركبة من كابو تعني رأس، يات تعني نائم لأن الصخور تشبه إنسان نائم، كما أن كلمة كابويات تعني عند السكان المحليين نوع من الخضر المسمى بالكوسة Courgette. وحدة قياس المسافات في البحر هي ميل بحري marin Mille يساوي 1852 متراً .

وإذا اتجهنا نحو أقصى الشرق نجد رأس خليج كـــابو نـــوي[1] ثـــم رأس أكرا[2] الذي يتشابه مع خليج غينيا من حيث شكل الصخور المشكلة له، لذا أطلـق عليه الإسبان هذه التسمية[3].

ب-السفـــن والـــقوارب :

غالبا ما تستمد أسماء السفن القوارب من فضاءات مختلفة ذات صلة وثيقة بحياة البحـــارة الصيادين تتحكم فيها مجموعة من العوامل تستند على مرجعيتيـن: دينية وتاريخية[4].

ومن هذا المنطلق، ارتأينا أن نحدد الفضاء ا ت المتعلقة بتســـمية الســفن والقوارب كما يلي:

1- الـــفضاء العائـــلي.

2- الـــفضاء العقائدي المقـــدس.

3-الـــفضاء التاريخي الوطـــني.

1- الفـــضاء العائـــلي: عادة هو نوع مـــن الاستبشـــار خـــيراً بالأبنـــاء وخاصة من تصادف ولادته امتلاك القارب فـُيسمى باسمه.

يخلق المولود الجديد بالنسبة للعائلة العربية نوعاً من الاستبشار في نفـوس أفرادها، اعتقاداً منهم بأن كل مولود إلاّ ويأتي معه الرزق، وهو اعتقـــاد قديـم،

---

(1) واسمها اللاتيني Noe أي نوح وهو اسم سيدنا نوح عليه السلام.

(2) اسم ميناء على خليج غينيا الإسبانية قديما الاستوائية حاليا، وهو محطة تكرير البترول أيضاً.

(3) هو حسب شهادة أحد البحارة الصيادين الكبار اسمه سبوعي محمد توفي سنة 2002 حيث بلغ عمره 97 عاماً، تعلم الإسبانية من خلال ممارسة مهنة الصيد البحري مع البحارة الإسبان.

(4) Winnefeld ; James ; Pourquoi les marins sont différents ; Bulletin de Psychologie ; Op. Cit. P 383.

ولهذا يتم ربط تسمية القارب باسم المولود الجديد أو بأسماء الأبناء ممن يتوسم فيهم البركة، وهو إحساس نفسي يغلب عليه الكتمان[1].

وليس بالضرورة اختيار أسماء القوارب عند البعض منصباً على أسماء الأبناء بل يتعدى إلى اسم الزوجة إيماناً بأن المرأة خير لمن يتفاءل بها كما على لسانهم "الخير امرأة والشر امرأة ".

ومن هذه التسميات التي تترجم هذه الصلة بين عالم الصيد البحري والعائلة على سبيل الذكر لا الحصر والتي لها تأويلات أخرى للعالم الخارجي تجنباً لإفشاء ما يكتمونه من أسرار عقائدية بحتة فمثلاً اسم "أمين" هو استجابة لدعاء البحارة الصيادين الذين يدعون الله تعالى أثناء كل خرجة من خرجاتهم أن ينعم عليهم بصيد وفير. واسم "محفوظ" يوحي عند صاحب القارب بأن يظل هو الأخير محفوظاً من العين والحسد واسم "مولاي" يوحي عند العامة بالوقار والرزانة والحِلم، واسم "صابرينا" يوحي عندهم بالصبر والمثابرة لأن الصيد البحري يتطلب جهداً وعناء كبيرين واسم "يحي" يعني إبقاء القارب حيّاً أي محصناً من أي عطب أو حادث[2].

2- الفضاء العقائدي المقدس:

وهو الفضاء الواسع في هذا المجال لاتصاله بالجانب الروحي للبحارة الصيادين، ويمكن تصنيف هذا الفضاء إلى ما له علاقة بالله سبحانه وتعالى، وما له علاقة بالأولياء الصالحين.

---

(1) يؤدي إفشاء هذا الإحساس في نظر البحارة الصيادين إلى تبديد الثروة والرزق وهو اعتقاد شعبي.

(2) فقد تم تسجيل حوادث غرق 3 سفن خلال سنتي 1998 -1999 أودت بحياة أربعة صيادين، ثم غرق سفينة سنة 2003 نجا فيها أفراد الطاقم كلية.

أ-ما لـــه علاقة بالله سبحانه وتعالى :

فتسمية السفن التي لها علاقة بالله تعالى توحي في جملتها بأيمان أصحابـها بأن الله سبحانه وتعالى هو الرزّاق ذو الفضل الـــعميم[1].

ومن هذه الـــتسميات "أحمد الله " توحي بحمد الله تعـــالى مـــن منطلقيـــن: المنطلق الأول هو حمد الله تعالى على امتلاكه للقارب، والمنطلق الثاني هو حمـــد الله تعالى على المردود الذي يوفـــره يومياً هذا القارب.

واسم: "جاب الله" [2] له نفس الإيحاء بأن الله تعالى جاء له بالرزق المتمثل في القارب وما يحققه له من مداخيل. واسم "توكلت على الله" اعتقاداً منـــهم بـــأن الصيد البحري لا يتوفر على أسباب تضمن الظفر بالصيد والمـــوارد الصيديـــة، ولهذا أصبحوا يوكلون -في خرجاتهم- أمرهم لله تعالى.

واسم "رحمة الله " اعتقاداً منهم بأن الصيـــد البحـــري مغـــامرة محفوفـــة بمخاطر كثيرة[3]، ولهذا بات لزاماً عليهم طلب رحمة الله تعالى أن تســـعهم فـــي خرجاتهم اليومية وخاصة في الليل.

و"العـــاطي الله" هـــو اسم له ضربان من التـــأويل: فـــالضرب الأول رداً للحسد وأن الله تعالى هو العاطي للرزق، والضـــرب الثاني يتعلق بالصيد البحري مباشرة. و"رزق الله" اسم يعني أن الرزق من عند الله تعالى، ولكـــن هـــو عنـــد البحارة الصيادين من خلال فضاء البحر، وكذا اسم "فضل الله " ويعني أن فضـــل الله على البحار الصياد يكون مباشرة من البحر كمصدر للرزق، أما اسم "فتـــح

---

(1) بناءاً على قوله تعالى: "إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينِ " القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية 58 .

(2) جاب الله: هي كلمة مركبة من جاء به.

(3) والدليل على ذلك ارتفاع نسبة حوادث العمل البحري الخطيرة في العشرية الأخيرة.

الله" فيعني أن الله هو الفتّاح الرزّاق الذي يفتح على البحـــارة الصيـــادين أبـــواب الرزق في جميع الظروف والملابسات. ونفس الدلالة في اسم "كريم الله" بأن العبد يعيش من كرم الله تعالى ويكون عند البحارة الصيادين من فضاء البحر أيضاً. أما قـــولهم "تائب الله " فهو يوحي بقـــداسة المعتـــقد الديني عنـــد بعـــض البحـــارة الصيادين لأن بقاءهم في عرض البحر لفترات طويلة يجعـــل منهم أكثر توبة بـــلى إيماناً.

وهناك اسم "شوف المكتوب" ويعني أن القضاء والقدر عند البحار الصيـــاد مرتبط بالبحر سواء أ في الاستعداد للخروج للعمل البحري أم أثنـــاء تأديتـــه. وهناك اسم "مكتوب الله".

ب- ما لـــه علاقة بالأولياء الصالحين:

إن هـــذه الفئـــة كغيـــرها من الفئات الأخرى من المجتمع لها اعتقـــادات كثيرة. فبعد اعتقادهم وإيمانهم الراسخ بالله تعالى يأتي في المرتبة الثانية اعتقـادهم بالأولياء الصالحين وخاصة منهم الذين ارتبطت بهم قلوبهم وانعكس هذا الارتبـــاط على تسمية القوارب على أسمائهم فمثلاً: سيدي ابراهيـــم[1] ، ســـيدي عيســـى[2] وسيدي أعمر[3] الذي نـــال شهـــرة كبيرة بيـــن البحارة الصيادين لأنه يتوسـط منطقة الغزوات بل تمثل الأحياء السكنية لجهة سيدي أعمـــر حوالـــي40 % مـــن تعداد سكان مدينة الغزوات[4]، هذا إلى جانب هناك نسبة معتـــبرة مـــن البحـــارة

---

(1) يقع ضريح هذا الوليّ الصالح على تراب بلدية السواحلية على بعد 25 كلم جنوب الغـــزوات، ارتبطـــت باســـمه معركة ضارية جرت بين قوات الأمير عبد القادر وجيش الاحتلال سنة 1845، انهزم فيها العدوّ. أنظر: عبد الرحمـــن الجيلالي، المرجع السابق، الجزء الرابع، ص 209.

(2) يقع ضريح هذا الوليّ على حافة واد عبد الله الذي يبعد عن مقر بلدية الغزوات بمسافة 4 كلم فقط.
انظر : Francis Llabador .Op. Cit. P511

(3) يقع ضريح هذا الوليّ الصالح في مقبرة حيّ سيدي أعمر في بلدية الغزوات .الاسم الكامل للوليّ هو الحاج ســـيدي أعمر نحاش في القرن 13 الميلادي.
أنظر نفس المرجع:Francis Llabador. ص489.

(4) فحسب إحصائيات 1998 فقد بـــلـــغ عدد سكان حـــيّ سيدي أعمر 13000 نسمة من مجموع 33000 نسمة.

الصيادين تقطن هذا الحي[1]، ومن هذا المنطلق وجدنا ثمانية قوارب[2] من المجموع وحسب جميع الأصناف تسمى سيدي أعمر.

3- الفضاء التاريخي الوطني:

يتجلى ارتباط البحارة الصيادين بهذا الفضاء في تخليد أيام وبطولات ومآثر وأحداث الثورة التحريرية الكبرى والتعصب لوطنهم الذي ينمّ عن نوع من الإحساس العميق بقيمة هذا الوطن الذي وقر لهم امتلاك قطاع الصيد البحري الذي سُلب منهم طيلة أعوام الاستعمار الذي استغلهم في امتصاص الثروة السمكية التي تزخر[3] بها سواحل الغزوات.

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد فقد تمّ تسمية[4] بعض السفن بأسماء ترمز إلى الروح الوطنية من جهة وترويج أسماء ببعض المناطق الجغرافية التي ينتمي إليها ملاك القوارب من جهة أخرى.

ويمكننا تصنيف الأسماء التي لها علاقة بالإنسان وتلك التي لها علاقة بالمكان. فالأسماء التي لها علاقة مباشرة بالذاكرة التاريخية يمكننا ترتيبها زمنيا قبل الثورة التحريرية وأثنائها. فتسمية "الأمير عبد القادر" كان تخليداً لهذه الشخصية الوطنية الفذّة التي صنعت أحداثا تاريخية بناحية الغزوات[5]. ولهذا انفرد دون غيره من الأسماء التاريخية القديمة في تسمية بعض السفن والقوارب، وذلك ما لاحظناه

---

(1) فمن خلال إحصائيات مندوبية الصيد البحري بالغزوات وجدنا 60% من تعداد البحارة الصيادين في الميناء يقطنون في حيّ سيدي أعمر الذي يعد من أكبر الأحياء في ولاية تلمسان إ ذ يبلغ عدد سكانه سنة 2004 ما يساوي 20الف نسمة .

(2) من مجموع 212 قارب إحصائيات 2003 .

(3) فقد بلغ إنتاج السمك سنة 1956 ما يساوي 25719 قنطاراً (إحصائيات المصلحة البحرية لميناء الغزوات).

(4) مع العلم أن بعض القوارب احتفظت بأسماء لها علاقة بالجانب الديني الكاثوليكي و ذلك بعد 1962 مباشرة مثل "سانت ماري، سان جوزيف".

(5) تتمثل في معركة سيدي إبراهيم الشهيرة التي انهزم فيها الجيش الاستعماري أمام قوات الأمير عبد القادر، ولم ينج من القتل سوى نحو عشرة جنود اعتصموا بضريح الوليّ ،ثم أسرهم كما أصيب الأمير في شخصه برصاصة أصابت أذنه اليمنى وكان ذلك لأول مرة منذ أن شهر سيفه على الاستعمار.

أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، الجزء الرابع، ص 209.

ميدانياً على 125 قارباً[1]، في حين اكتفى بعض ملاك القوارب بتسمية "المجاهد"[2] جهلا منهم بالشخصيات الوطنية القديمة، ومن نفس المنطلق تمّ تسمية بعض السفن بأسماء شهداء المنطقة كالعقيد عثمان والشهيد سي الطاهر[3].

أما فيما يتعلق بتسمية القوارب بالأماكن والمناطق الجغرافية التي منها ارتبط اسمه بالثورة التحريرية المظفرة كـ "الأوراس"[4]، و"واد السبع"[5] و"زندل"[6] و"فلاوسن "[7].

أما أسماء الأماكن التي ترمي إلى الترويج لتاريخها وحضارتها العريقة نجد "تلمسان" مدينة العلم والفن والحضارة، و"منصورة "التي لازالت تحتفظ بآثار ضاربة في أعماق التاريخ و"ندرومة " مدينة الموحدين وعبد المؤمن بن علي والتي لازالت تحتفظ ببعض المعالم التاريخية العتيقة.

كما ظهرت بعد اتساع أسطول الصيد البحري في السنين الأخيرة بعض التسميات المستوحاة من أقوال مأثورة وصفات وتأملات في الكون منها "البدر"، "المستقبل "، "الفتح"، "الهلال ".

---

(1) حسب مصلحة الصيد البحري بالغزوات.

(2) المقصود به المقاوم الباسل.

(3) اسمه الحقيقي طهير محمد من مواليد 1925 بالغزوات، حفظ القرآن الكريم ونال درجة العالمية من جامع القرويين بفاس. استشهد عام 1957.

(4) هي أضخم و أعظم جبال الأطلس الصحراوي تمتاز بالروعة و الجمال الطبيعي تخترقها الأودية الخلابة، ارتبطت بتاريخ الثورة التحريرية الكبرى.
أنظر: "أحمد توفيق المدني، "كتاب الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية، 1984، ص162.

(5) يقع على الجهة الشمالية الغربية لسفوح سلسلة جبال فلاوسن و التي شهدت معركة ضارية سنة 1957 ما بين قوات الاستعمار و جنود جيش التحرير.
أنظر :أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 242 .

(6) يقع ضمن سلسلة الأطلس التلي تبلغ قمته 613 متراً، وقعت على سفحه معركة مشهورة سنة 1957 استشهد خلالها الشهيد الرائد السايح الميسوم.

(7) جبل من جبال سلسلة الأطلس التلي تبلغ قمته 1136 متراً و هو يبعد عن مدينة ندرومة مسيرة ساعتين ومنه يستطيع المرء أن يبصر السواحل الإسبانية إن كان الجوّ صافياً، ارتبط تاريخه بمعركة ضارية بين جيش التحرير الوطني والجيش الاستعماري سنة 1957 تكبد فيها جيش الاحتلال خسائر فادحة. أنظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 242.

وفي هذا الصدد سنذكر أسماء السفن والـقوارب بأنواعها الموجودة فـــي ميناء الغزوات للصيد البحري حسب كل فضاء:

1- الجـــيبيـــات:

الفضاء العائلي	الفضاء العقائدي	الفضاء التاريخي الوطني	الفضاء المتنوع
محمد مروان	العاطـــي الله	جبل أوراس	البدر
أمين	فضل الله	الأمير	الهلال
عمارية	فتح الله	الأمير عبد القادر	المرجان
عبد الكريم	رزق الله	المجاهد	نـــور
عجرود	رحمة الله	غزوانه	المستقبل
اسماعيل	بركة الله	منصورة	
إلهام	الشهادة في الله	ندرومة	
مولاي	توكلت على الله	العقيد عثمان	
مصطفى	سيدي فتح الله	زندل	
الحاجة خيرة	سيدي أعمر	تلمسان	
الحاجة ربيعة	سيدي ابراهيم	دلس	
مصباحة	سيدي احمد بن يوسف		
عكاشة			
يونس بومدين			
ياسن			
حساين الحاج			
مهدي			
محفوظ			
18	**12**	**11**	**05**
المجموع: 46			

2- السردينيات:

الفضاء العائلي	الفضاء العقائدي	الفضاء التاريخي الوطني	الفضاء المتنوع
عباس صابرينا	أحمد الله	بني عابد	البحار
علي	جاب الله	الجزائر	صدام
عبد النور	نوح	هوناين	الغريب
بلحضري	سيدي عيسى	واد السبع	
قايد	كريم الله	تلمسان	
بوثلجة	تائب الله	عين تموشنت	
إلهام	مكتوب الله		
اسماعيل	سيدي الشيخ		
مدني			
موسى			
محمد سفيان			
نورية			
عمر			
عمر ابراهيم			
زوليخة			
زياني			
يحي			
سامية أعمر			
عبد العزيز			
الحاجة فاطنة			
20	**08**	**06**	**03**
المجموع: 37			

3- القوارب الصغيرة:

الفضاء العائلي	الفضاء العقائدي	الفضاء التاريخي الوطني	الفضاء المتنوع
زياني موسى سمير ثورية نبيل	شوف المكتوب	الجزائرية واد كيس سيقا غزوانه	الجواد أم قصر
05	01	04	02
المجموع: 12			

انطلاقـــًا من إحصائيات[1] مصلحة الصيد البحري فـــإن عـــدد الســـفن النشطة هو 97 منها 46 جيبيات و38 سردينيات و12 قوارب صغيرة بحيث يتضـح لنا أن نسبة 50% من أسماء السفن والقوارب يمثلها الفضاء العائلي في حيـــن أن الفضاء العقائدي المـــقدس فقد تساوى مع الفضاء التاريخي الوطني بحيث بلغـــت النسبة المئوية في حدود 20% لكل فضاء على حدة ،أما الفضاء المتنـــوع فنـــال نسبة 10% فقط نظرا لتعدد الاهتمامات في هذا الإطار.

تعود أسباب علاقة تسمية السفن بالطابع العائلي إلى خصوصية العلاقـــات الاجتماعية بين البحارة الصيادين وعائلاتهم لذا يسمي البحار الصياد عادة قاربـــه باسم أحد أفراد العائلة من الذكور والإناث بل وجدنا بعضهم يسمي خصيصا باسم ابنه أو ابنته الصغير.

---

(1) إحصائيات السداسي الثاني لسنة 2003.

ج- طرق تنفيذ العمل البحري:

تعتمد حرفة الصيد البحري كسائر الحرف على مجموعة من الضوابط والمعايير التنظيمية، ويبقى تنفيذ العمل البحري من مستلزمات الحرفة بل قوامها في الممارسة الميدانية ،سواء على متن القوارب والسفن أو على أرصفة الميناء بحيث يتم تحضير الوسائل وتنظيمها قبيل الخروج إلى عرض البحر.

وفي هذا الإطار توجه بعض الأوامر للبحارة الصيادين باستعمال ألفاظ إسبانية[1] لكنها أقحمت في التعبير الشعبي فصار فيها تحريف صوتي طفيف. وهذا ما دفعنا إلى انتقاء متن متواضع يتضمن الألفاظ ذات الأصل الإسباني الدالة على الأمر في تنفيذ العمل البحري سنحاول دراسة بعض النماذج منها.

1-أمبري Ambri لفظ إسباني بمعنى اجعل محرك القارب في سير عادي ومبدأ الاختصار هو اتفاق البحارة الصيادين على الصيغة أثناء تنفيذ العمل البحري ،كما يتم إضافة لفظ "موتور" إلى اللفظ الأساسي في بعض الأحيان تفاديا للالتباس في تنفيذ العمل.

2-بوصات Boussate يستعمل هذا التركيب عندما يتعلق الأمر بجعل حبلين في مكان واحد ووقت واحد أيضا، وخاصة خارج الرصيف أي على سطح القارب.

3-بوصي Bousse ومعناه جعل الحبل يتقدم من خلال هبوط الشبكة إلى العمق المحدد، ويستعمل أثناء هبوط الشبكة من القارب إلى البحر في نظام محكم.

---

(1) تتجلى الخصوصية الثقافية لسكان المنطقة في التأثر باللغة الإسبانية باستعمال ألفاظها في حديثهم بتحويرها بما ينسجم مع طبيعة أعضاء نطقهم مثل تفخيم التاء مثل "التون أصبح طون".

4-ديبر Debre ومعناه جعل محرك القارب أو السفينة في استقرار تام في الحالات التي تسبق الذهاب إلى عرض البحر أو العودة منه، عموما هو تعبير موجه إلى الميكانيكي بالدرجة الأولى.

5-وانطا ; Wanta وعادة يوجه هذا التركيب إلى البحار أثناء صعود الشبكة إلى سطح القارب وهي مملوءة بالأسماك حتى يتسنى للبحار المسؤول عن صعود الحبال أن يقبض الحبل الرئيسي في مكان واحد.

6-كالي Kali (بكاف أعجمية) ويستعمل هذا التركيب من خلال إصدار ربان السفينة الأمر برمي الشباك إلى البحر وذلك بعد تأكد الربان من مستوى العمق والمكان المحدد.

7-كوفري Coufri يعني لف الحبل في مكان معين على سطح القارب ولكن على شكل حلزوني وهو لفظ إسباني له هذا المعنى لكنه عرب مع وجود تحريف صوتي.

8-كسط Kostaoo وهو الأمر برسو القارب أو السفينة على أرضية الميناء مع أخذ الاحتياطات في عملية الرسو حتى تتم في ظروف عادية.

9-موي Mouya لفظ مفيد من أصل إسباني بمعنى أطلق الحبل وهو متكون من مسند ومسند إليه، وتم الاكتفاء في هذا التركيب اللغوي بهذين العنصرين للدلالة على معنى أكثر مما يحمل التركيب دون إدراج العنصر المكمل (المفعول به) والتركيب السليم يكون موي كابلا أي أطلق الحبل.

10-فيرا Vira (بهمس الفاء) ويستعمل هذا التركيب أثناء جذب الحبال الملتوية في مكان واحد ومحاولة ترتيبها حسب شكلها وطولها.

11–صالبي Salpi (بهمس الباء) يستعمل هذا التركيب بعد تأكد الربان من أن الشبكة أصبحت مثقلة بالسمك أو عند الإحساس بأي طارئ يعطي للبحارة الصيادين هذا الأمر، يعني أحمل الشبكة نحو الأعلى.

12–شكارتا Tchkarta كلمة إسبانية محرفة صوتيا وعربت بمقتضى الحال بمعنى أفرز السمك وتتم العملية في الجيبيات على وجه الخصوص نظرا لتنوع الأسماك.

13–تيمبل Templa وهو لفظ يدل على أمر رص الحبال وخاصة أثناء هبوب العواصف القوية واضطراب البحر وعلو الأمواج، كما يكون أمر الرص في الظروف العادية أيضا، ولكن بصورة أقل مما هي عليه في الظروف الطبيعية الصعبة.

14–تشوزي Tchouzi وهو لفظ إسباني يستعمله خياطو الشباك أثناء تهيئة خياطة الشباك.

15–لارقا Larga وهو لفظ إسباني معناه الابتعاد عن الرصيف يستعمل من قبل البحارة الصيادين في جميع الحالات قبيل الإبحار مع الأخذ بعين الاعتبار ظروف العمل البحري، والتركيب السليم هو ابتعد عن الرصيف.

د– وسائل العمل البحري:

تقوم جميع الحرف على استخدام مجموعة من الوسائل، وذلك حسب طبيعة كل حرفة ومتطلباتها. وحرفة الصيد البحري هي إحدى الحرف التي تعتمد على صنفين من الوسائل: أحدهما ميكانيكي والآخر يدوي.

أما الوسائل الميكانيكية فهي التي يتم استخدامها من خلال محركات السفن والقوارب باعتبارها العمود الأساسي لها، ويبقى دور البحارة الصيادين بالنسبة إلى هذه الوسائل متمثلا في تنظيم سيرورة العمل البحري. وأما الوسائل اليدوية فهي تعتمد اعتمادا كليا على المهارات اليدوية التي تكتسب بواسطة الممارسة التي تؤول إلى عمل آلي لا إرادي.

وسواء أتعلق الأمر بالصنف الأول أم الثاني، فإن دور البحار الصياد يبقى أساسيا نظرا للصعوبات التي يتلقاها في الميدان أثناء تغيرات الظروف الطبيعية. وما دام البحر أساس القوة فعلى البحارة الصيادين أن يستعملوا كامل قدراتهم ومهاراتهم للعودة إلى البر في سلام وأمان دون مشقة.

ومن الوسائل الضرورية في هذا النشاط اخترنا بعضا منها لتوسيع إطار المعرفة من جهة، وإظهار أهمية دور كل وسيلة ضمن إطار عمل مشترك من جهة أخرى.

- لارط Larté[1]: يختلف نوعه[2]، شكله[3]، طوله[4]، بين السفن بأنواعها، بالإضافة إلى تمايز طريقة استعماله.

ومن الوسائل المرتبطة بالشباك:

- منيط Maneta[5]: حبل حديدي طوله 200 مترا، له وظيفة ربط الشبكة بالسفينة عن طريق الجاذب Treuil الذي يستعمل في عملية الجر وجمع المردود

---

(1) بتفخيم الطاء، وهي كلمة إسبانية بمعنى شباك الصيد.

(2) هناك من القوارب لا يستخدم الشباك في الصيد وتدعى "بلونوغي" التي تعتمد على السنارة Palangrier.

(3) لم تستعمل في القديم سوى شباك صغير يعرف باسم "ماي"، بمعنى العين، ثم شبكة ثلاثة أعين Trois Mail

(4) فيه شباك بوجه واحد وشباك بأربعة أوجه قد تم حظرها دوليا بسبب ما تتلفه من أسماك صغيرة.

(5) يشكل بصلابته وتمديده خطرا على البحارة بتقطعه، حسب إحصائيات مصلحة الصيد البحري أودى مثل هذا الحادث بحياة أربعة بحارة.

من السمك نحو السطح من جهة بوبا Popa[1]، ويتعلق الأمر هنـــا فـــي الســـفن الجيبيات، حيث يتم انتقاء السمك وغسله ووضعه بالنفيرا Neveral[2].

– كوريدرا Koridera[3]: الحبل المستعمل في ربط الشـــبكة فـــي الســـفن السردينيات. الجزء الأول منه يدعى "تريصا" Treça[4] وأعلاه يُعرف بـــ "بونيـــو" Ponyo[5]. تتولى "بوليا Polia"[6] عملية جذب الشبكة إلى "بوبا" Popa[7]، وأحيانـــا يصعب جذبها ميكانيكيا، فيتم إنقاص السمك مـــن الشـــبكة بوســـيلة "صلابـــري Salabri"[8]. وبعد عملية إفراغ الشبكة من السمك يتم تعبئته في الصناديق ويكلـــف بحار برش ما عبّء بما البحر يتم غرفه "بالد Baldi"[9]. كثيرا ما تتمزّق الشـــباك بفعل عملية الجرّ في عرض البحر فيتم ترقيعها بالخيط الذي يسمونه إيلو والإبـــوة التي تدعى "لابوخا" Lapokha[10].

هـــ– الأسماك:

يصل عدد الأسماك بأنواعها المختلفة إلى ما يقارب عشرين ألف نوع، مـــع وجود أصناف أخرى لم يتوصل إلى معرفتها علماء البحر[11].

---

(1) بهمس الباء: كلمة إسبانية بمعنى مؤخرة السفينة.

(2) بهمس الفاء: كلمة إسبانية تعني خزان السفينة.

(3) كلمة إسبانية بمعنى حبل حديدي متين.

(4) كلمة إسبانية بمعنى حبل يمثل رأس الشبكة.

(5) بهمس الباء: كلمة إسبانية بمعنى أقصى رأس الشبكة فيه حبل طوله 10 أمتار.

(6) كلمة إسبانية بمعنى عجلة الجرّ.

(7) مؤخرة السفينة.

(8) حلقة حديدية بها مقبض ملف بالحبال مسدودة بقطعة من الشباك.

(9) بتفخيم الباء: كلمة إسبانية بمعنى الدلو.

(10) لها مدلول آخر يدل على البيع بالمزايدة العلنية.

(11) وهناك أنواع غير معروفة بلا شك، ويعتبر تصنيفها في غاية التعقيد.

أنظر: د. محمد فؤاد إبراهيم: "المعرفة"، المجلد الرابع، شركة إنماء للنشر، 1985، ص 534.

والشريط الساحلي الغربي الجزائري جزء لا يتجزأ من سواحل البحر الأبيض المتوسط، فإنّ معظم ما يتوفر عليه من أسماك تزخر بها المياه الإقليمية[1] المحلية[2]. ويمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسيين هما: الأسماك الزرقاء والأسماك البيضاء.

وكشف لنا هذا التصنيف حضور أسماء لأسماك من الناحية اللغوية بأوجه صوتيّة مختلفة، مع العلم أن أصل تسميتها إما إسباني أو فرنسي أقحمت في التعبير الشعبي، وسرى توظيفها في ممارسات البحارة الصيادين، بل أصبحت هذه الأسماء (أسماء الأسماك) منسجمة مع نطق أهل المنطقة، نحو: تشلمار (Calamar) استبدلت في الكلمة الكاف[3] تشا، تشابوط (Cabout).

وعليه، يجدر بنا تقديم جدول يحدد قائمة الأسماك التي تشكل الثروة السمكيّة بالشريط الساحلي للغزوات اعتمادا على الخريطة البحرية ومردودية النشاط، حيث تبقى الأسماك الزرقاء مستأثرة بحصة الأسد من الإنتاج السنوي[4]، في حين أن الأسماك البيضاء هي أقلّ كثافة نظرًا لقلتها أولاً، ثم تواجدها في مناطق بعيدة وعميقة ثانيًا.

---

(1) تبلغ مساحة الجرف القاري الجزائري 13.700 كلم مربع، وأمّا عرضه فيبلغ عشرة أميال في مستوى الغزوات. تقدر المساحة المخصصة للصيد البحري بـ 9,5 مليون هكتار. أنظر: الجزائر: الدليل الاقتصادي والاجتماعي. المرجع السابق، ص 108.

(2) يبلغ طول الشريط الساحلي لمنطقة الغزوات 65 كلم، ويتراوح عمق مياه سواحلها ما بين 1,5 متر إلى 10 أمتار على الساحل، و400 متر بعرض البحر.

(3) تُقلب الكاف تش. فإذا تصدرت الكاف الكلمة تنطق تش، وإذا تطرفت تنطق "ش"، نحو شبش في شبكة، وهي تختلف عن كشكشة (بيعة التي تقلب فيها كاف المخاطبة حالة الوقف إلى الشين، وشنشنة اليمن والتي تقلب فيها الكاف شينا مطلقة، وتش التطوانية التي تقلب فيها الكاف المتطرفة تش).
أنظر: أحمد قريش: "دراسة لهجية لمنطوق السواحلية"، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، تلمسان، 1999، ص 53.

(4) بلغ إنتاج الأسماك الزرقاء بميناء الغزوات عام 1998 ما يساوي 8956 طن في حين بلغ إنتاج الأسماك البيضاء 2311 طن. وبلغ الإنتاج الإجمالي في السداسي الأول من عام 2000 ما يساوي 4200 طن، منها 3100 طنا من السمك الأزرق. وقد أنشئت على أثر هذا المردود الوافر من هذين الصنفين من الأسماك مصانع لتمليحه وتصديره، وخاصة البلم المملح. ومازالت هذه الحرفة التقليدية مستمرة داخل البيوت.
إحصائيات مصلحة السيد البحري بالغزوات.

1- الأسماك الزرقاء

الاسم المحلي	الاسم العربي الفصيح	الاسم اللاتيني	التعـــريف بالنوع
سردين[4]	السردين[1]	Sardine[2] (فرنسي) Sardina[3] (إسباني)	سمك مشهور من فصيلة الصابوغيات التي تنتمي إلى الأسماك الأوقيانوسية (وهي من فصيلة الأسماك المصطادة على السواحل). عادة ينتقل السردين عبر سطح البحر، يصل مستوى طوله إلى حدود 20 سم، ويميل لونه إلى الأزرق والأخضر من جهة الظهر، وإلى الفضي من جهة البطن، كما يستهلك طريًا ويحفظ في الزيت. يكثر السردين في سواحل البحر الأبيض المتوسط حتى أصبح نوع يسمى بسردين هذا البحر والذي يُعرف بالفرنسية Allache، كما ينتشر السردين بالمحيط الأطلسي بنسبة مكثفة أيضًا[2].
بوكرون[4]	البلم[1]	Anchois[2] (فرنسي) La An-choa[3] (إسباني) Boquerou[3] (إسباني)	هو سمك صغير من فصيلة الصابوغيات التي تسمى السردين، يكثر البلم في سواحل البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، حيث يعدّ الشريط الساحلي لجمهورية البيرو أكبر منطقة ساحلية في العالم ينتشر فيها البلم. يحفظ البلم في نقيع الملح أو الزيت بل يحول إلى دقيق السمك. يتراوح طوله ما بين 15 و 20سم[2].

(1) قاموس الكنز: فرنسي/عربي، تأليف جروان السابق، بيروت، دار السابق، الطبعة الأولى، 1985.
(2) قاموس: Petit Robert.
(3) قاموس: Larousse : Français- Espagnol.
(4) مصدر شفوي.

بونيطو[6]	بونيت[1] (تن صغير)	Bonite[2] (فرنسي) Bonito[3] (إسباني)	ينتمي إلى فصيلة الأسماك الأوقيانوسية، يشبه سمك التون، يعيش في سواحل البحر الأبيض المتوسط، حيث يُعرف باسم "تن الأبيض المتوسط" يتراوح طوله ما بين 0,60م ومتر واحد. ويستهلك طريًا.

2- الأسماك البيضاء

الاسم المحلي	الاسم العربي الفصيح	الاسم اللاتيني	التعريف بالنوع
طُن[5]	التون[4]	Thon[5]	سمك مشهور له زعانف شائكة، له هجرات كبيرة ما بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط. والتون نوعان: الأبيض والأحمر، فالأبيض طوله متر واحد ووزنه 30كلغ، أما الأحمر، فطوله يتراوح ما بين مترين و3 أمتار، في حين يصل وزنه إلى 500كلغ[2].
سَبَدْ[5]	سياف البحر[1]	Espada[3] (إسباني) Espadon[2] Spadone[4] (إيطالي)	هو سمكة كبيرة القد، من فصيلة الإسقمريات، تتميّز بعظم فكها الأعلى الذي يبدو كالسيف. وهي تعيش في البحار الحارة والمعتدلة. يصل طول الواحدة إلى 4 أمتار[2].
مَرل[5]	غُبرَ[8]	Merlan[2]	هو سمك معروف جدًا من فصيلة الغادسيات، مستطيل الشكل مفترس، يتراوح طوله ما بين 20 و40سم[2].

---

(1) قاموس الكنز: فرنسي/عربي، تأليف جروان السابق، بيروت، دار السابق، الطبعة الأولى، 1985.
(2) قاموس: Petit Robert.
(3) قاموس: Larousse: Français-Espagnol
(4) قاموس: Larousse: Français-Italien
(5) مصدر شفوي.

الاسم المحلي	الاسم العربي الفصيح	الاسم اللاتيني	التعريف بالنوع
روجي[3]	طَرَ ستوج[1]	Rouget[2]	سمك زاهي اللون، لحمه لذيذ، وهو نوعان، النوع الأول يميل إلى الأحمر الشديد، وهو موجود في المناطق الصخرية، والنوع الثاني يميل إلى البياض مع الحمرة، يتراوح طوله ما بين 20 و30سم[2].
تشلمار[3]	صَدبيدج[1]	Calamar[2]	سمك ذو عشرة أذرع، يفرز سائلاً أسود الحبر، لحمه لذيذ، يعيش في السواحل ويصل طوله إلى 50سم، أما الأنواع التي تعيش في المياه العميقة فيصل طولها 15سم[2].
كنكر[3]	أنقليس البحر[1]	Congré[2]	سمك لونه فضي، يميل إلى الأزرق الكثيف، يعيش في المناطق الصخرية، يصل طوله إلى مترين وأكثر[2].
راخ[3]	شفين بحري[1]	Raie[2]	سمكة غضروفية مأكولة اللحم، تعيش في المياه العميقة على السواحل الأوروبية، وخاصة البحار الحارة، يتراوح طولها ما بين متر واحد ومترين[2].
تشابوط[3]	غجوم[1]	Goujon[2]	سمك من فصيلة الشوطيات يعيش في البحار الحارة، يصل طوله إلى حوالي 15سم، كما يعيش الغجوم في الأنهار[2].

(1) قاموس الكنز: فرنسي/عربي، تأليف جروان السابق، بيروت، دار السابق، الطبعة الأولى، 1985.

(2) قاموس: Petit Robert.

(3) مصدر شفوي.

الاسم المحلي	الاسم العربي الفصيح	الاسم اللاتيني	التعريف بالنوع
بَروش[3]	الزنجور[1]	Brochet[2]	سمك بحري يعيش في المياه النهرية أيضًا، له فم عريض يصل عدد أسنانه إلى 700، يعيش طويلاً لعدة أعوام ويصل طوله إلى متر واحد[2].
بلبُل[3]	أخطبوط[1]	Poulpe[2]	سمك من رأسيات الأرجل وفصيلة الرخويات، له ثمان أرجل، ضيق الفم، يتغذى بالحيوانات البحرية الضعيفة[2].
مرو[3]	ميرولا[1]	Mérou[2]	سمك مشهور يعيش في البحار الحارة، لحمه لذيذ، يبلغ طوله حوالي متران، ويصل وزنه إلى زهاء 100كلغ[2].
صُل[3]	سمك موسى[1]	Sole[2]	سمك مفلطح الوجه وجسمه مسطح، لحمه لذيذ[2].
رَصكس[3]	سمكة شائكة[1]	Rascasse[2] Rascaso[4] (إسباني)	سمك شائك مأكول، لكن الأشواك الموجودة فيها سامة جدًا[2].

كما تتوفر المياه الإقليمية للشريط الساحلي للغزوات على الحيوانات البحرية المسماة بالقشريات Crustacés التي تعيش بحجم كبير في أعالي البحار، ويتم اصطيادها بالسفن الجيبيات.

---

(1) قاموس الكنز: فرنسي/عربي، المرجع السابق.

(2) قاموس: Le Petit Robert

(3) مصدر شفوي.

(4) قاموس: Larousse: Français-Espagnol

تتمثل القشريات في أربيان "Crevettes" بالدرجة الاولى.

1- كروفات: أربيان[1] Crevette[2] هي صنفان[2]:

- صنف وردي موجود في المناطق الصخرية على السواحل المتوسطة والأطلسية، يتراوح طوله ما بين 7 و12سم، بل يصل إلى 20سم، ويسميه الإسبان بـ Camba.

- صنف فضي ينتشر في المناطق الرملية القريبة من المناطق الصخرية، يتراوح طوله ما بين 3 إلى 6سم.

2- لانغوست: جراد بحري[4] Langouste[3]، وهو حيوان مائي مأكول من القشريات عشارية الأرجل، يصل طوله إلى 40سم، وينتشر في جميع البحار[2].

3- لانغوستين[1] Langoustine[2]: حيوان بحري يشبه السرطان، يبلغ طوله 15سم، يعيش في المحيط الأطلسي بالدرجة الأولى، ويهاجر إلى السواحل المتوسطية[2].

---

(1) قاموس الكنز: فرنسي/عربي، مرجع سابق.

(2) قاموس: Petit Robert.

ثانياً: البعد الدلالي للتعابير الشفوية

أ- الصيد البحري وفضاؤه في التعابير الشفوية:

ليس عالم البحر فضاءاً جغرافيـاً جامداً في المخيلة الشعبية، فـهو نظـام ثقافي واجتماعي واقتصادي في ذات الوقـت ، قـائم علـى مجموعـة مـن العـلامات والدلالات المستمدة من محيط الإنسان الداخلي والخارجي، بالإضافـة إلى مقدساته، فكان البحر في المنظور الاجتماعي هو ذلك العالم العجيب الملـيء بالأسرار والغرائب تربطه بالإنسان علاقات دلالية.

لكن ما هي العلاقات الدلالية والرمزية التي تربط الإنسان بالبحر، حيـث نعرف أن الصيد البحري حرفة قديمة قدم الإنسان مثل الزراعة، بل البحـر هـو الحياة كلها عند بعض الشعوب والحضارات؟

هذه الإشكالية تفترق مع المعالجات التي تستمد محتواهـا مـن دراسـات مستوحاة من فضاءات اجتماعية وثقافية لا تمت بصلة بخصوصية الواقع محـل البحث، بل تنطلق من أهمية البحر في الحياة الإنسانية. فلهذا الاتجـاه اسـقاطات معرفية ومنهجية تُبنى عليها النتائج المصطنعة وفرض اشعاتها على فضاء البحـر (الصيد البحري والبحارة الصيادون).

سنتحدث عن الصيد البحري كحرفة اكتسبت قيمتها الشرعية من الدين فـي إطار تنظيم عمل تقليدي له تأثير على سلوكات ومواقف البحارة الصيادين.

سيقودنا الحديث عن الصيد البحري انطلاقا مما تذكره الآيات القرآنية التي تتناول الشرعية الدينية لهذه الحرفة ،محددين منطلقنا بالسؤال التالي: هل للصيـد البحري قدسية خاصة في مجتمعاتنا ؟

لا نريد أن نتجّه في حديثنا عن مفهوم الصيد البحري كما تنص عليه القوانين الرسمية التنظيمية، وإنما قصدنا أولاً عند حدود النص الشرعي[1] المتعلق بأهمية الصيد في الحياة البشرية وأنه جائز في كل الأحوال[2]. فاستثنت الشريعة الإسلامية من الميتة المحرمة السمك والحيتان ونحوهما من حيوانات الماء. فحين سُئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ماء البحر قال: "هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته "[3].

وتعود عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بموضوع الصيد إلى أن الكثير من العرب وغيرهم من الأمم يعيشون على الصيد البحري، كما خصص له الفقهاء[4] أبوابا مستقلة وبينوا ما يحلّ وما يحرّم وأيضا ما يجب فيه وما يستحب.

حاولنا الاقتراب من عالم الصيد البحري والتركيز خاصة على ما يدور بين البحارة الصيادين من أحاديث وما يوظفونه من كلام مأثور وأقوال نابعة من التجربة في ذات الفضاء. كما حاولنا قراءة الكتب التي تناولت أشكال التعبير في الأدب الشعبي[5]، ووقفنا في ذلك على الأصناف التي بدت لنا قريبة الصلة الدلالية بالصيد البحري كإطار شامل.

---

(1) قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ". سورة النحل، الآية 14.

(2) السيد سابق، فقه السنة، القاهرة، دار الكتب ،طبعة خاصة بالمؤلف، 1988، الجزء الثالث، ص 269.

(3) متن موطأ الإمام مالك، رضي الله عنه، على رواية يحي بن يحي، دار الكتب، الجزائر، 1987، ص263–264.

(4) يوسف القرضاوي الحلال والحرام في الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الحادية عشر، 1977، ص58.

(5) نبيلة إبراهيم، " أشكال التعبير في الأدب الشعبي" – أحمد رشدي صالح "الأدب الشعبي".

فالممارسة الميدانية للعمل البحري تقوم على علاقات ذات عناصر بنيوية داخل إطار القواعد والضوابط الاجتماعية والثقافية تفسرها الخطابات الشعبية من أقوال سائرة وأمثال وألغاز.

لقد مكننا هذا الحصاد الشفوي (أقوال سائرة وأمثال وألغاز) الذي تمّ جمعه خلال مرحلة تزيد عن سنة كاملة، من تشكيل متن متواضع بلغ مائة نص (100) تمّ تصنيفه موضوعاتيا على النحو التالي:

1- البحر والعيش.
2- البحارة الصيادون.
3- الاعتقادات عند البحارة الصيادين.
4- الأسماك وخصوصياتها.
5- السفن والعمل البحري.
6- مردودية النشاط وأهميته الاقتصادية.

ب- المحاور الدلالية:

المحور الأول: البحر والعيش.

تمّ ضبط ترتيب المحاور الدلالية التي حددناها سابقًا من خلال منطلقات منطقية، فكان المحور الأول المتعلق بالبحر والعيش أساسًا والمحاور الأخرى فروعًا ناتجة عنه ومكملة له.

ظل البحر الشغل الشاغل للذاكرة الشعبية ،ترى فيه عالما متميزًا له خصوصيته الجغرافية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بل هو عالم قائم بذاته .

لقد تحدثت الذاكرة الشعبية عن البحر وجعلت الإنسان يتأمل ويتمعّن فيـــه بأسلوبها الخاص والخالد من خلال أشكال تعبيرية شعبية بسيطة المستوى اللغـوي والتركيبي ولكنها عميقة المستوى الدلالي الرمزي.

لقد دلّت أغلب النصوص على أن البحر أساس العظمة والقوة:

1- لبحَر غُول.

2-يتَخْتَخْ ما يَـطـيَّب.

3-يقتل برصاص، يحفر بلفاس، يدفن بتَّاس.

4- فرّق لبحر يرجع سواق.

جاءت التعابير الشفوية ذات الصلة بفضاء البحر كأساس القوة تعمل مـــن أجل تثبيت قيم إيجابية وذلك وفق رؤية وفلسفة شعبية تبحث من أجل تأصيل هـذه القيم الإيجابية التي يقوم عليها التفكير الاجتماعي.

القيم الإيجابية: البحر: السيد، البحر: مجموعة السواقي، البحر: يتختـــخ: لا يطيب، البحر: القتل والحفر والدفن، البحر: الغول.

فقد ارتبط البحر بحياة الإنسان من خلال هذه التعابير الشفوية الشـــعبية كأســـاس للقوة في إطار الدائرة الإيجابية (سيد، غول، لا يطيب) فهو البيت الدافـــئ والأم الحنون رغم وجود صراع أبدي بين الإنسان والبحر ولكن لا بقاء إلاّ لقوة الخـالق عزّ وجلّ.

ومن هذا المنطلق، فإن التعابير الشفوية الشعبية جاءت محمّلة بقيم تحركـها كقوانين ثقافية اجتماعية تساهم بقسط وافر في تنظيم حياة الفرد من خلال علاقتـــه بالبحر، حيث لها من القوة الفكرية والفلسفية ومن الانتشار الشعبي ما يؤهّلـها لأن تكون موسوعة قانونية مدنية تسهر على حياة الفرد أخلاقيًا، اجتماعيًـــا، ثقافيًـا،

اقتصاديًا، وذلك في حدود ما تشيعه بنيتها الدلالية والرمزية من نواهٍ وأوامر وتوجيهاتٍ ونصائح.

إن ارتباط الحياة بالبحر كفضاء متنوع (جغرافي، اجتماعي، اقتصادي، ثقافي) ينبغي الحفاظ عليه، تجسدت صورته من خلال تلك التعابير الشفوية التي تختزنها الذاكرة الشعبية وتحركها عند المناسبة في شكل نصائح وأوامر ونقد وإشادة بأهمية البحر في حياة الإنسان.

وهناك علاقة قديمة بين البحر والوجود البشري تكتمل أبعادها عند البحارة الصيادين أثناء ممارستهم للحرفة.

فالخطاب الشعبي يردد بدون حدود وفي كل المناسبات وبوعي عميق على أن أساس البحر القوة.

- لموفيطا[1] ما تلكّهش .
- لبحر هودْ في خَطـرَ[2].
- بصح لبحر يخوف بزّاف .
- لبحر يمد شارَ سودِ[3] يستعمدُ .

لم تمر معاني هذه التعابير الشفوية بصمت على الذات الشعبية الناتجة ،فقد كانت رحماً واسعاً تربت في أحشائه فلسفة شعبية خالدة ارتبطت وظيفتها الاجتماعية والثقافية للبحر ، فكان عالم البحر (الخطر، الخوف، الهلاك، التعب، الشقاء) هو الحياة (الرزق، الشرف، الخير، القوة) وأن الحفاظ على قداسة البحر

---

(1) كلمة مركبة من أصل فرنسي Mauvais Temps وتعني سوء الأحوال الجوية.

(2) بمعنى هاج بسرعة ولم يعط الوقت لطاقم السفينة.

(3) دِ: اسم إشارة.

كفضاء متنوع، هو في نفس الوقت حفاظ الإنسان على إنسانيته ووجوديته الشـاملة المادية والمعنوية :

- هَدَ هو لي رزكُ[1] فكْ لـــمَ.
- اعمل الخير وارمي للبحر، واعمل الشَّر وا عكل عليه.
- معيشة لبحر مْريح خير من فلاحا.

لقد تفطنت الذاكرة الشعبية إلى خصوصية عالم البحر وما قد يحدث للـذات الفردية والاجتماعية من صعوبات تعود بالضرر العام في بعض الأحيان ،حيـث يصبح البحار كالسمكة لا يستطيع الخروج من عالمه على الإطلاق.

- من غير الصّح ما كانـشْ فـلبحر.
- كـــي لحوت فـلبـحر.

إن الإبداع الشعبي عبر التعابير الشفوية المتعلقة بالبحر، وما تحمله بيـــن طياتها من فلسفة عميقة في تنظيم حياة البحار، عرف كيف يصوّر ببلاغة شـعبية الخطر المحدق بالبحارة أثناء ممارساتهم الميدانية، يجد البحارة أنفسهم مضطريـن إلى إيجاد حلول لبعض المعضلات، لكن تبقى قـدرة الله تعـالى وقضـاؤه هـي الأساس .

وقد استمدت الذاكرة الشعبية الطابع المقدس للبحر من العقيدة الإســـلامية التي تناولت عالم البحر من جميع الجوانب المادية والمعنوية في كثير من الآيـات القرآنية والأحاديث النبوية والتي كان لها حضور قويّ في التعابير الشفوية عنـــد البحارة الصيادين مثل الآية: "وَهُـوَ الَّـذِي سَخَّرَ البَّحْـرَ لِـتَأكُلوا مِنْـــهُ لَحْمًـا

(1) لإخفات الهاء التي تعود على الضمير ،قلب القاف إلى كاف.

طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[1].

وأيضا الآية: "وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا "[2].

وكذا الأحاديث النبوية: "هو الطهّور ماؤه الحلّ ميتته ". والحديث: "كُلوا رزقا أخرجه الله لكم وأطعمونا إن كان معكم فأتاه بعضهم بشيء فأكله"[3].

لقد صورت نصوص التعابير الشفوية التي استنطقنا بعضها في محور البحر كفضاء وكميدان خاص اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافياً ونفسيًا كما ربطت الحياة البشرية بعالم البحر، وذلك من خلال الحقول الدلالية والرمزية التي ذكرنا بعضها آنفا. فبين البحر والحياة كإطار شامل علاقة القوة والعظمة ويظهر جلياً من خلال ما تشعيه تلك التعابير الشفوية سواء على مستواها اللغوي أو على مستواها الدلالي والرمزي العميق. فهي تكشف عن مواقف نفسية واجتماعية واقتصادية وعقائدية مختلفة باختلاف حضور الإنسان في عالم البحر القائم على القوة.

لقد عمدت الذاكرة الشعبية على تقديس البحر وتهيئته وفق إطار اجتماعي ثقافي محلي بما يضمن للفرد تنظيم الحياة مع البحر.

---

(1) القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 14.

(2) القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية 67.

(3) أحاديث نبوية شريفة رواها الإمام مالك.

إن البحر فضاء متنوع متميز له خصوصية هامة في الحياة البشرية، ففي البحر يكتشف الإنسان كثيرًا من الأسرار والخبايا ويحاول الوقوف على معالم العظمة التي يكتسبها البحر ، فيبقى الإنسان بين فضائين: فضاء البحر وفضاء الحياة، فهو مرشح لمجابهة السؤال الوجودي الخالد: ما علاقة الإنسان بالبحر؟ فالحياة في البحر لها نظام خاص وبالتالي على الإنسان أن يتكيف معها.

المحور الثاني: البحارة الصيادون.

سبق أن تحدثنا عن مفهوم البحارة الصيادين كما تنص عليه القوانين الرسمية التنظيمية، ومقصديتنا تتوقف عند حدود الخطاب الشعبي المتعلق بموقف الذاكرة الشعبية من البحارة الصيادين وتنظيم اختصاصاتهم.

فالبحارة الصيادون هم أفراد عاملون على متن السفن والقوارب يتكفلون أجهزة الصيد ونقل الأسماك إلى الميناء. ولكن الذاكرة الشعبية لها حديث آخر عن البحارة الصيادين، نظرت إليهم بأسلوبها الخاص والخالد من خلال تعابير شفوية شعبية بسيطة التركيب ولكنها عميقة الدلالة.

تناولت بعض نصوص التعابير الشفوية أوصاف هؤلاء البحارة الصيادين:

-لبحر سنّب[1] يعرف سوى يهدر.

-لبحر يهدر بزياف.

-لبحر ديّوث خوّاف.

---

(1) من أصل فرنسي Simple وأسقطت منها حرف اللام قصد التخفيف .

كما أخذت هذه النصوص بعين الاعتبار الرُّتب والاختصاصات عند البحارة الصيادين. فالربّان هو الشخص المسؤول الأول على القارب وعلى أفواد الطاقم الموجودين فيه في البحر. وتبقى التجربة والحنكة في الميدان هي الأساس وخاصة أثناء سوء الأحوال الطبيعية ولكن هناك اختلاف ما بين هذا الربّان وذاك، بل من المستحيل أن يتفق اثنان في قيادة سفينة واحدة.

-رايس صح يمد ليشر صح .
-لرياس ماشي كفكيف .
-كي تشتر لفهام يغرق لبوط .
-كي يشتر ارياس يغرق لبابور .

وجاءت التعابير الشفوية ذات الصلة الوثيقة باختصاصات البحارة الصيادين أثناء عملهم البحري تنظر إلى الربّان على أنه يحتاج إلى كفاءات ومؤهلات عالية نظرية وتطبيقية ويتبعه نائب الرئيس في حالة الغياب، ثم الميكانيكي الذي يلعب دورًا هامًا في القارب أو السفينة، حيث يشرف على مراقبة محركات السفينة وتصليحها وصيانتها باستمرار، فهو أول من يحضر إلى السفينة وآخر من ينزل منها بعد الوصول إلى الميناء. فوجوده ضروريّ جدًا كونه يؤمن من سلامة الملاحة والصيد البحري.

ويبقى دور البحار أو الملاح أساسًا للعمل البحري من خلال تلك التعابير الشفوية التي تختزنها الذاكرة الشعبية وتحركها في شكل نقد وإشادة بأهمية حرفة الصيد البحري في المجتمع وذم سلوك البحار الكذاب والكذب.

فالصيد البحري حرفة وتنظيم اختصاصات البحارة الصيادين هي دعوة إلى تنظيم هذه الحرفة وهؤلاء الحرفيين وما لهم من خصوصيات اجتماعية ثقافية

واقتصادية. فالخطاب الشعبي يردد بدون انقطاع على أن حرفة الصيد البحـــري تشبه الفلاحة[1] ولكن الفرق يكمن في أوقات العمل .

-لبحري فلاح بالليل.

-عشرت بحري زايد عشر هم عشرين كداب .

-فراشنا لم وغطانا سما زادنا على الله .

لقد تفطنت الذاكرة الشعبية إلى آفة الكذب عند البحارة الصيادين وما لـــها من آثار سلبية على حرفتهم ، فكثيرا ما تدور بينهم في الميناء أو المقهى أحـاديث طابعها العام الكذب الممزوج بالافتخار لما يتعلق الأمر بـــالمردود فـــي الصيـد والدخل الأسبوعي الصافي لكل بحار ومن سفينة لأخرى.

كما اقترن الكذب عند البحارة الصيادين بالغيرة التي تتجاوز الحدود فـــي بعض الأحيان، فتتطور إلى حسد، علمًا بأن العقيدة الإسلامية حرّمت الحسد بيـــن العباد ومنعته منعًا باتًا.

-تشي يرمي رجلو للبر يعمل تشي ادِّيب.

-بحري مع بحري ما يجهش خاطرُ.

إذا كان الصيد البحري بطبيعته يمثل نشاطـًا متمـــيزًا بالنســبة لفـروع النشاطات الأخرى، فظروف القيام به تفرز ثلاث خصائص أساسية تتجلـــى فـــي محيط العمل غير المضمون، وحضور أفراد الطاقم والمكان الـــذي يجـــري فيـــه العمل.

---

(1) تمثل الفلاحة أيضا الحرف التقليدية الأخرى و ما لها من اختلافات في أوقات العمل و الراحة .

ومن هذا المنطلق نظرت الذاكرة الشعبية إلى البحار الصيـــاد كســمكة لا تستطيع أن تعيش إلاّ في البحر وهذا ما يتفق مع الكثير من المفكريـــن والكتّـــاب الذين أكدوا في كتاباتهم، أن البحر أدخل تعديلات وتحولات علـــى حيـــاة النـــاس فحوّلهم إلى بحارة صيادين لهم خصوصية اجتماعية ثقافية.

-لبحر تشي لحوت يدور ويدور ويرجع لبحر.
-فراشن لـــمّ وغطان سنـــما وزادن على الله.
-رَاجل بلا مرَا زايلا بلاَ مُولاها.

فالبحر هو الحياة بالنسبة لهؤلاء البحارة الصيادين بكل تفاصيلها فتمـــيزّت طبيعة تنظيم العمل عندهم بالبساطة فتكونت علاقات اجتماعية وإنسانية جد متينـــة بينهم وخاصة أن عددهم لا يتعدى العشرين بحارًا في القارب الواحد.

ولكن يبقى قطاع الصيد البحري نشاطاً في منتهى الخطـــورة فكثـــيرا مـــا تحدث حوادث تؤدي إلى إصابة البحار الصياد أو هلاكه[1].

-لبحر عندو يد فلمقبرا ويد فدنيا.
-رايس صح يمد ليشر صح.

يُعد البحارة الصيادون فئة معينة لها خصائص سوسيو-مهنية وسوســـيو-ثقافية أفرزتها خصوصية العمل البحري، وهي فئة تعاني نوعـــاً مـــن التـــهميش ويظهر ذلك جليًا مما تشيعه التعابير الشفوية الشعبية (أقوال سائرة، أمثال، ألغـــاز) على مستواها الدلالي والرمزي العميق. وهي تكشف عن مواقف نفسية واجتماعية وثقافية للبحارة الصيادين إذ تُعد علاقاتهم مع الفئات الأخرى جد محدودة نظـــرًا لأوقات العمل.

(1) تمّ تسجيل حوادث غرق سفن ما بين 1998 و2001 في ميناء الغزوات كان ضحيتها 13 بحاراً.

لقد كشفت لنا الذاكرة الشعبية من خلال التعابير الشفوية صـــورة البحـــار الصياد الذي ارتبطت حياته بالبحر والصيد فيه وعدم القدرة على الخـــروج منـــه حتى أصبح الميناء هو المكان المفضل لهذا البحار الصياد حتى ولـــو بلـــغ ســـن التقاعد .

المحور الثالث : الاعتقادات عند البحارة الصيادين

لا نريد أن نتجه في حديثنا عن الاعتقادات الدينية عند البحارة الصيـــادين من منطلقات ثقافية، وإنما القصد هنا يتوقف عنـــد حـــدود الخطابـــات الشـــعبية المـــتداولة بين البحارة الصيادين حيـــث أثبتـــت التشـــبث بالاعتقـــادات الدينيـــة الإسلامية.

ارتبطت اعتقادات البحارة الصيادين بالإيمان بالقضاء والقدر وما يـــترتب عـــن ذلك مـــن أمور حيث يجد الإنسان نفسه عـــاجزًا لا يســـتطيع التغيـــير أو التبديل.

إن الإبداع الشعبي عبر التعابير الشفوية عند البحارة الصيادين وما تحملـــه بين طياتها مـــن فلسفـــة عميقة في تنظيم حياة هؤلاء البحـــارة، عـــرف كيـــف يصوّر ببلاغة أدبية شعبية اعتمـــاد حرفة الصيد البحري على القدر، ضف إلـــى هذا فـــهناك الفتح من عند الله تعالى، ســـواء أتعلق الأمر بمردوديـــة الصيـــد أو وقوع حوادث طارئة سرعان ما ينـــتبه إليها البحـــارة الصيـــادون أثنـــاء تأديـــة مهامهم.

-الله يفتح

-فلبحر ربي يْـبـــلّـــع باب ويـــحل تسعا وتسعين.

-هذا هو اللي رزق فـــوق لـــمّ.

لم تمر معاني الخطابات الشعبية عند البحارة الصيادين بصمت على الذات الشعبية المنتجة لها ، فقد كانت رحماً واسعاً تربت في أحشائه فلسفة شعبية خالدة ارتبطت وظيفتها بالبحر والحياة فكان البحر (الرزق، العمل، التعب، الشقاء، الأمل، الفتح). وأن اعتقادات البحارة الصيادين لها علاقة وثيقة الصلة بالقدر والفتح من عند الله تعالى، نظراً لارتباط حياة البحارة الصيادين بالبحر، فمنهم من لا يتغافل عن تأدية الفرائض الدينية كالصلاة[1] التي تُؤدى على متن القوارب أثناء الإبحار أو العمل، وذلك لتزامن أوقات العمل البحري مع بعض مواقيت الصلاة (الفجر، العصر، المغرب).

كما وقفت الذاكرة الشعبية موقفاً إيجابياً إزاء البحار الصياد المتدين وموقفاً سلبياً إزاء البحار الصياد غير المتدين. فالبحار الصياد مهما كان اختصاصه في العمل (ربان أو ميكانيكي أو بحار) له اعتقاد ديني واسع لا حدود له وإيمانه بالله تعالى كبير وخاصة أثناء تأدية عمله في البحر.

-هذا هو اللي رزق فوق لَمَ.

-إي من قرنُ تسكيه.

-اعمل لخير وارمي فلبحر واعمل لشر واعقل عليه.

في حين أن البحار الصياد غير المتدين يظل في البؤرة الفلسفية للذاكرة الشعبية محل سخط واتهام من قبل البحارة الصيادين أولاً والمجتمع ككل ثانياً. والدليل على ذلك دعوته في بعض الأحيان بالهلاك وعدم معرفة حقيقة الوجود وبالتالي تكون النتيجة سلبية قد تدمّره وتدمر ذات مجتمعه.

-راكب ويقول الله يعطيه لغراق.

---

(1) يطل على ميناء الغزوات مسجد صغير (مسجد الصحابي أبي بكر الصديق) يصلي فيه البحارة الصيادون بشكل كبير.

فبين الاعتقاد بالقدر واللاعتقاد مسافات بعيدة في هذه الحياة و يظهر ذلك جليا مما تشيعه تلك التعابير الشفوية الشعبية عند البحارة الصيادين. فهي تكشف عن مواقف عقائدية، نفسية، اجتماعية باختلاف مواقع حضور البحار الصياد في عالم البحر.

لقد عمدت الذاكرة الشعبية على تقديس[1] البحر وتنظيم الحياة فيه وفق اعتقادات دينية عامة تضمن للبحار الصياد حياة سليمة وشريفة حيث لا يسئ لذاته ولا للآخرين. وعليه كشفت لنا الذاكرة الشعبية من خلال التعابير الشفوية (الأقوال السائرة، الأمثال، الألغاز) صورة البحر من خلال الاعتقاد الديني لدى البحارة الصيادين.

4-المحور الرابع: الأسماك وخصوصياتها

ظل الحديث عن الأسماك والحيوانات البحرية الشغل الشاغل للذاكرة الشعبية، لذا تدور أحاديث البحارة الصيادين اليومية في الميناء أو خارجه حول الحوت بمفهومه الشعبي حيث يقصد به كل أنواع الأسماك من جهة ومردود السفينة اليومي من جهة أخرى، وذلك لما يتعلق الأمر بالصيد الوفير أو العكس.

ومن هذا المنطلق فقد أخذت الذاكرة الشعبية هذا المفهوم بعين الاعتبار من خلال تعابير شفوية حملت في بنيتها التركيبية لفظ الحوت دون نسيان المستوى الدلالي والرمزي.

---

(1) يتمثل في إطلاق لفظ سيدنا على البحر، وهو نابع من الاعتقادات وما زال سائدا حتى اليوم حيث يعتقد سكان ناحية البور والزياتن القريبة من الغزوات أنه قبيل حلول فصل الشتاء تسقط ثعابين ضخمة من السماء محدثة أصوات ورياح هوجاء.

-لحوت يتربّ فـلبحر.

-ليوم كمصن بل حوت.

-مريّ خربكتن شبش عبّت لحوت.

كمـا ارتبطت الأسماك بحياة البحار الصياد في البحر والـبرّ[1]، نظـرت إليه الذاكرة الشعبية بأنه المكان المفضل للبحارة الصيادين، فطالمـا شـبه حـال البحار الصيـاد بالسمـكة بحـيث لا يستطيع كل منهما الخـروج مـن فضـاء البحر. فالحوت من البحر مثل الزيت من الزيتون، فلن يتغيّر هذا الإطار المعرفي إلى الأبد.

-كي لحوت فلبحر.

-زيت ازيتون وحوت ملبحر.

جاءت التعابير الشفوية ذات الصلة بفضـاء الصيـد البحـري وربـط الحرفـة بالمردودية التي يحصل عليها البحارة الصيادون رغم الظروف العامة التي تطـوأ بين الحين والآخر، تقنية اقتصادية تعمل على تأصيل قيم إيجابية في واقع البحـار الصياد.

-نُصيدو فلبحر ونكرْطْ.

-رانا نصيدو برّ[2].

-هذا لنهار صَيَدَ ميتَ.

---

(1) المقصود بالبرّ هنا الأماكن القريبة من الشواطئ والتي عادة ما تتكاثر فيها الأسماك وتتربى.

(2) بمعنى في عرض البحر.

وإذا كانت الذاكرة الشعبية قد تناولت الأسماك وما لها من خصوصية في حياة البحارة الصيادين فطالما سعى بعض البحارة إلى إيجاد طرق وأساليب[1] للاصطياد.

نالت الظروف الطبيعية قسطًا من الإبداع الشعبي الذي عرف كيف يصور ببلاغة أدبية شعبية خطورة العواصف وتلاطم الأمواج على المردودية اليومية للسفن والقوارب في الميناء. وقد شبّه في هذا الصدد الحوت أو السمك بكائن حيّ لا يمشي إلا في البحر.

-لحوت يعمل رْحَ.

-لحوت يعمل لبوليك[2].

فبين اصطياد أكبر مردود من الأسماك المتنوعة أو عدم الاصطياد مسافات تؤدي ببعض البحارة الصيادين إلى الاستغفار لأن قلة العواصف وعدم هبوب الرياح خلال مدة زمنية معينة تؤدي إلى تمركز الأسماك في المناطق الصخرية وبالتالي تصعب مهمة البحارة الصيادين رغم وجود أساليب تقنية حديثة في سيرورة العمل البحري.

إن الحديث عن الأسماك كمردودية وإنتاج يتعدى الطرح المادي إلى الطرح الإعتقادي[3]، حيث كشفت الذاكرة الشعبية من خلال تعابير البحارة الصيادين الشفوية، صورة السمكة التي ارتبطت بحياة البحار الصياد بعمله وثقافته وباجتماعيته.

---

(1) مثل شمّ الشباك حتى يتسنى معرفة مكان الصيد لدى الآخر، وقد اكتسب البحارة الصيادون هذا الأسلوب من الإيطاليين.

(2) بمعنى أن السمك عندما يتنفس يطلق ما يسمى طلقات الأوكسجين.

(3) تغريد بعض الطيور البحرية البيضاء حين يتأخر هطول الأمطار.

المحور الخامس : السفن و العمل البحري

حاول بعض الباحثين[1] تحليل الظروف التي يجري فيها نشـــاط الصـــيد البحري لأنه يختلف عن باقي النشاطات الاقتصادية والإدارية الأخرى من حيـــث سيرورة وتنظيم العمل.

تكملة للمحاور الدلالية التي حددناها سابقاً، سيدور الحديث في هذا المحور حول موقف الذاكرة الشعبية للبحارة الصيادين من العمـــل علـــى متـــن الســـفن والقوارب.

تُعدُّ السفينة فضاءاً ضيقاً تنحصر فيه نشاطات مجموعة عمالية ملزم عليـها العمل فيه مما جعل الذاكرة الشعبية تتحدث عن هذا الفضاء وظروف العمل فيـــه، من خلال تعابير شفوية شعبية بسيطة التركيب عميقة الدلالة.

فالسفن أنواع مختلفة لكن تبقى السفن الجيبيات[2] أهمـــها، نظـــراً للحجـــم الكبير والمحرك القوي، والخطاب الشعبي يردد بدون هوادة و في كل المناســـبات وبوعي عميق، على أنها أهم السفن المستعملة للصيد البحري الساحلي الذي يسود بلادنا.

-باريخا راها تعمل لمَ.

-باريخا ما راهاش تجبد.

-باريخا مورتْ فلْ شطّ.

---

(1) يعد P. Dorval و J. Marline من أشهر الدارسين الذين درسوا ظروف العمل البحري.

(2) بالمفهوم الشعبي " باريخة ".

ومهما يكن من أمر ،فلقد ظلت السفينة محل اهتمام الذاكرة الشعبية، فرمز إليها بالبقر تارة وبالحيوان الذي لا يحتاج إلى علف تارة أخرى، ورأت فيها أيضا رمزاً للقوة والمتانة والقيمة الثمينة.

-هذْ لبابور كي لعَجمي بصَّحْ يمشي فلبحر.

-ما تاكلْ وما تشرب وتبات برا.

-عندي بكرا مربوطة فلكلتا بلعف.

-تعبي ألف وجب ألف وتبات فلمرجَ بلا علف.

قد لا يتسع هنا المقام للحديث عن كل السفن والوسائل المستعملة أثناء ممارسة البحارة الصيادين لعملهم لأنها عديدة ومتشعبة، غير أننا سوف نحاول الوقوف على وسيلة أساسية في العمل البحري ألا وهي المحركات حيث أنها لها أهمية في سيرورة العمل وقوة المحركات مهما كان نوعها تتحكم في مردودية الصيد من جهة والإبحار عند سوء الأحوال الطبيعية مثل العواصف والضباب من جهة أخرى.

-لموطور[1] هودي يجيب لحوت.

-لحال طاحْ و لي[2].

إن الإبداع الشعبي عبر التعابير الشفوية الشعبية المتعلقة بفضاء العمل البحري وما تحمله من نظرة عميقة في تنظيم فئة البحارة الصيادين أثناء تأديتهم لمهامهم، عرف كيف يصوّر ببلاغة شعبية صعوبة العمل البحري خاصة في الظروف الحرجة، فكثيرا ما يجد هؤلاء البحارة الصيادون صعوبات جمّة بعد

(1) بتفخيم حرف الطاء خلافا لما هو في أصل الكلمة الأعجمية Moteur.

(2) بمعنى سكن البحر وهدأ.

الإبحار، وتبقى التجربة الميدانية المحوّلة إلى وعي هي المرشد الوحيد للعودة إلى الميناء، وتفادي ضياع الوسائل المستعملة مثل الشباك والحبال وغيرهـــا وتـــأمين النجاة من مخاطر البحر وأهواله.

-إيَّطرَبْ ريمَ.

-الليل لكمر ناصع.

-خدم ولا خنش.

-لكال[1] لول مشتن بولطا.

رغم صعوبة العمل البحري على متن السفن والقـــوارب إلا أن البحـــارة الصيادين يكدون أكثر من اللازم في عملهم ويعملون ما في وسعهم من أجل القيام بمهامهم على أحسن الصور حتى في أسوأ الظروف أثنـــاء اشـــتداد العواصـــف الهوجاء وما يترتب عنها من آثار سلبية على حرفة الصيد البحري.

-لو كان نعرف لحوت فلغابا نطلعُ.

-نتمشوّ فضباب.

وتفطنت الذاكرة الشعبية لآثار المنافسة الحادة بين البحارة الصيادين حيـــث وصل بعضهم إلى استعمال كل الحيل والمؤامرات بغية التعرف علـــى أســـاليب وطرق العمل البحري وحتى الأماكن الساحلية التي تزخر بالثروة السمكية.

-يشم أشبش بش يعرف بلص خدم.

-هذا نهار صيد ميت.

-أكال لول مشتن بولط.

---

(1) أصلها اللاتيني يعني قعر المركب، ولها مدلول آخر هو محصول الشبكة عند البحارة الصيادين.

لقد تأكد لنا من خلال التعابير الشفوية المتعلقة بالعمل البحري ارتباطه بالسفن. فالبحارة الصيادون يمارسون حرفتهم على متن السفن والقوارب حتى أصبح عملهم له خصوصية لا مثيل لها مقارنة بالفئات المهنية الأخرى.

المحور السادس : مردودية النشاط وأهميته الاقتصادية.

سبق أن تحدثنا عن الأهمية الاقتصادية لقطاع الصيد البحري بالغزوات من خلال الإحصائيات الخاصة بإنتاج السمك، علماً بأن ميناء الغزوات هو أحد الموانئ الهامة في إنتاج الأسماك على المستوى الوطني، ضف إلى ذلك أن مؤسسات الصيد بالغزوات تشكل إحدى أهم أساطيل الصيد البحري في الجزائر من حيث حداثة الأسطول وعدد البحارة الصيادين.

ومن هذا المنطلق نالت مردودية النشاط وأهميته الاقتصادية قسطاً وافراً من اهتمام الذاكرة الشعبية لدى البحارة الصيادين. فطالما تحدثت من ثنائية العرض والطلب وما يترتب عنها ما آثار ذات أهمية على الأسعار خاصة أثناء سوء الأحوال الجوية حيث يتوقف النشاط مدة مؤقتة فيقل العرض وترتفع أسعار الأسماك، ومن جهة أخرى قد يحدث العكس تماماً، بحيث تنخفض الأسعار عند ارتفاع العرض وخاصة عندما يتعلق الأمر بالأسماك الزرقاء كالسردين والبلّم ذات الاستهلاك الواسع بين الفئات الشعبية في المجتمع.

-لحوت امْباع[1] باطل.

-ما يصيد يمبع[2].

-خلن نطلع اشحم.

---

(1) قلبت النون ميماً لغرض الإدغام.

(2) بإدغام النون في الميم والإدغام جاري في أكثر من حرف على لسان السكان.

تحدثت الذاكرة الشعبية لدى البحارة الصيادين عن إتلاف الثروة السمكية بعرض السواحل عن طريق استعمال المتفجرات[1] تارة، وتارة أخرى واستخدام شباك ذات سلاسل حديدية ثقيلة حتى يتسنى للسفن من خلالها استغلال كميات أكبر من السمك.

كما تفطنت هذه الذاكرة إلى عواقب نقص المردودية في نشاط الصيد البحري، وما يترتب عنه من تذبذب مداخيل البحارة الصيادين، الأمر الذي يؤدي إلى توسيع نطاق الغيرة والحسد فيما بينهم أكثر من اللازم.

-بلكرطاس يصيدو كْرع وتالت تمشي باطل.
-نشباتو لميزيريا بلكنطار.
-كي تعبي ح ادور زايد عليه يحسدش.
-نعطليش نص بارت بياش تكال به.

وإذا كانت الأهمية الاقتصادية لقطاع الصيد البحري متمثلة في العمل على رفع المردودية، فما فتئ أرباب السفن والقوارب يسعون من أجل رفع الإنتاج باستعمال شتى الوسائل والأساليب كتجديد الأدوات من شباك وحبال ومحركات وجاذبات وغيرها، وكذا ترقية البحارة الصيادين بالحوافز المادية والتدرج في الأجر أو الزيادة في الأقساط.

---

(1) يمنع استعمالها استناداً إلى القوانين البحرية.

خـــلاصـــة:

انطلاقا من فرضية ارتباط البحارة الصيادين بتعابير شفوية خاصـــة بـــهم دون ســـواهم من الشرائح المهنية، عمدنا إلى دراســـة متـــن متواضـــع يضـــم مجموعتيـــن أساسيتيـــن من التعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيـــادين فـــي ميناء الغزوات.

1- تدخل المجوعة الأولى ضمن لغة الاتصال أثناء القيام بحرفة الصيـــد البحري، بحيـــث تشمـــل تسمية المناطق الساحلية والسفن ووسائـــل العـــمل البحـــري وأوامر تنفيذه وبعض الأصناف من الأسماك. فاتضح لنـــا أنّ هـــذه التعبـــيرات الشفوية المتداولة على ألسنة البحارة الصيادين في ميناء الغـــزوات هي ذات مفاهيم لغوية إسبانية، وذلـــك أن التأثـــير الإســـباني لم يتـــوقف علـــى الجانب الاقتصادي، بل تعداه ليشمل الجانب الثقافي أيضـــاً. فاســـتعمال هـــذه المفـــاهيم الإسبانيـــة يخفـــي من ورائـــه نوعاً من الرسوخ الثقافي لدى البحـــارة الصيادين، حيـــث يشـــعرون بنـــوع مـــن الانتمـــاء الثقـــافي إلـــى الإســـبان ويحملون تقاليد إسبانية فـــي ممارسة المهنة. فجلّ المناطق الساحلية القريبة مـــن ميناء الغـــزوات، وكـــذا أدوات العمـــل البحري وأوامر [illegible] عمـــل البحـــارة الصيادين المحليين تحمل كلها أسماء إسبانية أقحـــمت فـــي تعـــبيرهم الشعبـــي. ومن جهة أخرى، تحدد لنا أن التعابير الشفوية الخاصة بتسمية الســـفن والقوارب تستمد من فضاءات معينة مستندة على مرجعيتين: دينية وتاريخية، وقـــد تجلت في الفضاء العائـــلي والفضـــاء العـــقائدي المـــقدس والفضـــاء التـــاريخي الوطني، كما وجدنا أن بعض التسميات للسفن مســـتوحاة مـــن أقـــوال ســـائرة وصفات وتأملات فـــي الكون والتي اتســـعت مـــع نهايـــة الثمانينيـــات وبدايـــة التسعينيات. أمّا تســـمية الأسماك بأصنافها المختلفة فهي مزيج ما بين الأصـــل

الإسباني والفرنسي أقحم في التعبير الشعبي فأصبح كل اسم من أسماء الأسماك مسايراً لخصوصية النطق عند السكان المحليين أجمعين.

2- تتمثل المجموعة الثانية من التعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيادين في مدونة مكونة من مائة نص فيها الأقوال والأمثال والألغاز جُمعت عن طريق التسجيل المباشر الشفوي، وذلك بعد اقترابنا من الحياة اليومية لهؤلاء البحارة الصيادين واستنطاق عينة معينة منهم.

فقد دلّت هذه التعابير الشفوية في مضمونها على الحياة الاجتماعية في مضمونها على الحياة الاجتماعية للبحارة الصيادين وخصوصيتهم الثقافية دون سائر الشرائح المهنية الأخرى. وحتى يتسنى لنا دراسة البعد الدلالي لهذه التعابير، تمّ تصنيف المدوّنة موضوعاتياً بعد تحديد الإطار الدلالي الشامل والمتمثل في الصيد البحري.

لقد تمّ ضبط ترتيب المحاور الدلالية من خلال منطلقات منطقية فكان محور البحر والعيش أساساً والمحاور الأخرى فروعاً ناتجة عنه ومكملة له.

الفصل الرابع

تسيير الموارد البشرية

في قطاع الصيد البحري

لما كان نشاط الصيد البحري يختلف عن باقي القطاعات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى فإن خصوصيته تفترض انتشار نوع من المميزات المهنية التي يكتسبها البحارة الصيادون ،بل هناك مفاهيم عديدة مرتبطة بهذا الواقع عرفت تعاريف متباينة ومختلفة.

انطلاقا من صور التهميش التي يعاني منها القطاع سنتناول العوامل أو الظروف التي تعرقل سيرورة العمل في الصيد البحري وكذا المعايير التي يتمّ على ضوءها تسيير الموارد البشرية،خاصة إذا علمنا أن الاستهانة بالعلاقات الاجتماعية والجانب الإنساني له تأثير على سيرورة العمل والمناخ الاجتماعي الذي تجري فيه مهنة الصيد.

كما أن الربح الذي تحققه المؤسسة هو مقترن إيجابيا ببعض البرامج الخاصة في تسيير الموارد البشرية، وذلك من خلال توسيع فرص التكوين والترقية والتوظيف والتقاعد ومراعاة العلاقات الإنسانية للعامل[1].

من أجل هذا نتطرق في هذا الفصل إلى ظروف القيام بالمهنة إذ يتجلى الاختلاف في الأوقات والظروف الفيزيقية والتقنية القاسية للعمل،وما يترتب من حوادث خطيرة أودت بحياة العديد من البحارة الصيادين، وفي أساليب التوظيف والترقيات المهنية إذ يبقى التكوين في الصيد البحري ناقصا بل يقوم على الأقدمية في الممارسة الميدانية وأيضاً في الكيفية التي تتم بها تحديد الأجور ومقارنتها في القطاعات الأخرى حيث يغيب العمل النقابي والامتيازات التي تمنح للعمال في القطاع الاقتصادي خاصة.

---

(1) BELANGER Benabou ; Gestion stratégique des ressources humaines ; Ed Gaitan Morin ; Canada; 1988 ; p 43.

أولا- الصيد البحري: الواقع المادي.

أ- سيرورة العمل البحري

من خلال معايشتنا لواقع الصيد البحري بميناء الغزوات، لاحظنا أن سيرورة وتنظيم العمل يختلفان اختلافاً كبيراً عن قطاعات النشاطات الاقتصادية والإدارية الأخرى،ويتجلى هذا الاختلاف بكل وضوح في أوقات العمل والراحة، وكذلك في تقسيم العمل والمهام بين البحارة وطريقة العمل فوق السفينة المخصصة لهذا الغرض.

ومن هذا المنطلق تتمثل نوعية السفن المسخرة في الصيد في نوعين:

1- **السردينيات** : إن هذه السفن بطبيعة حجمها الصغير نوعا ما جعل العمل فيها يتوقف على الظروف الجوية الملائمة لعملية الصيد بمعنى آخر، فهي تعتمد على هدوء البحر وكذلك على الليالي غير المقمرة، لهذا فالظروف الجوية غير الملائمة لا تسمح لها بالقيام بعملها على أحسن وجه، وهذا راجع إلى محدودية وسائل العمل التي تتوفر عليها، وكذا حجمها الصغير الذي لا يساعدها على مقاومة الأمواج والثبات فوق الماء. أما عن الليالي المقمرة فإنها تمنع هذه القوارب عن الصيد كون هذه الأسماك لا تظهر إلا ليلاً فهي لا تحتاج إلى الضوء الذي يُسلّط عليها من طرف البحارة لكي تصعد وتطفو على الماء لأن ضوء القمر يجعلها تستقر في الأعماق.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار أوقات العمل غير محددة وذلك لارتباطها بالظروف الجوية وبالتالي تعتبر هذه الأخيرة المحرّك الأساسي لهذا النشاط. وأوقات العمل في هذه القوارب تتمّ ليلاً ابتداء من غروب الشمس وذلك راجع كما ذكرنا إلى الأسماك الزرقاء التي لا تظهر إلا في هذه الأوقات.

فقبل الاكتشافات الجغرافية الكبرى عرف الهنود الحمر في أمريكـــا أن صيد الأسماك يكون وفيرًا في الليالي التي تعقب العواصف الرعدية حيث يتشـــبع الهواء برائحة شبيهة برائحة التبن الطازج في أجران الحصاد. وهذا ما لاحظـــه الإغريق القدامى وأطلقوا على هذه الرائحة اسم أو زين ومن هنا جاءت تســـمية الغاز ذو نفس الرائحة والذي اكتشف في القرن 19 الميلادي باسم الأوزون.

وتفسير الظاهرة تتمثل في اعتقاد العلماء أن الشحنات الكهربائية الناتجـــة عن البرق المصاحب للعواصف الرعدية تؤدي إلى زيادة نسبة الأوكســـجين فـــي الطبقات السطحية من ماء البحر ومن اتحـــاد ذرات الأوكســـجين معًـــا،يتكـــون الأوزون ويزداد تركيزه في الطبقات السطحية من الماء وهو ما يجذب الأســـماك إلى السطح فتمسك بها شبّاك الصيادين[1].

عند تحديد منطقة الصيد من طرف الرئيس بحكم المنصب الذي يشـــغله، يقوم كل بحار بعمله المخصص له حيث يقوم بعضهم بترتيب الحبـــال والبعـــض الآخر بترتيب الشباك، ثم إلقائها في البحر تحت جوّ جماعي، فتحـــاط الأســـماك بواسطة أشعة الضوء المسلطة عليها من قبل مولـــد كـــهربائي مخصـــص لـــهذا الغرض، فيقوم المصباحي –البحار المختص في هذه العملية –بإحاطـــة الشـــبّاك حولها بواسطة قارب صغير ثم يقوم البحارة ببذل جهد كبير في جلب الشبّاك بعـــد امتلائها بالأسماك وبمساعدة جهاز يدعونه بـــ"البوليا"، وبعد انتهاء هذه المرحلـــة يعود القارب إلى المسمكة لتفريغ الأسماك وبيعها من قبل الوسيط.

إن الملاحظة التي استنتجناها تكمن في بساطة التنظيم. وتقسيم العمل يتـــمّ فوق القارب بصفة عادلة، ذلك لأن طبيعة العمل تتمّ بصفة جماعية، وكلّ تـــهاون

---

(1) إبراهيم البجلاتي، الأوزون، دواء الفقراء العجيب، مجلة العربي، العدد 530، يناير 2003، ص154-163.

أو غشّ في العمل يظهر جلياً ويمكنه أن يعرقل من وتيرة العمل، لـــهذا فالبحـــار سواءاً أكان رئيساً أم ميكانيكياً أم بحاراً بسيطاً يبذل كلّ ما في وسعه مـــن أجـــل تأدية عمله على أحسن وجه، لأن الحافز المادي هو الأقوى في هذه المهنة، لذلـك فالبحار يعمل جاهداً من أجل اصطياد أكبر كمية من الأسماك، لأن تلبية حاجياتـــه المادية والأسرية تتوقف أساساً على مقدرته على الإنتاج. فالمردوديـــة الإنتاجيـــة تعتبر أمراً ضرورياً في هذا القطاع، وهذا قصد تحقيق ربح أكبر لأن الأجر الذي يتقاضاه البحار أسبوعياً يتوقف على ثمرة جهده لا غير.

2- **الجيبيات:** تختلف سيرورة تنظيم العمل في الجيبيات اختلافـــاً طفيفـــاً عن السردينيات، فهي تستطيع الإبحار حتى لو كان البحر مضطرباً نوعـــاً مـــا، حيث لا تؤثر عليها الظروف الجوية كما على السفن الصغيرة الأخـــرى، وهـــذا راجع إلى حجمها الكبير ووسائل العمل التي تتوفر عليها.

أما وقت العمل فهم يتمّ ليّلا إلى غاية الظهر، إذ يفوق في بعض الأحيان أربعة عشرة ساعة من العمل.

أما فيما يخص طريقة الصيد فهي تختلف عن سابقتها ذلـــك أنـــها تعتمـــد أساساً على الجرّ، ويكمن نطاق عملها في أغلب المساحات الإقليمية المخصصـــة للصيد، فهي تحاول صيد أكبر كمية ممكنة من الأسماك التي تعـــثر عليـــها فـــي طريقها، ويدوم هذا العمل من أربع إلى سبع ساعات، وبعد ذلك يتمّ سحب الشـباك من البحر بواسطة جاذب Treuil، ثم تفريغها فوق القارب ليقوم البحارة بفرزهـــا حسب نوعها وحجمها في صناديق مخصصة لهذا الغـــرض، ولا ينتـــهي عمـــل البحارة بعد انتهاء عملية الصيد ودخول القارب في ترتيب الشباك وتنظيم القـــارب وتصليح العطب، وبعد عمل شاق يعود البحارة إلى منازلهم ليخلدوا للراحة.

كما يمكن لهذا النوع من السفن أن يتعدى المساحات الإقليمية المخصصة للصيد لتعمل في أعالي البحار Le large قصد اصطياد نوع آخر من الأسماك مثل القشريات التي تعيش بحجم أكبر في تلك المناطق بصفة معينة، وطبعاً عكس السردينيات التي لا تتعدى النطاق الساحلي،مما جعلنا نستنتج أنه لا يوجد تكامل وتنظيم بين أوقات العمل والراحة في كلا النوعين من السفن.

ب-ظروف عمل الصيد البحري

تعتبر ظروف العمل إحدى العوامل الرئيسية التي تساعد أو تعرقل سيرورة العمل وإنتاجيته. فظروف العمل هي كل ما يحيط بالفرد في عمله والمجموعة التي يعمل معها[1].

وباعتبار أن ظروف العمل البحري عديدة ومتشعبة، فقد اخترنا بعض العناصر من هذه الظروف، والتي هي في الحقيقة خاصة بالصيد البحري ذلك لما يميّز هذا النشاط من صعوبة وخطورة في ميدان العمل.

وتتمثل هذه الظروف في محيط العمل وما يفرزه من ضوضاء وأحوال جوية صعبة وضمانات ضئيلة في كمية السمك المصطاد، ضف إلى ذلك نطاق العمل الضيّق ودرجة الحرارة والرطوبة المرتفعة وغيرها ....

1-الظروف الفيزيقية

يعد العمل من الناحية الفيزيقية[2] منفصلا عن العائلة والمجتمع المحلي أو حتّى القطر، فالبحار يقوم بعدة نشاطات وعمليات فوق القارب، لهذا

---

(1) محمود عبد المولى، علم الاجتماع في ميدان العمل الصناعي، الدار العربية، 1984، ص 107.

(2) Aubert. V ; Work and Structural Setting : The Interplay of Work Situation and Relationship With Structural Position, Op. Cit. P380.

نجده يقضي أغلب أوقاته فوق القارب فهو يعاني كثيراً من أوقات وساعات العمل[1] التي يعمل فيها حيث يبذل جهداً كبيراً، وذلك لما تتطلبه المهنة من خفة وسرعة وإتقان.

وقد جاء في تصريح أحد البحارة (41 سنة): "إننا نقضي أكثر من 12 ساعة في البحر، وهذا كثير جداً" ومن هنا يتضح لنا أنه لا يوجد تنظيم بين أوقات العمل وأوقات الراحة، فالبحار لا يستريح إلا يوم الجمعة، وهذا ما يشكل بالنسبة إليه أثراً سلبياً على الجانب الفيزيقي والمعنوي، ضف إلى هذا فإن العمل الطويل والمرهق يلحق ضرراً بصحته فضلاً عن كونه يحدّ من نشاطه ورعاية أسرته. فقد صرّح لنا أحد البحارة (48 سنة ميكانيكي) بقوله: "بعد الدخول إلى الميناء أذهب لأنام لأنني أتعب كثيراً فلأجالس أفراد أسرتي إلا يوم الجمعة ".

أما فيما يخص الضوضاء فهي "تدخل الموجات الصوتية بطريقة غير منتظمة، فتتغير من حيث طولها وترددها حيث تحس بها الأذن البشرية بصوت متجانس يختلف عن الأصوات التي كوّنت هذه الضوضاء[2]".

وتنشأ الضوضاء في مختلف أماكن العمل، وتعتبر الضوضاء إحدى الأخطار الرئيسية على الصحة، ومن مسببات حوادث العمل، ويؤثر هذا المؤشر الفيزيقي على البحارة، وقد لاحظنا هذا خاصة عند الميكانيكيين الذين يعملون على صيانة المحركات إذ وجدنا 80%من البحارة المبحوثين الذين تجاوزت أعمارهم

---

(1) يستثني التشريع الجزائري العمل البحري من تحديد ساعات العمل على غرار الزراعة.
أنظر: أحمد زكي بدوي، علاقات العمل في الدول العربية، دار النهضة العربية، 1955، ص 185.
(2) نفسه ص 110.

60عاما يعانون من مرض نقص السمع حيث مثل البحارة الميكانيكيون منهم نسبة 90%.

أما درجة الحرارة والرطوبة فهي تسبّب للبحارة شعوراً بالضيق والاختناق نسبياً إذ لا يستطيع البحارة تأدية عملهم على أحسن وجه وهذا ما يقلل من فعالية نشاطهم.

إن معظم البحارة يفضلون فصل الصيف حيث أن الحرارة لا تؤثر عليهم بقدر ما تؤثر عليهم الرطوبة والبرد في فصل الشتاء. فالبرودة القاسية أثناء العمل تعيق سيرورته وكثيراً ما تضر بالصحة إذ وجدنا ما يساوي نسبة 50% من عينة البحث تعاني من أمراض ذات علاقة بالبرد والرطوبة وخاصة الروماتيزم، هذا بالإضافة إلى أن البحار يشكو من ضيق مساحة العمل فوق القارب، ولهذا تتأثر صحة البحارة الصيادين بالظروف التي يفرضها العمل البحري سواءاً أثناء الإبحار أو قبله، وهي تختلف تماما عن الظروف التي تفرضها الصناعة والخدمات مثلاً.

ولما كانت الصحة توازن طبيعي وعقلي واجتماعي فيذكر بعض الأطباء مجموعة من الأمراض الجسمانية التي يفترض أن يصاب بها البحارة خلال مسارهم المهني كخطورة التعرض المطول لأشعة الشمس أثناء الخرجات وأثر ذلك على البشرة واحتمال إصابتها بحروق من الدرجة الدنيا، ويكون احتمال الإصابة أكثر مع اختلاط أشعة الشمس بالملوحة التي تحملها رطوبة الجوّ في عرض البحار، ومع الثقب الهائل الموجود في طبقة الأوزون، فإن الأمور يمكن أن تؤدي إلى السرطان أيضا مع مرور السنوات.

كما يتعلق الأمـــر بإصابـــات القولـــون والضغـــط ومـــرض الســـكريّ واضطرابات الهضم، وهناك مرض خطير يتعلق باحتمـــالات الإصابـــة بآثـــار الأميونت كمادة كانت خلال فترة ما تستعمل كعوازل للأنابيب الموصولة بمطـــابخ السفن وقاعات المحركات. (يتعلق الأمر بالسفن القديمة المصنوعة في السبعينيات والثمانينيات ولكن في الآونة الأخيرة فإن نظم الحماية ضد الحرائق داخل الســـفن جرى تبديلها من مادة الأميونت[1].

2- الظروف المعنوية

تكمن الظروف المعنوية في الحالة النفســـية للبحارة وعـــادة مـــا يكـــون منشأوهـــا مادياً، وهذا راجع لخصوصية هذا القطـــاع. ونقصـــد بالماديـــة أي عـــدم وجود الضمانات أثناء العمل. فالبحارة عند رميهم للشبّاك إلى البحر يأملون في صيد وفير، وإذا حدث العكس أو حدث عائق منع من سيرورة العمل والصيد، مثل تمزّق الشباك أو تركه في البحر أو ضياعه أو مثلا تعطّل المحـــرّك أثنـــاء العمل، يبدي البحارة نوعاً من الأسى والسخط علـــى مهنتـــهم وتنصـــبّ عليـــهم الأعمـــال الشاقة في هذه الحالة دون تحقيق أي ربح أو صيد وفير، وهـــذا مـــا لا يسعـــى إليه البحارة ولا يأملونه حتى يتمكنوا مـــن الربـــح وبالتـــالي تحقيـــق حاجياتهم وحاجيات أسرهم، وهذا ما يميّز العمل البحري. وإذا حدث هناك تغـــيّر وتحوّل في عملية الصيد قد يعود بالفائدة على البحارة كما قد يعود عليهم بالأســـى والشقاء.

---

(1) جريدة الخبر الأسبوعي، السنة الرابعة، العدد 188 من 5 إلى 11 أكتوبر 2002

3- حوادث العمل المترتبة في سفن الصيد.

إذا كانت حوادث العمل هي كل ما يحدث من حوادث في مكـــان العمـل بصفة عامة فإن تاريخ القانون يشهد بضرورة الاعتراف بأنها حوادث مهنية مـــع العلم أن الحوادث قد تقع من جراء أخطاء شخصية لا غير كنقص التجربة وعـدم توفر الملابسات الضرورية للعمل[1].

ولما كانت حياة البحارة الصيادين أثناء تأدية المهام المهنية تتراوح ما بيـن النجاة والموت، فذلك لأنه لا يوجد شتاء بدون سفينة غارقة ولا عاصفـة بـدون قارب في خطر[2].

ومن هنا فإن مسألة حوادث العمل عند البحارة الصيادين ترجع بالدرجـة الأولى إلى الضوضاء التي تفرزها المحركات وكذلك إلى التقلبات الجويـة التـي يكون سببها طبيعياً، فالمعروف أن الفترة التي تمتد ما بين أواخر أكتوبر ونهايـة مارس يعتبر صيد السمك فيها مغامرة فعلية وخطراً حقيقياً على حيـاة البحـارة الصيادين إذ كثيراً ما تشهد هذه الفترة العديد من الحوادث الناجمة عـن تدهـور الأحوال الجوية أودت بحياة بعض البحارة وغرق العديد من السفن، فقد تمّ تسجيل عشرين حادث ما بين 1980 و2002 ذهب ضحيتها ثمانية صيادين وغـرق سـبع قوارب[3] لكن يبقى فقدان أحد البحارة الصيادين[4] والذي لم يتم العثور عليـه إذ سقط في البحر ولم يتمكن البحارة من إنقاذه نتيجة الضوضاء وقـوة هيجـان البحر.

---

(1) Lenoir Remi ; La notion d'accident du travail : un enjeu de luttes ; Acte de la recherche en sciences sociales ; volume n°32/33 ; avril /juin 1980 ; p 78-88.

(2) كثيرا ما يدفع البحارة الصيادون حياتهم ثمنا أثناء القيام بالحرفة كما هو الحال بخليج كسجون cascogne في المحيط الأطلسي حيث توجد مقابر للمفقودين.

(3) إحصائيات مصلحة الصيد البحري بميناء الغزوات.

(4) وقع الحادث سنة 1986 واسم البحار صيني محمد كان عمره 26 سنة.

ومن هنا يتجلى لنا أن وسائل الأمن ناقصة إن لم نقل منعدمة في بعض القوارب، رغم أن هذه الوسائل ضرورية في مثل هذا النشاط. وهناك قوارب تتوفر فيها كلّ وسائل وأدوات الأمن، إلا أن الملاحظة الملفتة للانتباه هي أن أغلب البحارة لا يهتمون بهذه الوسائل، فمنهم من يجهل حتى طريقة استعمالها والسبب في هذا يعود إلى عدم وجود تكوين في هذا الميدان وعدم وجود صرامة في تطبيق القوانين الخاصة بالجانب الأمني،لأن القطاع يبقى مهمشًا بنسبة معتبرة والأخطر من هذا يكمن في عدم وجود الوعي بالخطر من قبل البحارة الصيادين.

ولهذا فللظروف الفيزيقية والمعنوية تأثيرات وانعكاسات على الطاقم البحري وعلى المردودية دون أن ننسى الأحوال الطبيعية أو الجوية القاسية التي يتم فيها هذا النشاط، إذ تضغط على نفسية البحارة وتعرقل إنتاجيتهم، لكن لا يمنعهم من التلاحم والتضامن والتعاون مع بعضهم البعض أثناء العمل وذلك لتفادي الأخطار وحوادث العمل.

ثانيا- التنظيم البشري:

أ-طرق التوظيف.

ترتبط عملية اختيار المهنة عند البحارة الصيادين بالأصل الجغرافي، فتشير بعض الدراسات حول توزيع اليد العاملة في المناطق الساحلية بأن الأغلبية الساحقة من البحارة الصيادين ولدوا في الساحل (فـ ¾ لهم أب بحار)[1].

(1) Alain BARRERE, L'univers des marins- fondation pour la recherche sociale ; Paris, 1970, P23.

وهذا ما لمسناه في ميناء الغزوات الذي بلغت فيه نسبة ممن ولدوا على الساحل 90%من تعداد البحارة الصيادين المسجلين بمندوبية الصيد البحري في حين أن 10% الباقية تمثل المناطق الداخلية ولكن القريبة من الساحل.

ولما كان اختيار المهنة يشبه اختيار الصديق باعتبار أن عمل الإنسان من أهم أجزاء هويته الاجتماعية وذاتيته بل هو الإطار الهام الذي يُحكم عليه[1]، فالبحار الصياد يختار مهنته من خلال عوامل اتضحت لنا معالمها في الجدول (1:4) الذي يبين عوامل اختيار المهنة عند البحارة الصيادين:

العوامل	التكرارات	النسبة
ظاهرة الصيد	220	%55
المغامرة	20	%5
حرية الحياة	120	%30
روابط الصداقة	40	%10
المجموع	400	%100

لقد اتضح لنا أن أهم عامل في اختيار المهنة عند البحارة هو ظاهرة الصيد أي البحث عن الأسماك وذلك أن تحديد الأجور عند البحارة الصيادين مرتبط بالإنتاج المتوفر، فالفرحة تعم مثلا عند صيد وفير والعكس غير صحيح،ثم تأتي حرية الحياة فالبحار بصفة عامة يريد رؤية فضاء الآفاق هروبًا من تناقضات مواقيت العمل وروتين المرافق الإدارية أو مرافبة رؤساء العمل

(1) Jacob Annie ; Le Travail Reflet Des Cultures ; PUF 1994; p 216

وأحيانا حتى الابتعاد من الحياة العائلية وقواعد الانضباط الأخلاقي فوق الفضـــاء الأرضي.

أما روابط الصداقة كعامل ثالث فتتضح من خلال مقابلات البحارة بحيث تجعل هؤلاء البحارة أسرة واحدة ويكون خاصة في بداية امتهان الحرفة.

وتبقى المغامرة عامل أقل أهمية لأنه ينطبق على بحارة النقـــل البحـــري أكثر ما هو عند البحارة الصيادين.

لكن لا يقدم ذوي التجربة في ميدان العمل البحري أية نصيحة للاحـــتراف المهني للجدد من البحارة الصيادين أي الشباب لأن ذلك يعود عادة لصعوبة الحياة المهنية في البحر في نظر البحارة الذين سيطر عليهم الملل في عملهم البحـــري، وقد اتضح لنا هذا الأمر من خلال نظرة أغلبية البحارة الصيـــادين إلـــى المهنـــة والحديث عن كيفية تقديمها للشباب.

يتصف التوظيف في قطاع الصيد البحري بميناء الغزوات بطـــابع محلّـــي وعرفي، فعادة مجهزّ السفينة أو الربّان هو الذي يمنح الفرصة لتشـــغيل البحـــار الصياد الجديد حيث يكون ذلك من خلال إمضاءه على كراس الملاحة مع تقييـــده على دفتر السفينة.

يعود هذا الطابع العرفي نظرًا للأساليب التي يتبعها الفرد قصد الالتحـــاق بجماعة العمل، فالقرابة العائلية والمحسوبية وحتى الرشوة أصبحت ذات أهميـــة أكبر من التجربة والتكوين.

فالتنظيم المهني يعتمد على التنظيم العائلي: فالموس Le Mousse يدخل إلى القارب الذي يكون فيه أبوه أو أخوه أو عمه وهو الذي يكونّه.

ولذا اختصرت معظم آراء البحارة الصيادين حول كيفية التوظيف في كلمتين هما القرابة والمعرفة بالإضافة إلى المهارة المهنية.

والجدول (2:4) يبين كيفية التوظيف في قطاع الصيد البحري:

الأساليب	التكرارات	النسبة المئوية
القرابة العائلية والمعرفة	260	%65
التجربة والتكوين	140	%35
المجموع	400	%100

لقد اتضح لنا أن الأساليب التي أصبحت سائدة في القطاع بشكل واسع هي القرابة العائلية والمحسوبية وحتى الرشوة التي أضحت شيئا عاديا في وسط البحارة الصيادين باعتبارهم فئة من فئات المجتمع لها خصائص مهنية معينة، في حين أن توفر التجربة والتكوين من أجل التوظيف لا يطلبهما المجهز إلا عند توظيف ربّان أو ميكانيكي أو نائب رئيس وحتى مصباحي وهي مناصب ذات أهمية كبرى في سيرورة العمل البحري والإنتاج في قوارب الصيد الجيبيات أو السردينيات على حدّ سواء.

وعلى هذا الأساس تأكد لنا أنه يوجد في بعض القوارب أفراد عائلة واحدة تعمل على تسيير القارب، فهناك سفن يعمل بها كل من الأب، الابن، الاخوة

وأيضا الأعمام والأصهار وعادة ما يكون الأب رئيسا للقارب وهو المجـــهزّ لأن أصحاب السفن هم أثرى البحارة العارفين لأجهزة الصيد ومناطقه[1].

أما الخاصية الأخرى فهي تأثير مهنة الآباء على اختيار الأبناء، فحســـب الجدول (10.2) الذي يبين الوراثة المهنية حيث ا تضح لنا أن نسبتها تتراوح مـــا بين 40%و66% وهذا يدل بدون شك أن لمهنة الأب تأثير على اختيـــار الأبنـــاء، وهذا ما أكدّه هوجز Hughes في هذا الإطار.

وقد جاء في تصريحات العديد من البحارة الصيادين بأن ممارسة المهنة تنتقل من جيل إلى جيل وذلك يجعل دمهم مالح كماء البحر يجري في عروقـــهم مما يربطهم به، وهذا ما لا يختلف تماما على العنصر الإثنولوجي الـــذي ذكـــره A.Geistdoerfer حول وراثة المهنة وسط العائلة بحيث يرى أن: "البحار يســـيل في جسده ماء مالح في شكل مياه البحر، وأقصد به الدم، فإن الدم ومـــاء البحـــر لهما تقريبا تركيب كيميائي مشترك[2]".

وإذا كانت أساليب التوظيف عند البحارة الصيادين متعـــددة فـــإن عمليـــة التسريح تتخذ أشكالا ارتجالية حيث لم تعتمد على معايير موضوعية في اختيـــار البحارة المسرحين بل مازالت مبادئ العلاقات الاجتماعية المرتبطة بخصـــائص المجتمع التقليدي تسيطر في أخذ مثل هذه القرارات مـــن محســـوبية وعلاقـــات شخصية.

---

(1) A. GEISTDOERFER : La mer coule dans leurs veines ; les marins pécheurs de la race des insoumis ; In bulletin de psychologie ; Tome L ; n°432 ; 1997 ; p 665.

(2) Ibid. p 654.

إن معظم البحارة يرون أن هذه العملية لا تمـــسّ إلاّ البســـطاء منـــهم أي الملاحين بالقدر الكبير، والتي عادة ما تكون حســـب رأيـــهم بـــدون أســـباب أو لأسباب تافهة حتى لا نقول تسلطية.

وقد اتضحت ارتجالية عملية التسريح عند البحارة الصيادين من خـــلال تصريحات أغلبيتهم والتي تمثلت فيما يلي:

- الحقرة نورمال.
- ا لمسؤولين حقارين.
- إنه ظلم.
- هذا تسلط نظرًا لعدم وجود قانون يحمي البحارة.
- البحر فيه ظلم كبير.
- سكوت البحارة عن حقوقهم جعل من المسؤولين طغاة جبابرة يطـــردون بدون حق.

ولهذا تأكد لنا أن تسريح البحارة الصيـــادين يرتبـــط بـــالحقرة أي الظلـــم والتسلط والنفوذ بل أصبحت ظاهرة يومية يتعرض لها كل فرد من المجتمع ككل لا مجتمع البحارة فقط.

وقد تفـــشت هذه الظاهرة نظرًا لاستغلال بعض المجهزين ورؤساء الســـفن لأساليب النفوذ والتسلط على البحارة البسطاء.

ومن جهة أخرى فإن البحار قد ينتابه الخوف على فقدان منصبه إذا تغيـــب عن العمل أو ارتكب خطأ بسيط في مهمته، فهو ينفذ كل الأوامر التي تملى عليـــه من قبل الربّان أو المجهزّ، ويكون ذلك خاصة عند البحارة الجدد الذين يجـــهلون الكثير من الأمور عن المهنة لسبب محدودية معرفتهم بوسطهم الجديد وهـــذا مـــا

يجعلهم يرضخون إلى مثل هذه الظواهر، وعليه يبقى البحار البسيط هوالضحيـــة الأولى لمثل هذه الممارسات.

ولمـــا كان أكبر مشكل من مشاكل الطرد بالنسبة للأكثرية هو الحصـول أو العثور على عمل آخر لا يقل أهمية عن العمل الأول[1]، فإن البحار المســـرّح أو المطرود قد يواجه صعوبات في الحصول على منصب جديد ضمن جماعـــة عمل أخرى وفي ظل الأساليب التي تميز التوظيف في نشاط الصيد البحري.

ب- التكوين:

يندرج التكوين ضمن الاهتمامات الكبرى التي تعنى بها وظيفة المـوارد البشرية ويشكل عنصرًا استراتيجياً بالنسبة للتنظيمات الحيوية بل أصبح ضرورة أساسية وأولوية ملحة، ولذلك فمن الضروري على إدارة المؤسسات أو الوحـدات الحيوية أن تراعي تساير تطور معطيات تسيير الموارد البشرية حيـــث يصبـح للتكوين أهمية كبرى في استراتيجية التسيير[2].

ومن هذا المنطلق تسعى الإدارة البحرية إلى تكوين بحارة مؤهلين وربّـان لهم كفاءات عالية حتى يستطيعوا القيام بأعمالهم بطريقة عقلانية، وهـــذا نظـرًا لخصوصية هذه المهنة، ولهذا كان من الواجب إنشاء مـدارس ومعـاهد وطنيـة تختص في تكوين رجال البحر تكويناً يسمح لهم بأداء مهمتهم على أحســن وجـه قصد تطوير هذا القطاع وبالتالي العمل على تحسين مستوى التكوين للبحارة حتى يسهل عليهم التكيف مع عملهم ويدفع بهم إلى الإبداع والخلق في تصريف مهامهم حتى لا يصبحوا مجرد عمال مطبّقين ومنفذين للأوامر وتعليمات المسؤولين[3].

---

(1) G.FISLAND ; The Effect of Redundancy ; Ed People and Work ; the open University Milton Keyness ; 1975 ; p 88.

(2) BELANGER Benabou ; Gestion stratégique des ressources humaines ; op. Cit. P227.

(3) J ; Diverrez ; Analyser les conditions de travail ; Entreprise moderne ; paris 1979 ; P17.

إذا كان المهنيون هم أولئك الذين لديهم معرفة تفـــوق معرفـــة الآخريـــن لطبيعة بعض الأشياء مع الإصرار على الحق الكامل في ممارسة ما يعرفونـــه[1]، فإن التكوين في مهنة الصيد البحري يرتبط أساسا بتوارث الحرفة ما بين الأجيال وذلك أن اكتساب الحرفة يتم عن طريق الممارسة الميدانية[2]، وقد تأكد لنا هـــذا المسعى في ميناء الغزوات بحيث توارثت الحرفة في بعض الأحيان ما بين أكـثر من جيلين بل ثلاثة وأربعة أجيال.

كما أن التكوين في الطاقم يقوم على التنظيم العائلي وعلاقاته حيث يتكـــون أفراد الطاقم في القارب من عائلة واحدة.

ونظرًا لخصوصية التكوين التقني للصيد البحري فقد تمّ إنشـــاء مدرســـة خاصة بمدينة الغزوات في الفترة الاستعمارية ابتداءًا من سنة 1939 حيث ســـميت بمدرسة بيرجو Bergeau نسبة إلى مؤسســـها ثـــم أصبحـــت تدعـــى Ecole des Mousses à Nemours.

والجدول (3.4) يبين عدد البحارة المؤهلين المتخرجين من مدرسة التكوين في الفترة الممتدة ما بين 1946 و1962:

السنوات	عدد البحارة المؤهلين
1946	44
1950	39
1954	35
1958	34
1960	36
1962	40

المصدر: Francis Llabador ; Op. Cit. P474

(1) Jacob ; Annie ; Le travail reflet des cultures ; Op. Cit. P249.

(2) REBOUL Claude ; L'apprentissage familial des métiers de l'agriculture ; Actes de la recherche en sciences siciales, Op. Cit. p113-120.

فقد تخرج منها عدد معتبر من البحارة المؤهلين وخاصة الميكانيكيين في الفترة الممتدة ما بين 1946 و1962 بحيث كان المعمرون لا يوظفون من البحارة الصيادين إلا من تمّ تكوينهم في المدرسة.وهذا ما أكدّه لنا العديد من البحارة الكبار عن الكيفية التي كان يتمّ بها التوظيف حيث يقول أحدهم والذي يشتغل الآن كربّان في إحدى السردينيات منذ زمن طويل عمره 56 سنة: "لقد تمّ توظيفي في قارب صيد إسباني عن طريق صاحبه، لأنني تعلمت المهنة في مدرسة التكوين Bergeau للصيد البحري وتخرجت منها، وقد ساعدني كثيرا التكوين الذي تحصلت عليه من هذه المدرسة إذ اثبت وجودي في القارب وفي وسط البحارة الأجانب."

ومن هذا المنطلق نستنتج أن الاهتمام بالتكوين في قطاع الصيد البحري أثناء العهد الاستعماري كان مسايرًا لتطور الحرفة بالمنطقة وذلك على غرار موانئ أخرى بحيث أغلقت مدرسة الغزوات وتم توجيه البحارة الصيادين إلى ميناء بني صاف ابتداء من سنة 1966.ولكن بقي التكوين ناقصًا وبعدها تمّ إنشاء ملحقة بالغزوات تابعة لمدرسة بني صاف فتخرج منها عدد معتبر من البحارة الصيادين خلال الثمانينيات والتسعينيات وإلى غاية 2004[1].

(1) تخرج أول دفعة في تقنيات الصيد البحري بلغ تعدادها 70 متكون.

والجدول (4.4) يبين عدد البحارة المؤهلين مقارنة مـــع عـــدد البحـــارة الصيادين لسنة 1988:

مجموع للبحارة	18-30 سنة	30-45 سنة	45-60 سنة	60+ سنة	المجموع
ملاح	522	333	85	09	949
مؤهلين	06	16	12	-	34
ربان	02	28	31	-	61
ميكانيكي	08	26	10	-	44
المجموع	**538**	**403**	**138**	**09**	**1088**

المصدر: مديرية الصيد البحري والموارد الصيدية.

نستنتج من هذا الجدول أن التكوين في قطاع الصيد البحري خـــلا ل الثمانينيات ناقص جدّاً وخاصة في صفـــوف الميكانيكيين ورؤساء السفن حيـــث تبقى نسبة التأهيل ضئيلة مقارنة مع عدد البحارة وخاصة في فئة ما بيـــن 18-30 وهم شبان فـــشلوا في مسارهم الدراسي وتمّ تشغيلهم بدون تكوين وهذا انطلاقـــا من أساليب التوظيف التقليدية.

ابتداء من سنة 1995 بلغت نسبة التكوين عند البحـــارة الصيـــادين مـــا يساوي 12% من العدد الإجمالي. وهو مرتبط بالاختصاصـــات حيـــث يتنـــاول تكوين البحارة مواد تقنية لها علاقة بالصيد البحري والموارد الصيدية ويـــدوم عند فئة رؤساء السفن les patrons de pêche تسعة أشهر تنتهي بنيل شهادة الكفاءة للربّان.

والجدول (5.4) يبين عدد البحارة الذين تخرجوا من المدرسة سنة 1998:

اختصاصات البحارة	عدد البحارة
ربّان	33
مؤهلين	94
ميكانيكيين	78
ملاحين	717
المجموع	**922**

المصدر: مديرية الصيد البحري والموارد الصيدية.

نظرًا لنقص التكوين بصفة عامة فهناك 50% من رؤساء السفن تأهلوا لهذا المنصب عن طريق الممارسة، وهنا ندرك الخطورة الكبيرة التي يمكن أن تترتب عن هذا المنصب وهنا تجدر الإشارة إلى دراسة التناقض الحاصل في هذا الأمر حيث ينبغي توجيه نداء للباحثين قصد دراسته .

يحثّ رؤساء القوارب بحارتهم الجدد الذين يتم توظيفهم بدون شروط خاصة بالتكوين أو بمعرفة للعمل البحري على أن يتعلموا وينتبهوا لكيفية القيام بالعمل في القارب. فسهولة تنظيم العمل في هذا الأخير لا تتطلب من البحار الجديد أخذ أو تسجيل بعض المعطيات، وإنما المشاركة في العمل إلى جانب الجماعة أو الطاقم، ويعمل هذا الأخير على منح الفرص والمعارف Un Savoir Faire والتقنيات الخاصة بالمهنة للبحار الصياد الجديد،

ضف إلى ذلك فهم يقومون بكل التصرفات التي ترضي جماعة العمل والتي ينشط فيها في ظل قساوة وصعوبة المهنة حتى يتمكن من الدخول في الحياة الاجتماعية لعمل البحارة الصيادين داخل وخارج نطاق قارب الصيد.

وقد أدلى لنا العديد من البحارة الصيادين الكبار بأن الممارسة في نشاط الصيد البحري هي أصل التكوين فيجب على المبتدئ تعلم التموين والخيط وصيانة المحرك والقيادة، ومن هنا تتضح أهمية التعلم في الميدان من خلال وضع كل الثقة في المعارف والكفاءات المهنية والتجربة التي يملكها الكبار، فالقارب هو أحسن مدرسة للتكوين.

لا يكتمل الحديث على التكوين دون التعرض للترقية بمقصود التدرج في المهنة الذي قد يسمح أولا يسمح في التكفل بمنصب عمل جديد. إن التغيرات التي توضح هذا التدرج يمكن أن تشمل زيادة في المسؤوليات، في النفوذ وفي الأجر[1].

ولذا يعد عنصر الترقية في قطاع الصيد البحري جزءاً من الحياة المهنية، ففي هذا النشاط،لا يمكن تخيّل قارب صيد لم تطرأ عليه بعض التغيرات في إطار التدرج المهني.

فقد وجدنا في أغلب القوارب بحارة عملوا منذ سنين طويلةً في قارب معين، بل هناك من البحارة الكبار من بدأ يعمل كممّون للقارب أو خيّاط للشّباك فأصبح بعد فترة زمنية بحاراً مؤهلاً ذا تجربة كبيرة في العمل البحري بمختلف مهامه ومناصبه. فمعظم البحارة الكبار يتقنون كل شئ في القارب: استخدام

(1) BELANGER Benabou ; Gestion stratégique des ressources humaines ; Op. Cit. P297.

الأجهزة الإلكترونية، الكشف عن المناطق المسمّكة، معرفة هجرات الأسماك ومواسم صيدها، خيط الشّباك، قيادة القارب وصيانة المحرّكات.

وهذا ما لمسناه في تصريحات البحارة الكبار حيث يقول أحد هم (54 سنة): "البحار الحقيقي هو البحار الذي إذا رميته في كل مهمة أو منصب أحسن العمل، وهذا هو الذي له الحظ الكبير في الترقية من قبل الربّان أو المجهّز". ومن هذا المنطلق فإن الترقية في نشاط الصيد البحري لا بد أن تمرّ بمراحل حسب العديد من البحارة الصيادين (مموّن، خياط، ملاح، ميكانيكي، نائب الربّان أو الربّان).

إن كون هذا النشاط يقتصر على الحافز المادي للترقية في المهنة تعني للبحار التدرج في المسؤولية والنفوذ في القارب، والأهم هو التدرج في الأجر أو الزيادة في الأقساط.

ولكن من جهة أخرى هناك التخفيض في الترقية المهنية أو التدرج المهني Rétrogradation، وهذا يتضح لنا من خلال نقص أو عدم وجود مردودية أو عدم الالتزام بحسن السلوك في تأدية المهنة والمعيشة مع جماعة العمل من قبل البحار، فيقوم المجهّز أو الرّبان بالتخفيض من درجته المهنية حتى لا يسرّحه وهذا لأسباب إنسانية في أغلب الأحيان.

لقد تجلى نقص التكوين في صفوف البحارة الصيادين في النسبة الضئيلة للتأهيل والتي بلغت سنة 2002 ما يساوي 76% من العدد الإجمالي للمسجلين في سجل البحارة الصيادين بميناء الغزوات والذي يبينه الجدول (6.4):

الحالة	رؤساء السفن	ميكانيكي	بحار
المسجلون	216	158	1399
إمكانيات الإركاب	110	76	1142
عدد المبحرين	74	66	932
عدد غير المبحرين	36	10	210
مسجلين مشطوبين	/	/	116
متقاعدين	/	/	05
معدل العمر	40	35	30

وعليه فإن الإدارة البحرية تسعى جاهدة من أجل تفعيل الجمعيات[1] المهنية في القطاع وذلك قصد إشراك المهنيين في اتخاذ القرارات والقوانين المسيرة للقطاع. ومن هنا كان إنشاء[2] الغرفة الولائية للصيد البحري والموارد الصيدية بمثابة النتيجة الحتمية لهذه الجهود الكبيرة التي بذلتها الإدارة من أجل تنظيم المهنة ككل وتحديد أهداف التكوين في القطاع.

وتتويجا لهذه المساعي فقد تمّ تسجيل مشروع مدرسة[3] جهوية للتكوين في قطاع الصيد البحري وتربية المائيات بمدينة الغزوات بل بات من الضروري

---

(1) أنشئت على مستوى ولاية تلمسان أربع جمعيات هي: جمعية الوئام، جمعية الأمال، جمعية غزوانة، جمعية الصيد البحري الحرفي.

(2) بموجب قرار رقم 1477 المؤرخ في 20 ديسمبر 2002.

(3) أدرج هذا المشروع في إطار المخطط الاستعجالي للتنمية المحلية لولاية تلمسان و ذلك بعد زيارة رئيس الجمهورية للولاية في 17ديسمبر 2003 .

تثمين هذا المشروع حتى يتسنى للبحارة تحصيل التقنيات الجديدة في الصيد البحري وإمكانية استعمال المعدات التقنية المتطورة والمعمول بها في التنقيب عن الأسماك واستكشاف مناطق جديدة للثروات السمكية كالخرائط التي تسمح بتحديد بدقة التوزيع الجغرافي لمختلف أنواع السمك على طول الساحل[1].

ج- الدخـــل:

لقد اختلفت التعاريف حول مفهوم الأجر، لكن مجملها قد تصب في مجموع المنافع النفسية والمادية المتحصل عليها من خلال العلاقة بالعمل[2].

تختلف أساليب تحديد الأجور في قطاع الصيد البحري عن أساليب المؤسسات الصناعية والخدماتية لأن الأجر في نشاط الصيد يعتمد على المردودية وإنتاجية الطاقم.ولما كان الحافز المادي يلعب دورا هاما في تحقيق أكبر أجر لاقترانه بعناصر هامة (الكمية، النوعية والقيمة)، فلكل بحار صياد الحق في أجر محدد متعلق بالمشاركة في الربح أثناء الحملة[3]، وهذا الأجر مختلف عن الأجر القاعدي الأساسي المضمون SMIG.

يعتبر أسلوب تحديد الأجور La rémunération في قطاع الصيد البحري نظام قديم يعود إلى عهد السومريين الذين استعملوا- منذ حوالي 4700 سنة قبل الميلاد -تقنيات المحاسبة في ميدان الصيد البحري من حيث نظام الإنتاج وقوارب الصيد وتجهيزات التخزين والاستغلال[4].

---

(1) تشرع الغرفة الوطنية للصيد البحري وتربية المائيات قريبا في توزيع الخرائط على المهنيين لتوجيههم حول كيفية استغلال الثروة السمكية .

(2) BELANGER Benabou ; Gestion stratégique des ressources humaines ; Op. Cit. P353.

(3) A. BOYER ; Les pêches maritimes; que sais- je; Press universitaire de France ; Paris. 1967. P26.

(4) Ibid. P44.

وقد ورث في الجزائر عن المعمرين من إسبانيين وبرتغاليين والذين مارسوا الحرفة بشكل واسع على الساحل الغربي الجزائري،حيث رسخت الخصائص المهنية لهؤلاء البحارة الأجانب في هذا النشاط.

وقد أكد لنا البحارة هذا الأمر فيقول أحدهم (38 سنة): "فيما يخص الحساب فقد تمشينا على بكري". ويقول آخر (56 سنة): "ليس نحن من استعمل هذا التقسيم بل تركوه لنا الإسبان.

يتم تحديد أجر البحار الصياد عن طريق القسط La part ويكون أسبوعيا عكس المؤسسات الأخرى التي يتم فيها دفع الأجور شهريا، ويتم هذا التحديد بواسطة الوسطاء المكلفين بتسويق الأسماك وذلك لأن نظام العرض والطلب يفرض في الموانئ إعطاء مسؤولية البيع للوسيط والذي يحدد أحسن العروض التي تتم عن طريق المزاد العلني La criée أو الهمس في الأذن قبل إعطاء الكلمة الأخيرة لهذا أو لذاك.

يختلف هذا التحديد للأقساط نوعا ما في قوارب الصيد أي بين السردينيات والجيبيات إذ هناك بعض الفوارق فيما يخص عدد الأقساط في بعض المناصب أو التخصصات المهنية.

وعليه يجدر بنا تقديم جدول يوضح تقسيم الأقساط على البحارة الصيادين:

التخصصات المهنية للبحارة	عدد الأقساط في السردينيات	عدد الأقساط في الجيبيات
الربّان	3 (منها قسط يقدمه المجهز)	5(منها قسط يقدمه المجهّز)
نائب الربّان	-	2+ النصف
الميكانيكي	2	3(منها قسط يقدمه المجهّز)
المصباحي	2	-
بحار يعمل ثانوي	2 + ربع	1 + النصف
بحار طبّاخ	-	1 + النصف
بحار بسيط	1	1
مسير والسفن	حصصهم في السردينيات	حصصهم في الجيبيات
المجهزّ	45% من الدخل الأسبوعي	50% من الدخل الأسبوعي
الوسيط	7% من حصة المجهزّ	7% من حصة المجهزّ
خياط الشباك	قسط واحد أو(800دج يوميا)	3أقساط
الممون	قسط واحد	2500دج أسبوعيا
النفقات الأسبوعية في السفن	الوقود(المازوت) الزيت السجل البحري Le rôle نفقات أخرى كالراديو	الوقود(المازوت) الزيت السجل البحري Le rôle نفقات أخرى كالراديو

كيفية حساب الأقساط:

الدخل الأسبوعي ناقص النفقات الأسبوعية مقسوم على 2 يساوي الدخل الأسبوعي الصافي.

50% حصة المجهزّ من الدخل الأسبوعي الصافي.

50% من الدخل الأسبوعي الصافي مقسوم على مجموع الأقساط يساوي القسط (حصة البحار الصياد).

ومن هذا المنطلق هناك نظرة خاصة للبحارة الصيادين فيما يخص أجورهم وذلك مقارنة مع عمال القطاعات الاقتصادية والخدماتية إذ يفضل البحارة العمل في سفن تحت إشراف وسطاء يتصفون بالنزاهة، إذ هناك تجاوزات حسب بعض البحارة الصيادين في كيفية حساب الأقساط وبيع الأسماك بل وصل بهم الأمر إلى حدّ اتهام الوسطاء والمجهزّين (الذين يقومون بعملية التسويق وحساب الأقساط) وينعتونهم بآكلي عرق البحار الصياد ومصاصي الدماء، ومن هنا تطرح قضية عدم انتظام الدخل عند البحارة الصيادين لأن الحقيقة المهنية والاجتماعية لهذه المهنة ترتبط أساسا بتقلب اقتصادي ومالي يتوقف على سوق السمك وما يفرضه من تحولات في العرض والطلب والمتغيرات المساهمة مباشرة في سيرورة هذا الدخل أي القيمة والكمية.

رغم كل المجهودات المبذولة من قبل البحارة الصيادين والمهارات الفنية التي يتقنوها قصد الربح الدائم إلا أن خيبة الأمل قد تلاحقهم لأنهم لا يستطيعون التحكم في لا في الكمية ولا القيمة.

وهنا يربطونها مباشرة بنقص الثروة السمكية بالمنطقة نظرًا لاستعمال بعض الطرق غير القانونية في الصيد التي لا تراعي التكاثر البيولوجي للأسماك وسوء الأحوال الطبيعية والتي قد تستمر عدة أيام وكذا تعطل السفن عن العمل لأسباب تقنية يتطلب إصلاحها أياما وأسابيع،مما يجعل نشاط الصيد البحري لا يضمن الانتظام في الدخل وبالتالي عدم انتظام الربح لدى البحارة الصياد ين، وهذا ما يجعلهم يبدون سخطا كبيرًا على مهنتهم.

ومن هنا يؤثر تذبذب الدخل على الحياة الاجتماعية والمهنيـــة للبـــحار الصياد، حيث يكمن التأثير الاجتماعي في التكيف في الجانب المالي مع الوضعيـة الحرجة التي تميز الحياة الاجتماعية للبحارة الصيادين عن طريـق الادخار فـي أسابيع الربح الجيد لأخذ الاحتياط من الأسابيع التي ينخفـض أو ينعـــدم فيـها الدخل، وهذا أكده لنا الكثير من البحارة الصيادين حيـث يقول أحدهم(56 سـنة): "أنا أفضل توفير بعض الأموال عند الربـح الكثيـر لتغطية نقص الدخـل فـي الأسابيع الميتة للصيد ". وصرح آخر ميكانيكي (50 سنة): "إنني أصـرف علـى حساب الجيب وعلى حساب الربح حتى لا أقع في فخ القروض".

ولكن هناك بحارة يعملون في سفن تتوفر علـى عتـاد وأجـهزة حديثـة وبالتالي استقرار للطاقم بها فهم لا يعانون كثيرًا مـن التذبـذب فـي المداخيـل والأرباح، وتذهب أغلبيتهم إلى حدّ الارتياح والتفاؤل من خلال تصريحاتهم والتـي تعبر عن الربح المعتدل والادخار.

أما التأثير المهني فيظهر لنا جليًا من خـلال حـراك العمـل الداخلـي والخـارجي للبحارة، فيلجأ البحار إلى تغيير قارب الصيد في حالة عد انتظـام الدخل لمدة طويلة ليعمل في قوارب جديدة أكـبر حجمـا وأكـثر تطـورًا فـي الأجهـزة والعتاد،وبالتالي إمكانية تحقيق الدخل الدائم ويكون هذا الحراك داخليـا أي فـي سفن ميناء الغزوات وخاصة ما بين السـردينيات والجيبيـات، ففـي الصنف الأول يعاني البحار الصياد من تذبذب الدخل أكثر مما هـو عليـه فـي الصنف الثاني.

كما أن هناك حراك خارجي يمس بحارة يعانون وضعيـة مزريـة ممـا يجعلهم ينتقلون إلى موانئ مجاورة كبني صاف ووهران ومستغانم.ولكن فيهم مـن لا يستقر عند عدم توفر ظروف العمل ومن هنـا يتضـح لنـا أن للمصيـدات

بالدرجة الأولى وقبل كل شئ بعدا اجتماعيًا قبل أن يكـــون لـــها حـــدود بيـــو-اقتصادية[1].

د- الممارسة النقابية:

1-العمل النقابي:

يرى بعض الدارسين الأنثروبولوجيين الذين اهتموا بدراسة فئـــة البحـــارة الصيادين بأن كل الباحثين الذين تناولوا بالبحث واقع الحياة الاجتماعية والمهنيـــة للبحارة الصيادين، تمثلت أهدافهم في مساعدة هؤلاء البحارة وحثّهم على إنشـــاء عدة هيئات للحماية الاجتماعية.

وهذا يعود أساسًا إلى غياب العمل النقابي في نشاط الصيد البحـــري عنـــد الشعوب المتقدمة والمتخلفة على حدّ سواء، وإن كـــان هنـــاك بعـــض الـــهيئات والنقابات التي تسهر وتبذل كل المجهودات من أجل حماية حقوق البحـــارة فـــي أوربا وكندا[2].

وهذا ما لمسناه عند البحارة الصيادين في ميناء الغزوات إذ يعانون مـــن الغياب التام لهذا العمل النقابي ودوره في تحسين أوضاعهم الاجتماعية والمهنيـــة، فهناك 80% منهم لا يهتمون بهذا العمل، علمًا بأن نقابة المؤسسة لا توجـــد فـــي الصيد البحري نظرًا لوجود نظام من العلاقات فـــرض نظـــام تحديـــد الأجـــور بالأقساط.

---

(1) Revue Anthropologie Et sociétés ; Op. Cit. P104.

(2) Ibid. P 661.

ويرى البحارة الصيادون أنه ليس لهم الحق في إنشاء النقابات طالما أنـــهم لم يتحدوا ولم يجتمعوا تحت راية نقابية تحميهم من النفوذ وبعـــض الممارســات غير الاجتماعية.

ولما كانت النقابة تلعب دورًا كبيرًا في توعية البحارة الصيادين فأغلبيتـــهم تطالب بهذا الحق النقابي بغية تحسين ظروف العمل البحري، وفي هـــذا الإطـــار يقول بحار ميكانيكي (43 سنة): "كيفاش تحب يكـــون حقـــوق والصيـــادين مـــا يهدروش عليها".

ويقول بحار آخر (33 سنة): "حقنا هامل بلا نقابة"، وقد أدلى لنا العديـــد منهم بنوع من السخط والرفض لهذه الوضعية حيث أجمعوا بأن البحارة الصيادين بدون نقابة لا حقوق لهم بل هم كالأغنام بلا راعي.

ومن هنا نلمس مدى تدني ظروف عمل البحارة الصيادين مادام لم يتحـــدوا ويشكلوا نقابة تحميهم من التسلط والنفوذ وتراعي مطالبهم وأوضاعهم الاجتماعيـــة والمهنية.

كما نعتقد بأن أسباب عدم اتحاد البحارة الصيادين في نقابة تعـــود إلـــى الغياب اليومي نظرًا لأوقات عملهم غير المنتظمة وانعدام الوعي المهني ونقـــص التكوين وحتى تجاهل بعض الحقوق المشروعة.

مما يؤدي إلى تسلط بعض المجهّـــزين حيث تقوم الإدارة البحرية بحثّـــهم ببعض الالتزامات نحو البحارة الصيادين،وذلك طبقا للأحكام والتشريعات القانونية الجاري بها هذا النشاط والتي تبقى دون المستوى المطلوب في علاقـــات العمـــل وذلك نظرًا لعدم وجود قانون البحار الصياد.

ولكن من جهة أخرى هناك مجهزون يراعون القيم الإنسانية والاجتماعية للبحارة الصيادين ويملكون قوارب صيد جد مستقرة وأكثر إنتاجا واستقراراً للطاقم، ويعود هذا الأمر للتنسيق التام الموجود بين البحارة والمجهزّ،والتكفل بإجراءات الضمان الاجتماعي كما هو الحال بالنسبة لأحد المجهزين[1] الذي قام بجميع التكاليف والإجراءات اللازمة لمساعدة عائلة بحار صياد كان يشغل منصب نائب الرئيس عمره 50 سنة لقي حتفه في حادث أليم في مارس 1999. وللتعبير عن التضامن والتنسيق بين المجهز والبحارة تمّ توقيفهم عن العمل لمدة أسابيع كحداد وتضامن مع عائلة البحار المتوفى والأهم من ذلك هو مساعدة الطاقم لها من خلال المنح العائلية الفصلية.

2- التقاعد والحماية الاجتماعية:

التقاعد هو انتهاء العلاقة المتصلة بالعمل بين فرد وتنظيم ما بناءًا على كبر السّن أو سنين التجربة، هذا التحّول يحمل معه جانباً إيجابياً وآخر سلبياً، هذا الأخير يضع الفرد في معاناة قاسية تتسبّب فيها الحياة الجديدة من خلال تدني مداخيله ومعنوياته. أما الجانب الإيجابي فهو يسمح له الخلود إلى الراحة فقط[2].

تتولى الإدارة البحرية إقحام البحار الجديد في جماعة العمل بمنحه دفتر بحري ثم تضمن له منحة التقاعد بعد أن يبلغ سن الستين. علمًا بأن منحة التقاعد هذه لا تتعدى في الوقت الحالي 6000 دينار جزائري بل أن رفع الأجر القاعدي لم يشمل البحارة الصيادين.

---

(1) اسمه عيدوني جمال (38 سنة) ويملك قاربين الأول (العاطي الله) والثاني (بركات الله)، أما الحادث المذكور فقد وقع في القارب الأول.

(2) BELANGER Benabou ; Gestion stratégique des ressources humaines ; Op. Cit. P320.

يعتبر البحارة الصيادون منحة التقاعد في نشاطهم من أخفض المنح لا تكفيهم حتى لشراء الخبز والدواء، ولهذا فهم يتساءلون عن سبب تجاهل السلطات لوضع مهنتهم وعدم تصنيفها ضمن خانة الحرف المتسمة بالخطورة.فقد أوضح العديد من البحارة في ميناء الغزوات بأنه كان ينبغي على الدولة تخفيض إحالتهم على التقاعد ما دون الستين سنة بدل رفعها إلى الخامسة والستين، ويضيفون بأن غالبية الذين تعدت أعمارهم حاجز الخامسة والخمسين سنة باتوا يواجهون صعوبات بدنية أثناء مواصلتهم لهذا العمل الشاق. ورغم ذلك فإنهم مضطرون لإتمام سنوات العمل القانونية لكي يستوفوا جميع شروط الإحالة على التقاعد.

كما أن هناك فئة من البحارة يفضلون مواصلة مهنتهم مادامو قادرين على تأديتها، وقليل هم البحارة الذين يفكرون في إقامة مشاريع صغيرة تساعدهم وتضمن لهم العيش بعد التقاعد فهم في أغلب الأحيان لا يبالون. ويدل هذا على التعلّق الشديد بمهنة الصيد وعدم مقدرتهم على ممارسة أعمال أخرى في البّر غير هذه المهنة.

أما فيما يخص الحماية الاجتماعية فإن الإدارة البحرية تلتزم بتقديم التعويضات اللازمة للبحارة في حالة المرض أو التعرض لحادث عمل عن طريق صندوق الضمان الاجتماعي. ورغم الأمراض والحوادث التي يتعرض لها البحار أثناء عمله، تبقى هذه التعويضات غير كافية وناقصة جداً، مقارنة مع الامتيازات التي تمنح للعامل في القطاعات الأخرى إثر تعرض العامل لمرض مهني أو حادث عمل. ولهذا فالبحار لا يبالي بها نظرًا لأوقات عمله التي تتزامن مع أوقات عمل الصندوق ويلجأ البحار إلى صرف مداخيله.

وقد تأكد لنا هذا الأمر من خلال تصريحات البحارة التي تصب كلها في أن الصندوق يمنح لهم تعويضا لكنه قليل جدا ولا شئ من المجهّز إلا في القليل النادر، ومن هنا يتجلى لنا أن واقع التأمين الاجتماعي أو الحماية الاجتماعية للبحارة لا تمثل لهم أي شئ مقارنة مع ما يمكن أن يجري لهم أثناء تأدية عملهم، فهم يعملون اليوم ولا يضمنون حياتهم غداً.

3- الثقافة السياسية:

إذا كان القليل من الدراسات التي تناولت موضوع الثقافة السياسية في الجزائر، فإن الذين كتبوا عن الموضوع يؤكدون على مجموعة من الخصائص تمتاز بها ثقافة الجزائريين هي : عدم الاهتمام،الاغتراب، الصراع عند النخبة.

مع هذا فإن نمط تطور الآراء والمواقف السياسية مرّ منذ الاستقلال بأربع مراحل أهمها مرحلة التغييرات السياسية التي جرت منذ بداية التسعينيات وتمتد إلى غاية 2004 حيث ارتفعت نسبة المشاركة السياسية من خلال تزايد الجمعيات المدنية، الأحزاب السياسية والمشاركة في الانتخابات وكذا الموقف من الديموقراطية.

ومن هنا أردنا معرفة المشاركة السياسية للبحارة الصيادين وهذا بطرح أسئلة حول الديموقراطية في المجتمع الجزائري وهل يشاركون في إحدى الجمعيات السياسية أو التطوعية ومدى انتخابهم في الانتخابات (الرئاسية، التشريعية، المحلية)، فالمعطيات المحصل عليها تدل على أن بحارتنا غير راضين عن واقع الديموقراطية في الجزائر فنسبة 10%فقط تعطي أهمية لتنمية المؤسسات والأفكار الديموقراطية ، في حين أن نسبة 90%من المبحوثين ترى

أن ليس هناك تجسيد لمعنى الديموقراطية في الجزائر وارتكزت إجاباتهم على أدلة من الواقع (الظلم،غياب العدالة.....) كما جاء في بعض التصريحات:

- الحقرة والظلم، ما كانش العدالة، أين هي الديموقراطية (بحار صياد 51 سنة ربّان سفينة).

- الخيانة عامة، ناس عيشة وناس لا (بحار صياد، 41 سنة ميكانيكي).

كما يتمثل موقف البحارة الصيادين من الديموقراطية في أنهم لا يمنحون أهمية كبيرة للقيم والمؤسسات الديموقراطية نظرًا للمستوى التعليمي المنخفض لدى أغلبيتهم،وهنا يتجلى الدور الحاسم للتعليم في تفسير المواقف تجاه الديموقراطية.

أما عن مشاركتهم في الانتخابات فبلغت 92%من المبحوثين، لكن هذا لا يعني أن البحارة الصيادين أصبحت لهم ثقافة سياسية وأصبحوا فاعلين سياسيين[1].

فالمشاركة في الانتخابات سواءً ا أكانت رئاسية أم تشريعية أم محليّة تعني الحصول على خاتم على بطاقة الناخب والتي تسهل له في ما بعد كدليل على مشاركته في اقتناء كلّ ما يلزمه من أوراق وملفات إدارية.

فالمشاركة السياسية الفعلية للبحارة الصيادين ضعيفة أو شبه غائبة، فنسبة 85% من عينة البحث لا تشارك في أي جمعية وهي تعيش في معزل عن هذه المجالات، وهذا يبين لنا غياب ثقافة ورؤية سياسية لدى هؤلاء المبحوثين، فتبريراتهم المستقاة في تصريحاتهم تبين ذلك:

---

(1) لم نجد ولا بحار صياد واحد تمّ تسجيل اسمه ضمن القوائم الانتخابية لأي حزب سياسي لا في الانتخابات المحلّية ولا في غيرها.

-السياسة خاطيني، أنا من البور للدار (بحار صياد 45 سنة).

-هذه الصوالح ما يهمونيش، الانسان ولّى يخاف (بحار صياد 38 سنة).

فالسياسة تعني بالنسبة للبحار الصياد عمل سلبي ولا يهمه الأمر في مصير المجتمع الذي يعيش فيه، وتنحصر حياة البحار الصياد بين المنزل والميناء، وهذا ما يبين عدم تقبل ثقافة المحيط الذي يعيش فيه،ومن هنا فإن نسبة الرضا السياسي منخفضة جدا حيث لا تمثل إلا 5% فقط.

ففترة التسعينيات هي في نظر 95% من البحارة الصيادين مرحلة العنف والإرهاب الذي أضعف الدولة وجعلها تحتاج لقيادة سياسية قوية وهنا برزت شخصية هواري بومدين كشخصية وطنية كانت لها جهود جبارة في بناء دولة الجزائر المستقلة.

كما أن تطبيق الإصلاح الاقتصادي لم ترافقه سياسة اجتماعية فعالة مما زاد في تفاقم أوضاع الفئات الدنيا منهم فئة البحارة الصيادين ، إذ أن 80% من المبحوثين ترى أن مساعدة الدولة لقطاع الصيد البحري ذهبت للغرباء عن المهنة،وفي نفس الوقت أبدوا قلقهم من الهوة التي تتعمق باضطراد بين الأغنياء والفقراء.

والجدول (2:4) يبين سلم المواقف تجاه النظام الاقتصادي والسياسي (تقييم الفرق بين الأغنياء والفقراء):

	التكرارات	النسبة
راضي جدا	20	%5
راضي بعض الشيء	100	%25
غير راضي	220	%55
المجموع	340	%85
ملغى	60	%15
المجموع	**400**	**%100**

إن مواقف البحارة الصيادين من النظام السياسي والحالة الاقتصادية لا تختلف، فهي مواقف تعبر عن عدم الرضا وخاصة بين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و40 عاما[1]، وهي مواقف معظم الشباب ذو المستوى التعليمي المنخفض في المجتمع الجزائري[2].

ولما كانت قراءة الجرائد أهم وسيلة لمعرفة أوضاع وأحوال المجتمع فالجدول (3:4) يبين قراءة الجرائد عند البحارة الصيادين:

قراءة الجرائد	التكرارات	النسبة
نعم	120	%30
لا	280	%70
المجموع	**400**	**%100**

(1) بلغ متوسط عمر البحارة الصيادين في عينة البحث 40 عاما.

(2) عزي، محمد فريد "، الإسلام والتمثلات السياسية: دراسة ميدانية حول التدين والثقافة السياسية "مجلة إنسانيات، العدد11، 2000، ص35-52.

فاتضح لنا أن 70% من البحارة الصيادين لا يقرؤون الجرائد اليومية نظرًا لطبـيعة عملهم،في حين أن 30% منهم تقرأ الجرائد أيام الراحـة الأسـبوعية أو أيام تدهور الأحوال الجوية حيث يتوقفون عن ممارسة العمل البحري.

خلاصة:

في الوقت الذي تشهد فيه حرفة الصيد البحري في أوروبـــا إصلاحـــات هامة تهدف إلى توحيد التقنيات وأسس التسيير وتنفيذ ما يسمى بأوروبا الزرقـــاء EUROPE BLUE[1] وذلك في إطار المشروع الأوروبي لإصلاح القطاع، يعـــاني قطاع الصيد البحري في الجزائر من مشاكل تنظيمية أثرت ســـلباً علـــى تنميتـــه وخاصة في ظل غياب قانوني يسعى من أجل تحديد وتحسين علاقات العمل بيـــن أهل القطاع.

لقد جعلت ظروف العمل البحري المختلفة عن باقي القطاعات الاقتصاديـــة الأخرى فئة البحارة الصيادين مهمشة تعاني التسلط وقوة النفوذ، وهـــذا زيـــادة طبعا على أساليب التوظيف التقليدية والتسريح التعسفي، التكوين الناقص والترقيـــة المبنية على العلاقات الشخصية، تقسيم غير عادل للأقـــساط وتذبذب في الدخـــل إضافة إلى تجاوزات في معاملة البحار الصياد ومنحة تقاعد أضعف ما يكون بـــل وحماية اجتماعية منعدمة وثقافة سياسية غير راسخة.

تسارع الدولة في الفترة الأخيرة إلى إعادة النظر في هذا النشاط الحيـــوي حيث ما فتئت تقدم الدعم المادي من قروض وتسهيلات من أجل تجديد أســـطول الصيد البحري،وكذا العمل على ضرورة الإسراع إلى تكوين البحارة الصيـــادين حسب التقنيات الحديثة وذلك لاستخراج الثروة السمكية التي تزخر بها الســـواحل الجزائرية.

---

(1) FLEURY Odette Minth ; La mesure des ressources halieutiques et le devenir de la pêche en Méditerranée ; Acte du 128 congrès national des sociétés ; Bastia 2003.

الخـــاتمـــة

مهما يكن من أمر فقد انتهينا في بحثنا إلى إثبات وجود واقع ثقافي للبحارة الصيادين. أدى بنا إلى الوقوف على طبيعة وحقيقة التأثيرات المهنيـــة الثقافيـــة الموروثة من خلال الكشف عن سلوك البحارة الصيادين وممارستهم لنشاط الصيد البحري، وعن الميكانيزمات الموروثة في تسيير الموارد البشرية مـــن توظيـــف وتكوين وتوزيع الدخل ومحاولـــة معرفـــة مواقفـــهم نحـــو مهنتـــهم ومحيطـــهم الاجتماعي.

توصلنا من خلال بحثنا إلى نتائج هي:

1- يتمّ اكتساب حرفة الصيد البحري عن طريق الوراثة لأنها ذات طبيعـــة مهنية بسيطة وتنظيم عمل تقليدي وبالتالي تأثيرها على سلوكيات ومواقف البحارة يكون جد محدود مقارنة مع المنظمات الأخرى. وأن فضاء ممارستها يســـتوجب نوعا من اكتساب قيم ثقافية واستمراريتها تعطي الطابع المميز وربـــط الخاصيـــة للإطار المعرفي واللغوي لحرفة الصيد البحري متمثـــلا فـــي تســـمية المنـــاطق الساحلية والسفن ووسائل العمل البحري وأوامر تنفيذ العمل وكذا الأسماك.

2- يتمّ تشخيص خصوصية القطاع من خلال ترجمة حقيقة واقـــع العمـــل البحري في سفن الصيد المتمثل في تنظيم العمل وارتباط المهام وأمكننا الاطـــلاع على خصوصيات ونوعية هذا النشاط والتي يمكن أن تشـــكل عوامـــل أساســـية بمقدورنا استغلالها في التحسين من ظروف عمل البحارة ولزيادة من إنتاجيتـــهم ومن الرضى من عملهم من خلال تصور نوع من السفن التي تراعي المعـــايير والتي باستطاعتها التحسين من وضعية البحارة الصيادين في سفن الصيد البحـــري المستقبلية.

إنّ مـــا يمكن تسميته شخصية بحرية هو في الحقيقة ســـيرورة اجتماعيـــة وثقافية لمن يمارس مهنة الصيد في البحر، فإقبال معظم الشبان على هذا النشـــاط وتلك المهنة يعكـــس لنا الارتباط البيوغرافي لهم بالمهنة وبـــالبحر وبالفئـــة المهنيـــة العاملة فيه.

3- إن البحث في الدلالات الاجتماعية للتعابير الشفوية من أقوال وأمثـــال وألغاز عند البحارة الصيادين يتعدى ما هو ظاهر على مســـتوى البنيـــة اللغويـــة السطحية إلى البنية العميقة ذات دلالات اجتماعية رمزية لما يجب أن يكون ذلـــك تعبيرًا عن طموحات الوعي الجماهيري للبحارة الصيادين.

لقد كشفت لنا الذاكرة الشعبية لدى البحارة الصيادين من خـــلال التعـــابير الشفوية صورة البحر الذي ارتبط بحياة البحار الصياد، بعقيدته، ثقافته حتى أصبح البحار الصياد لا يستطيع العيش خارجه، فالبحر هو حياته كلها.

4- لقد عمدت الذاكرة الشعبية على تقديس البحر وتنظيم الصيد البحـــري وفق قوانين اجتماعية ثقافية محلية تضمن للبحار الصياد حياة سليمة وشريفة حيث لا يسيء لذاته ولا للآخرين.

إنّ الحديث عن الصيد البحري كفضاء اجتماعي ثقافي اقتصـــادي يتعـــدى الطرح المادي والرسمي، فالصيد البحري هـــو قبـــل كـــلّ شـــيء حرفـــة لـــها خصوصياتها، والبحارة الصيادون حرفيون يختلفون عن الفئات المهنية الأخـــرى لهم خصائص مهنية وثقافية معينة يشاركون في اقتصاديات البلد من خلال أهميـــة الصيد البحري الاقتصادية.

5- بما أن منتوجات البحر تشكل موردًا غنيًا للبروتينات قادرًا على الإسهام في تخفيف الضغط على طلب اللحوم، فإنه من اللازم مواصلة الجهود إلى تطوير الصيد البحري بمجموعة من الإجراءات أهمها:

- تحسين ظروف عمل البحارة الصيادين بما يساعد على التخفيف من عزلتهم الاجتماعية الاقتصادية وجعلهم أكثر تفتحاً على التقدم.
- تحسين ظروف العمل البحري بتوفير الدعم.
- تطوير الأسطول البحري للصيد في أعالي البحار.
- جعل الموانئ تحظى بعناية خاصة لعصرنتها وتوسيعها.

6- تكمن الأهمية الاستراتيجية للموقع الجغرافي الذي تميزّت به منطقة الغزوات في كونها منفذاً بحريًا استغلته جميع الأجناس البشرية التي توالت عليها عبر التاريخ.كانت المدينة مركزا لانتشار حرفة الصيد البحري التي كانت من ضمن العوامل الأساسية التي خلقت للسكان فرص الاحتكاك مع غيرهم من الشعوب كالأسبان والإيطاليين والبرتغاليين. لكن يبقى الأسبان أكبر فئة اجتماعية مارست حرفة الصيد البحري. إن التأثير الإسباني في هذا النشاط لم يتوقف على الجانب الاقتصادي بل تعداه ليشمل الجانب الثقافي، إذ تمّ إدخال مفاهيم لغوية إسبانية في المنطوق المحلي لازالت سارية إلى يومنا هذا في أوساط البحارة الصيادين. يبقي قطاع الصيد البحري يلعب دورًا هامًا في خلق مناصب العمل، بل يمثل المورد الأساسي لأغلبية السكان.

لقد حاولنا، قدر استطاعتنا أن ندرس هذا الموضوع دراسة موضوعية معمقة بروح علمية، ولا نزعم أننا قد أوفينا الموضوع حقه من كل جوانبه الرحبة، لأن هذا الموضوع جديد ويحتاج إلى المزيد من البحث.

لقد ارتبط مضمون مختلف مفاهيم البحر بالعلوم الاجتماعية، فحتى نهايـــة القرن التاسع عشر الميلادي كان البحر مكان تحرك ونقل الممتلكات والأشـــخاص بحيث يمارس نشاط اقتصادي هام هو الصيد البحري،وبتطور التقنيات أصبحـــت الفضاءات البحرية ممول للموارد الغذائية والطاقوية والمعد نية، كما أن تطويـــر السياحة البحرية فتح آفاقا جديدة في البحر.

نظراً لكثافة الثروة السمكية القابلة للصيد على السواحل الجزائرية بحيـــث يقدر المخزون –حسب تقديرات إسبانية لعام 2004– بأكثر من 200000 طن، فـــلا بّد من رفع الإنتاج السمكي بأنواعه، ولكن ذلك لن يتحقق إلا عن طريـــق ترقيـــة قطاع الصيد البحري وتربية المائيات ونشر ثقافة صيدية في المجتمع الجزائـــري، ولا يكون هذا إلا بتعاون وتكامل الأطراف والمصالح وضـــرورة تطبيـــق مدّونة السلوك لصيد مسؤول.

لقد واجهتنا عدة صعوبات نظرية في هذه الدراسة تمثلت في قلة الدراسات والأبحاث والمراجع الخاصة بالصيد البحري والبحارة الصيادين، فركزنا بالدرجة الأولى على الدراسات الأجنبية وذلك من خلال التربصات العلمية التي قمنا بـــها بمساعدة جامعة تلمسان إلى مركز البحث في الأنثربولوجيا بجامعـــة بـــو Pau بفرنسا وأيضا بالمركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيـــا الاجتماعيـــة والثقافيـــة بوهران.

الملاحـــــق

أهم التشريعات التي تدعم بها قطاع الصيد البحري:

1- مرسوم تنفيدي رقم 01-11 المؤرخ في17 محرم 1421 الموافق 3 جويلية 2001 يحدد تنظيم الصيد البحري و تربية المائيات .الجريدة الرسمية 14-2001.

2-مرسوم تنفيدي رقم 04-18 المؤرخ في 3 ذوالحجة 1424 الموافق 25 جانفي 2004، يحدد تنظيم المجلس الوطني الاستشاري للصيد البحري و تربية المائيات وسيره ومهامه. الجريدة الرسمية رقم 07-2004.

3- مرسوم تنفيدي رقم 04-86 المؤرخ في 26 محرم 1425 الموافق 18مارس2004، يحدد الأحجام التجارية الدنيا للموارد البيولوجية. الجريدة الرسمية رقم 18-2004.

4-مرسوم تنفيدي رقم 04-186 المؤرخ في 12 جمادى الأولى 1424 الموافق 30 يونيو 2004، يحدد شروط و كيفيات جمع و تبليغ المعلومات و المعطيات الإحصائية الخاصة بالكميات المصطادة و الوسائل المستعملة بما في ذلك أسطول الصيد البحري ومجتمع الصيادين .الجريدة الرسمية رقم 44-2004.

5-مرسوم تنفيدي رقم 04-187 المؤرخ في 19 جمادى الأولى 1424 الموافق 7 يوليو 2004 يحدد قائمة آلات الصيد المحظور استيرادها وصنعها وحيازتها وبيعها. الجريدة الرسمية رقم 44-2004.

6-مرسوم تنفيدي رقم 04-188 المؤرخ في 19 جمادى الأولى 1424 الموافق 7 يوليو 2004 يحدد كيفيات قنص الفحول واليرقانات والبلاعيط والدعاميص ونقلها وإدخالها في الأوساط المائية وكذا كيفيات قنص ونقل واستيداع واستيراد وتسويق منتجات الصيد البحري وتربية المائيات التي لم تبلغ

الأحجام الدنيا القانونية والموجهة للتربية أو الزرع أو البحث العلمـــي. الجريـــدة الرسمية رقم 44-2004.

7-مرسوم تنفيدي رقم 04-189 المؤرخ فـــي 19 جمـــادى الأولـــى 1424 الموافق 7 يوليو 2004 يحدد تدابير حفظ الصحة و النظافة المطبقة على منتجـــات الصيد البحري وتربية المائيات. الجريدة الرسمية رقم 44-2004.

الخريطة البحرية لمنطقة الغزوات

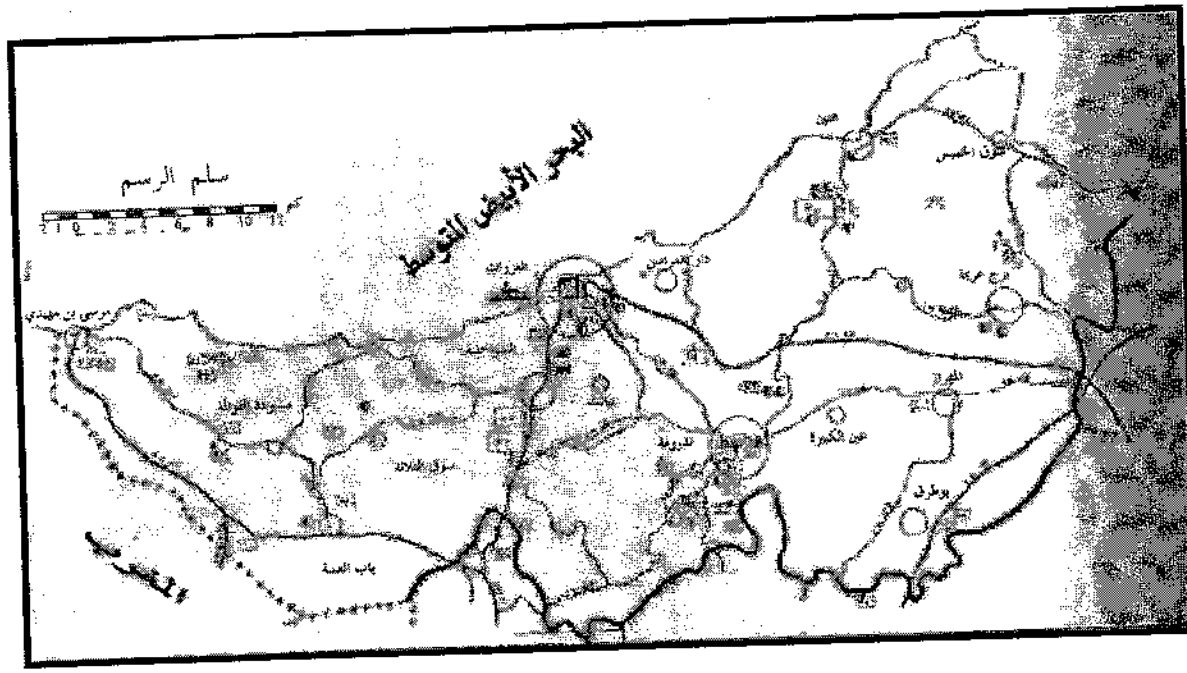

التقسيم الإداري لمدينة الغزوات وضواحيها

المصدر: بلدية الغزوات

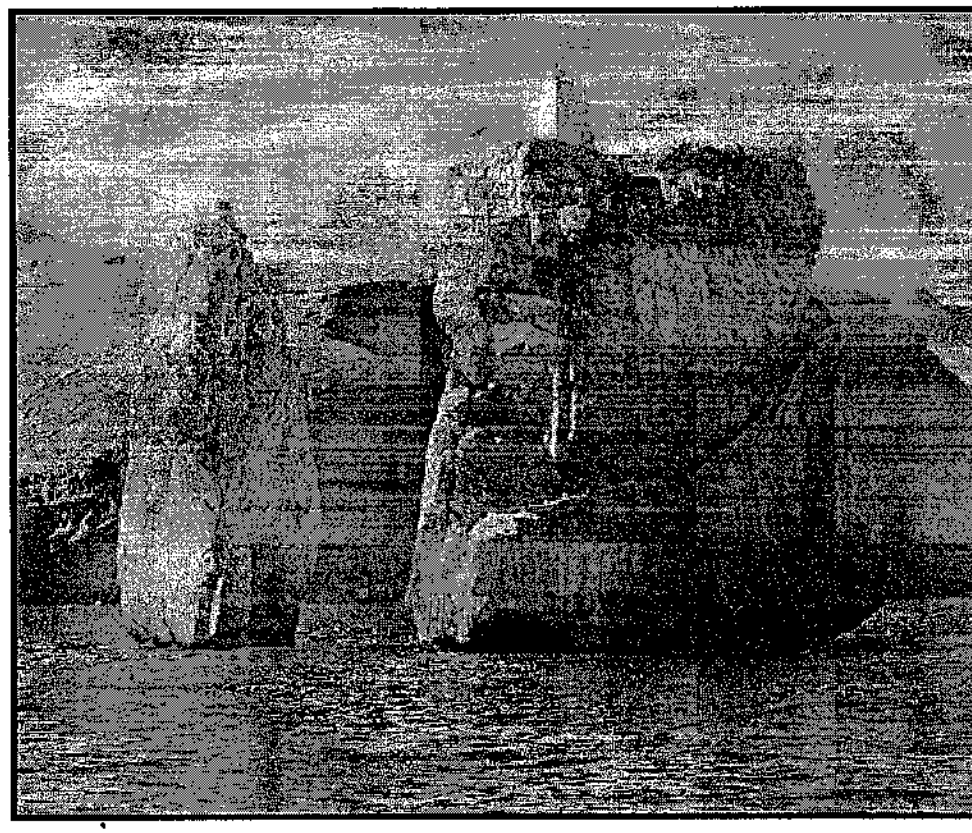

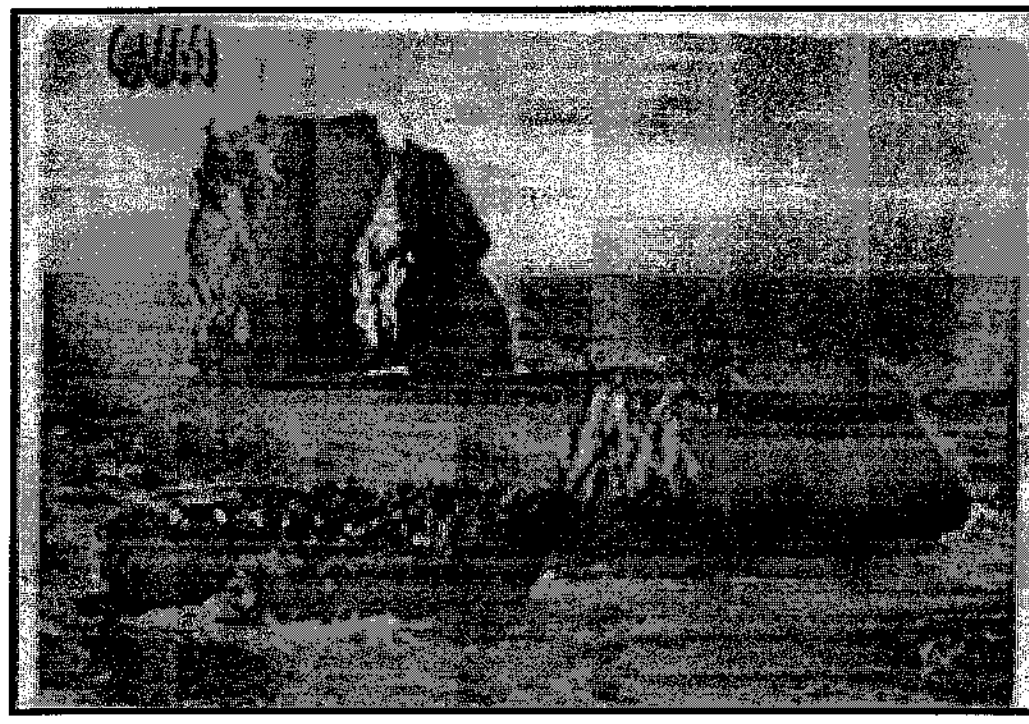

صورة الصخرتين المنتصبتين في البحر على بعد 300م من مدخل ميناء الغزوات من الجهة الغربية

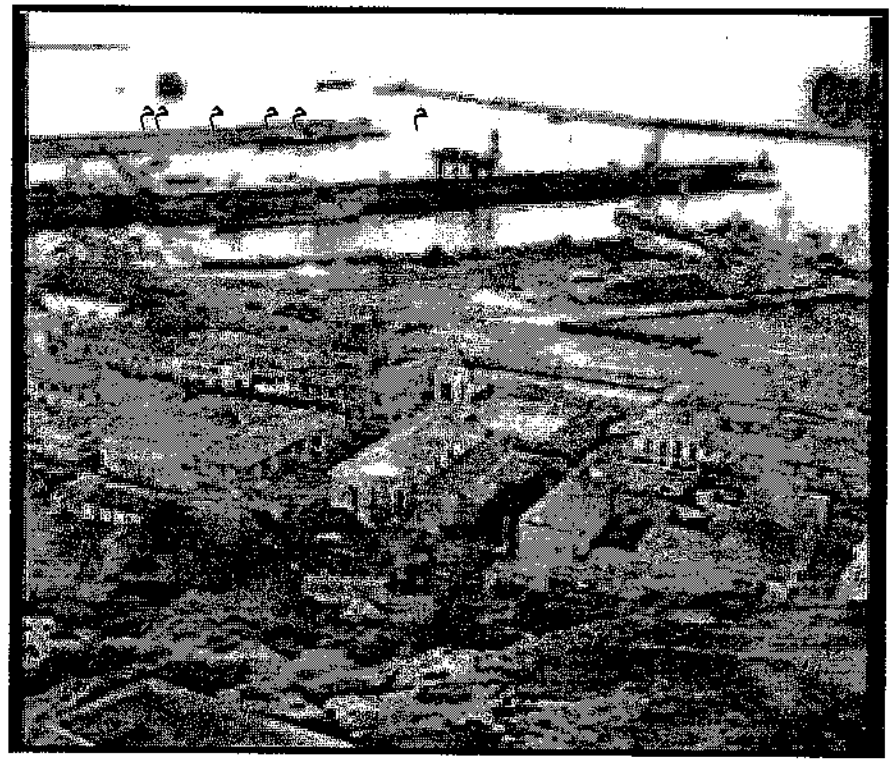

تمثل هذه الصورة ميناء الغزوات 1962

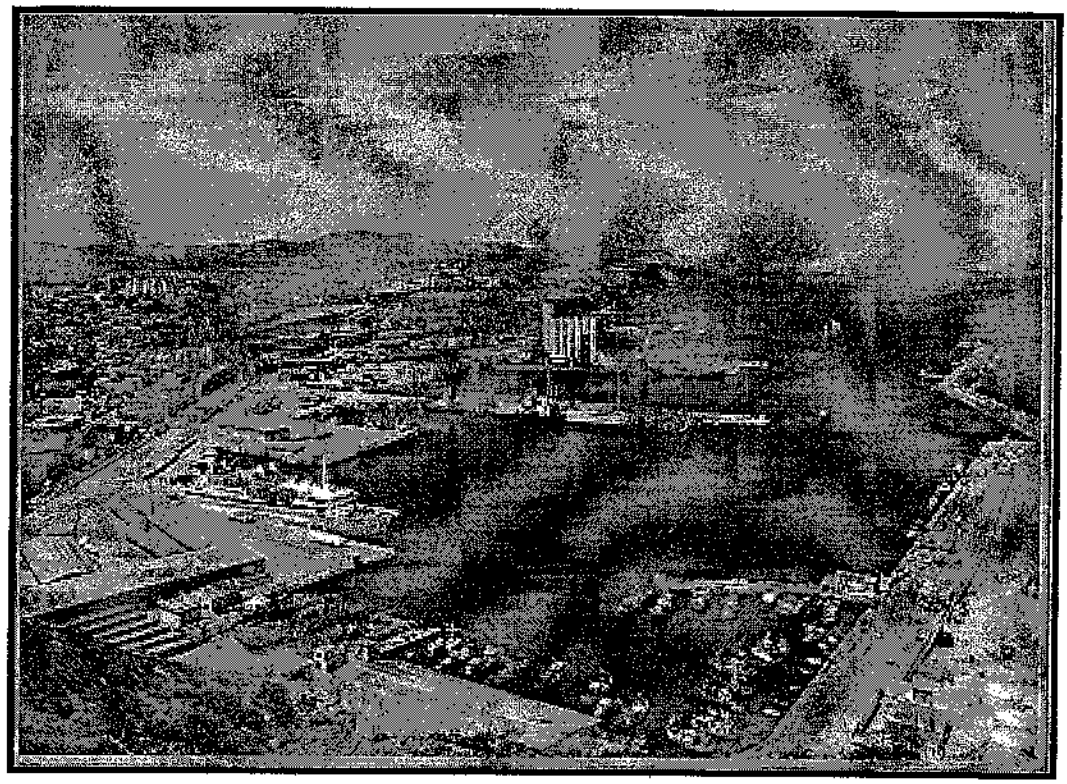

تمثل هذه الصورة ميناء الغزوات 2004

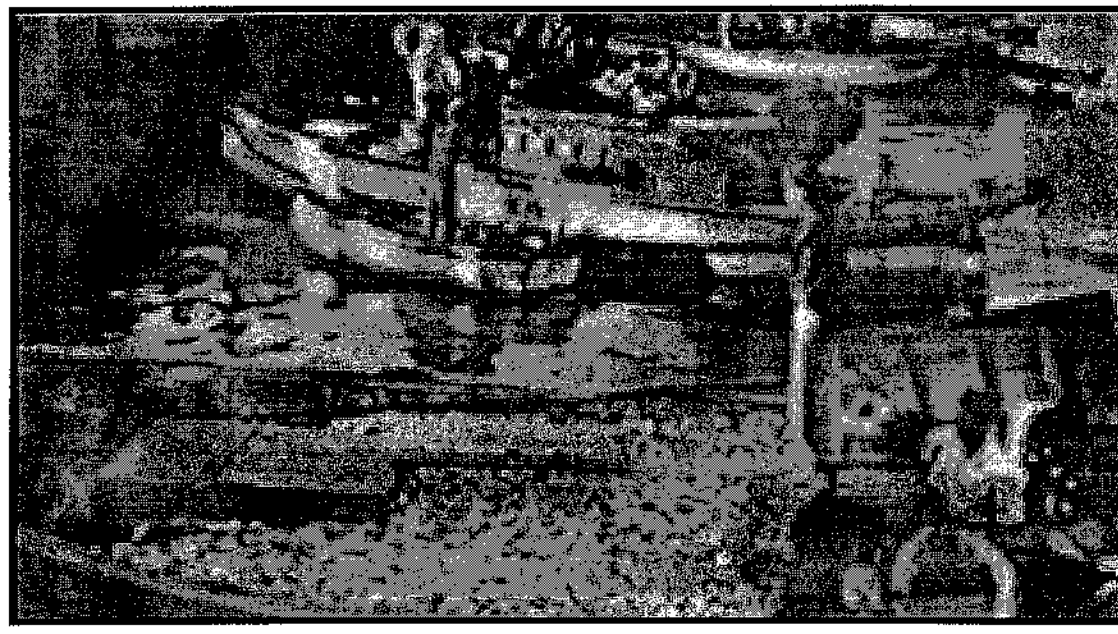

عودة البحارة الصيادين من الخرجات الصيدية إلى الميناء قبل ١٩٦٢

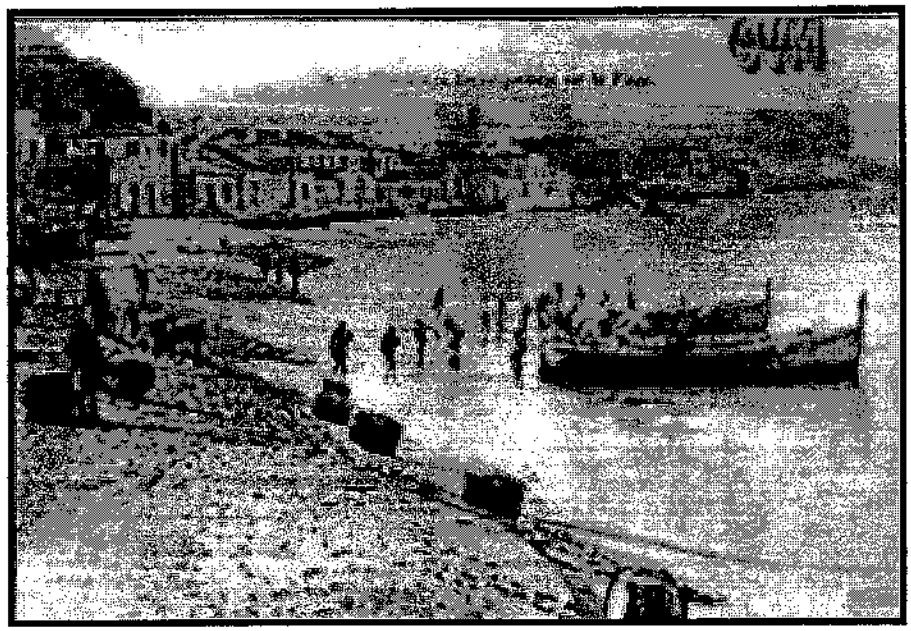

صورة الصنف الإسباني "بوبامونا"

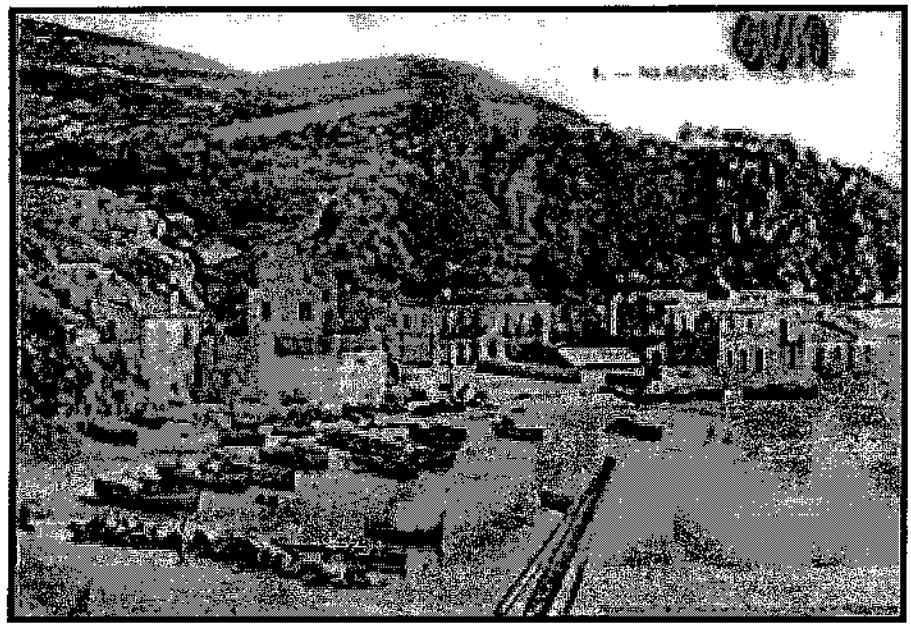

صورة الصنف الإيطالي "لامبارو"

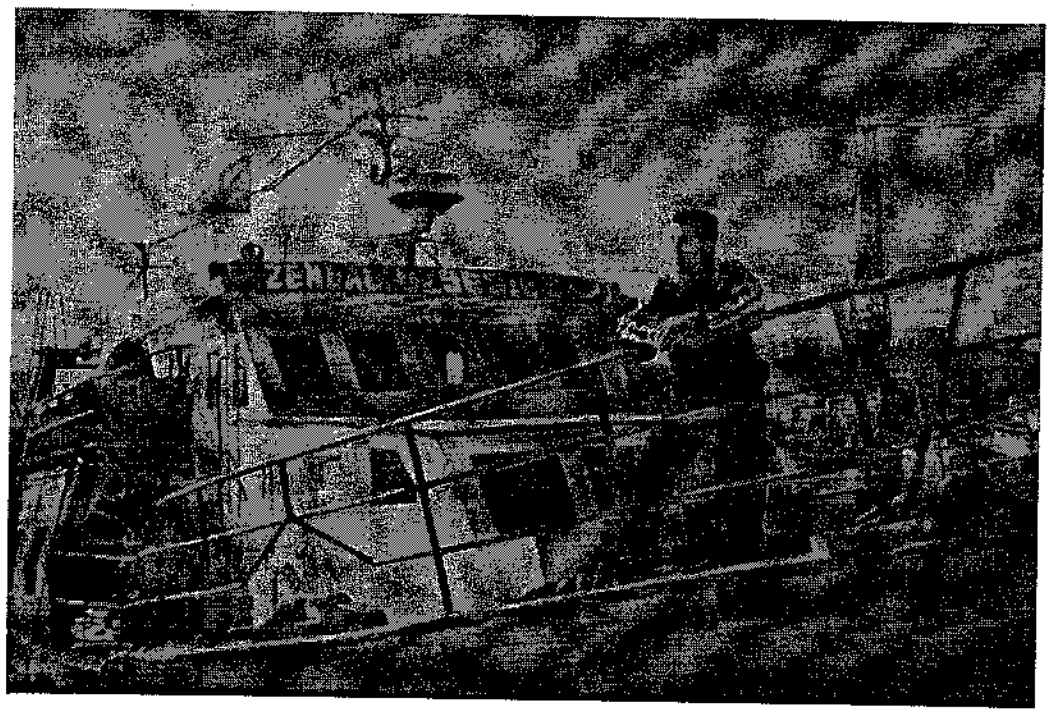

أسماء السفن ودلالاتها العقائدية والتاريخية

قائمة المراجع

* **القرآن الكريم**، المصحف الشريف رواية حفص، مجمع خادم الحرمين الشـــريفين الملك فهد، 1413هـــ/1993م.

I – مراجع باللّغة العربية:

أ. الكتب:

1- إبراهيـــم، محمـــد فـــؤاد، المعرفـــة. المجلد الرابع، جنيف، شـــركة إنمـــاء النشر، 1985.

2- إبـــراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. القاهرة: دار نهضة مصـــر للطبع والنشر، الطبعة الثانية، 1974.

3- ابـــن خلـــدون، كتـــاب العبـــر وديـــوان المبتدأ والخـــبر وأخبـــار العـــرب والعجم ومـــن عاصـــرهم من ذوي السلطـــان الأكبـــــر، الجـــزء الســـادس. بيروت، مطبعة النهضة، 1946.

4- ابن منظـــور، لســـان العـــرب، الجزء الثالث والتاسع. بيروت: دار صـــادر، الطبعة الأولى، 1955.

5- المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب، الطبعة الثانية، 1984.

6- بـــدوي، أحمد زكي، علاقات العمل في الدول العربية. القاهرة: دار النهضـــة العربية، 1955.

7- بن نعمان أحمد، سمات الشخصية الجزائرية مـــن منظـــور الأنثروبولوجيـــا النفسية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.

8- بوحوش، عمار، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، 1995.

9- بيير جورج، الوجيز في الجغرافيا الاقتصادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

10- توفيق محمد شاهين ،علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة وهبة، 1939.

11- حسين، عبد الحميد، تطور النظم الاجتماعية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.

12- درويش، عبد الكريم، أصول الإدارة العامة. القاهرة، المكتبة الأنجلو-المصرية، 1972.

13- دليل الجزائر الاقتصادي والاجتماعي. الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 1987.

14- سابق، جروان، قاموس الكنز: فرنسي-عربي. بيروت، دار السابق، الطبعة الأولى

15- عبد الرحمان، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام. الجزء الثاني، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

16- عبد المولى، محمود، علم الاجتماع في ميدان العمل الصناعي. بيروت، الدار العربية، 1984.

17- عزّ الدين الخطيب التميمي، نظرات في الثقافة الإسلامية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1988.

18- موريس أنجرس ، منهجية البحث العلمي في العلـــوم الإنســـانية، تدريبـــات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2004.

19- محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، 1982.

20- محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشـــورات دار مكتبة الحياة، بيروت ،1986.

21- مرتاض، عبد المالك، الألغـــاز الشـــعبية الجزائريـــة. الجزائـــر، ديـــوان المطبوعات الجامعية، 1982.

22- مرتاض، عبد المالك، الأمثـــال الشـــعبية الجزائريـــة. الجزائـــر، ديـــوان المطبوعات الجامعية، 1982.

23- مريم سليم، حقول علم النفس ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعـــة الأولى، 1986.

24- معتوق فردريك، "التقاليد والعادات الشعبية اللبنانية"، طرابلس، لبنان، مطبعة جروس برس.

25- ميتشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع (ترجمة الدكتور إحسان محمد حســـن). بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1986.

ب- المقـــالات:

1- البجلاتي إبراهيم ، الأوزون ...دواء الفقراء العجيب، مجلة العربي، العـــدد 530، يناير 2003.

2- الزنداني الشيخ عبد المجيد ، أسرار البحار، جريدة الرأي، العدد 1595، فـــي 17 جويلية 2003.

3- سعيدي، محمد، "صورة العمل ودلالاته الاجتماعية والثقافية في امثل الشـــعبي الجزائري". مجلة إنسانيات، العدد الأول، 1997، ص24-35.

4- سويـــس، بوعـــلام، "أجـــر البـــحر"، مجلة المسار المغربـــــي، العـــدد 28، 1989، ص27-28.

5- صفوت، كمال، "سوالف وحكايات البحر في الكويت"، مجلة العربي، العـــــدد 301، سنة 1983، ص52-57.

6- عزي، محمد فريد "، الإسلام والتمثلات السياسية: دراسة ميدانية حول التديـن والثقافة السياسية "مجلة إنسانيات، العدد11، 2000،ص 44-51.

7- غريد، جمال، "العامل الشائع: عناصر للاقتراب من الوجه الجديـــد للعـــامل الصناعي الجزائري"، مجلة إنسانيات، العدد الأول، سنة 1997، ص 7-23.

8- مولاي الحاج، مراد، "الغزوات: مدينة في ظل التحولات السوسيو-ثقافيـــة"، مجلة إنسانيات، العدد الخامس، سنة 1998، ص35-48.

9- ميموني، سليمان، "الوجه العكسي للمنظار"، مجلة المسار المغربي، العدد 28، 1989، ص17-20.

جـ- الرسائل الجامعية:

1- بن يشو، جيلالي، الخطابات اللهجية في منطقة طـــرارة، دراســة صوتيــة ومورفولوجية. رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، قسم الثقافـــة الشــعبية، 1999-2000.

2- يزلي، عمار، صدى الثورة الجزائرية في الأهازيج النسوية لولاية تلمســـان، منطقة تزارا نموذجا. رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، معهد الثقافـــة الشــعبية، 1990-1991.

3- قريش، أحمد، دراسة لهجية لمنطوق السواحلية. رسالة ماجســـتير، جامعـــة تلمسان، معهد اللغة والأدب العربي، 1999-2000.

4- سبوح رشيد، المعتقدات الشعبية في الجزائر ظاهرة العين نموذجـــا، رســـالة ماجستير، جامعة تلمسان، معهد الثقافة الشعبية، 2001-2002.

5- يوسفي آمال، الممارســـات الثقافيـــة فـــي المجتمـــع الجزائـــري، دراســـة أنثروبولوجية لمدينة الغزوات، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، معـــهد الثقافـــة الشعبية،2001-2002.

د- الجـرائد

1- الخبر الأسبوعي العدد 188 من 5 إلى 11أكتوبر2002

2- الخبر العدد 4005 في 9 فيفري 2004.

3- الخبر العدد 4174 في 25 أوت 2004

4- الرأي العدد 1574 في28 جوان 2003.

5- تالاسا، مجلة البحر عدد 30 يناير 2002.

هـ الوثائق والمنشورات:

1- إحصائيات مصلحة الصيد البحري بميناء الغزوات.

2- إحصائيات الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، 1998-2003.

3- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية رقم7،8،44- 2004.

4- تقرير عن وضعية نشاطات وتنمية قطاع الصيد البحري والموارد الصيدية لولاية تلمسان، مارس 2003.

5- أخبار الصيد البحري، مجلة غير دورية تصدر عن الغرفة الجزائرية للصيد البحري وتربية المائيات 2004.

2- مراجع باللّغة الأجنبية:

أ- الكتب:

1- ADAM. J ; M ; Le Discours Anthropologique. Paris. ; Meridiens Klinksiek ; 1990

2- BALANDIER George : Le Désordre. Paris : Fayard, 1988.

3- BARRERE Alain, L'univers des marins- Fondation pour la recherche sociale ; Paris, 1970.

4- BELANGER Benadou, Bergon, Foucher, petit : Gestion statistique des ressources humaines. Ed. Gaïtan Morin, Canada, 1988.

5- BOUTE. Pierre et Michel IZARD- Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie ; P.U.F Paris 1991.

6- BOYER. A ; Les pêches maritimes ; que sais - je press universitaire de France Paris 1978.

7- CANAL, J., Les villes d'Algérie (Nemours), Paris : Imprimerie Paul Dupont, 1888.

8- CARDONNE, P. Et Rabot, J, La colonisation dans l'Ouest Oranais, Alger : Heintz, 1930.

9- Dictionnaire de l'Anthropologie et l'Ethnologie. Editions Nathan 1994.

10- Dictionnaire Larousse : Français-Espagnol

11- Dictionnaire Larousse : Français-Italien

12- DIVERREZ, J., Analyser les conditions de travail, Paris : Entreprise moderne, 1979.

13- DOUMENGE,F. Géographie des mers, Paris, P.U.F. Col, Magelan, 2001.

14- DOURDAN, l'emploi enjeux économiques et sociaux, Paris : Librairie Français Maspero, 1982.

15- DOUZAT, A, Les noms – les lieux, Paris : De la grave, 1911.

16- FERROL, G., Dictionnaire de Sociologie. Paris : Armand Colin, 1911.

17- FISLAND.G; The Effect of Redundancy ; Ed People and Work ; the open University Milton Keyness ; 1975.

18- GERAND, M., Leiservoisier, Pottier, Les Notions clés de l'Ethnologie. Analyses et Textes. Paris : Armand Colin, 1998.

19- GRESTE, F, PANOFF, M., PERSIN, M., TRIPIER, P., Dictionnaire des Sciences Humaines, Sociologie, Anthropologie. Paris : Edition Nathan, 1994.

20- HUGHES, E., C., Men and their Work, Glencoe and free press. 1958.

21- JACOB. A., Le Travail Reflet des Cultures, P.U.F., 1994.

22- LATHIELLEUX, P.J., Le Littoral de l'Oranie Occidentale. Oran : centre de documentation économique et sociale, 1974.

23- LEFEBRE, Th., Les modes de vie dans les Pyrénées atlantiques orientales, Paris : Librairie Collin, 1980.

24- LEWIS ; B ; Islam And The West ; New York ; Oxford University Press ; 1993.

25- LLABADOR, F., Nemours (Djemâa Ghazaouet), Alger : Imprimerie la Typlitho, 1948.

26- Mandon, D., Culture Et Changement Social. Approche Anthropologique. Lyon : Chronique Social, 1990.
27- Marline ,J.Et Dorval ;Analyse du travail d'un équipage prise en compte de l'activité des marins pêcheurs ;leur espace de travail .paris ,P U F,1991.
28- MAUDUDI ; A ; A ; The Islamic Law and Consititution ; Lahore ; Islamic Publication, 1960.
29- MAURICE, D., "Ni morts, ni vivants. Marins, pour une ethnologie du huit clos", P.U.F. 1998.
30- MOLLAT, La vie quotidienne des gens de mer en atlantique ; Hachette ; Paris ; 1978.
31- RIEUCAU Jean, les gens de mer - Sète en Languedoc, Paris, éditions l'harmattan, 1990.
32- SAINLIEU. Sain ; Sociologie de l'organisation et de l'entreprise ; Press de fondation Nationale des sciences politiques ; Dalloz ; 1987.
33- SEAGER Joni: Atlas de l'Environnement dans le Monde Ed. Autrement, Série Atlas, n°2, avril 1993.

الدوريـــات:

1- Algérie 30 ans. Situation Economique : Bilans et Perspectives. Les M.A. ANEP. 1992, pp.399-412.
2- AMAR, A., "Beni-Saf : Pêche, une arrêté dans la gorge". Nation. Algérie-Actualité, N°1183 du 16 au 22 juin 1988, Pp.3-5.
3- AUBERT. V ; Work and structural setting : the interplay of work situation and relation ship with structurale position in Society ! In tom burns ; industrial man.; Harmoudsworth : Penquin books ; 1969 ;
4- BASSET, R., "Nedroma et les Trara". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran. Tome 20, 1901, pp.211-230.
5- BRETON Yvan, "Liens entre pêche industrielle et pêche artisanale". In Anthropologie et société. Vol. 18, N°1, 1994, pp93-106.
6- CACAUD Philippe ; Etude comparative sur la réglementation en matière de pêche maritime dans les pays de la Méditerranée occidentale participant au projet Copemed (projet Fao Copemed mai 2002).

7- CANAL, J., "Note sur une découverte archéologique faite à Nemours". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran. Tome 17, 1887, pp.334-347.

8- DELAGE.M : La vie des marins et la santé mentale des familles. Bulletin de psychologie. Tome L. n° 432

9- DRAPIER, "Les Kabyles de la région orientale de Nemours". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran. 1884, pp.741-780.

10- "Essai sur l'industrie de la pêche maritime à l'époque préhistorique dans le nord de la Berberie". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran. 1911, pp.121-128.

11- FLEURY Odette Minth ; La mesure des ressources halieutiques et le devenir de la pêche en Méditerranée ; Acte du 128ème congrès national des sociétés ; Bastia

12- GEISDOERFER, F., "La mer Coule dans leurs veines, les marins pêcheurs de la race des insoumis". In Bulletin de Psychologie. Tome L, N°432, 1997, pp.84-87.

13- GUERID, Djamel, "L'entreprise industrielle en Algérie : Les limites d'une acculturation". In Cultures d'entreprise, Oran, Edition, CRASC, 1997, pp.7-11.

14- HADDADOU El Hadi. Liaison Maritime Ghazaouet- Almeria- Espagne ; Phare. Journal Des Echanges Internationaux Des Transports et de la Logistique. N° 40 ; août 2002

15- HADJIJ Chérifa Famille : Logemen.t.propriété à Alger ; In Insaniyat.n°4 ; Oran : Edition Crasc Avril 1998.

16- JANIER, E., "Nemours et sa région". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran. 1950, pp.311-323.

17- Journée d'étude : "Financement des artisans pêcheurs et chambre de commerce d'Oran". 1984, pp.16-18.

18- Le Flotter de la Garenne, "Nemours". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran. Tome 8, 1888, pp.144-180.

19- LENOIR Remi ; La notion d'accident du travail : un enjeu de luttes ; Acte de la recherche en sciences sociales ; volume n°32/33 ; avril /juin 1980.

20- MARLINE, J., et Dorval, P., "Analyse du travail d'un équipage prise en compte de l'activité des marins pêcheurs, leur espace de travail". Le travail humain, Tome 54, N°2, 1991, pp. 220-400.

21- Méditerranée. Magazine Internationale n°01. Janvier 1999.

22- "Monographie De La Wilaya De Tlemcen. Service Des Etudes Economiques Du Traitement De L'information Et De La Gestion". (ANAT) 1998.

Moulai-Hadj.M ; The role of the family in the fishing sector ;european university institute ;florence ;italy ;2002.

23- Novela, "Le quartier d'Oran et pêcheurs". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran. 1927, pp.340.410.

24- "ODINA Sturzenegger, le mauvais œil de la lune. Ethno Medecine-Creole en Amérique de sud. ed Karthala. Paris 1999,

25- Office National des Statistiques", Annuaire Statistiques de l'Algérie. N°18, Edition 1998.

26- PIALOUX Michel ; Jeunesse Sans Avenir et Travail Interimaire ; Actes de la recherche en sciences sociales ; n° 26/27 ; mars / avril 1979

27- REBOUL ; Claude ; L'apprentissage familial des métiers de l'agriculture ; Actes de la recherche en sciences sociales ; n°39 ; septembre 1981.

28- Revue Anthropologie Et sociétés ; volume 18 ; n°1

29- Revue, "Bulletin de Psychologie". Tome L, N°432, 1997, pp.655-712.

30- Revue, Maghreb Développement Actualité, l'Agriculture et la Pêche en Algérie, N°10, 29 mai 1928, pp.5-8.

31- SARI, Djilali, "Ghazaouet: Débouché de l'Oriental Marocain". In Maghreb Machrek. Vol 60, 1973, pp.100-140.

32- SEMMOUD, Bouziane, "L'Industrialisation de Ghazaouet. Etude de Localisation Industrielle". Implication géographique. In Cahiers Géographiques de l'Ouest. N°23, 1979, pp.100-111.

33- TINTHION, Robert, "Les Trara : Etude d'une région musulmane d'Algérie". In Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie

34- WINNEFELD James J : Pourquoi les marins sont différents ? Bulletin de psychologie ; Tome L ; N°432

الفهـــرس

الفهـــــرس

الإهداء ..... أ

كلمة شكر ..... ب

المقدمة 1

الفصل الأول: الأهمية العلمية لموضع البحث 5

أولا: الأسس المنهجية 6

أ) تحديد مشكلة البحث 6

1- أسباب اختيار الموضوع 6

2- طرح مشكلة البحث 6

3- أهداف البحث 7

4- الدراسات السابقة 8

5- مصطلحات الدراسة 16

ب) الإجراءات المنهجية 19

1- مجتمع البحث 19

2- خطوات الدراسة 20

3- عينة البحث 21

4- فرضية البحث 22

5- منهج البحث 23

6- تقنيات البحث 23

- الملاحظة 24
- المقابلة 24
- الاستمارة 25
- البيوغرافيا 26

ثانيا: المكانة الحضارية للصيد البحري 26
أ) البعد التنموي للصيد البحري 26
ب) وضعية قطاع الصيد البحري والموارد الصيدية في الجزائر.. 31
ج) المسار التاريخي لممارسة الصيد البحري بميناء الغزوات 38
خلاصة 62

الفصل الثاني: السمات الثقافية والاجتماعية لفئة البحارة الصيادين 64
أولا: خصوصيات البحار الصياد 66
أ) الأصل الاجتماعي والمهني للبحار الصياد 66
ب) الخصائص السيكولوجية للبحار الصياد 72
ج) الاعتقادات عند البحارة الصيادين 76
ثانيا: نظام حياة البحار الصياد 84
أ) العلاقات الزوجية 84
ب) الأبناء 89
ج) نمط المعيشة لدى أسرة البحار الصياد 93
د) العادات والتقاليد 98
هـ) الحياة اليومية للبحار الصياد 102
خلاصة 105

الفصل الثالث: التأثيرات الثقافية وعلاقاتها بلغة وممارسة الصيد البحري 106
أولا: الإطار المعرفي واللغوي لحرفة الصيد البحري 109
أ) تسمية المناطق الساحلية 109
ب) تسمية السفن والقوارب 112
ج) طرق تنفيذ العمل البحري 121

د) وسائل العمل البحري 123
هـ) الأسماك 125
ثانيا: البعد الدلالي للتعابير الشفوية 132
أ) الصيد البحري وفضاؤه في التعابير الشفوية 132
ب) المحاور الدلالية 134
1- البحر والعيش 134
2- البحار والصيادون 139
3- الاعتقادات عند البحارة الصيادين 143
4- الأسماك وخصوصياتها 145
5- والسفن والعمل البحري 148
6- مردودية النشاط وأهميته الاقتصادية 151
خلاصة 153

الفصل الرابع: تسيير الموارد البشرية في قطاع الصيد البحري 155
أولا: الصيد البحري: الواقع المادي 157
أ) سيرورة العمل البحري 157
1- السردينيات Les sardiniers 157
2- الجيبيات Les chalutiers 159
ب) ظروف عمل الصيد البحري 160
1- الظروف الفيزيقية 160
2- الظروف المعنوية 163
3- حوادث العمل المترتبة في سفن الصيد 164
ثانيا: التنظيم البشري 165
أ) طرق التوظيف 165
ب) التكوين 171
ج) الدخل 179

د) الممارسة النقابية 184
1- العمل النقابي 184
2- التقاعد والحماية الاجتماعية 186
3- الثقافة السياسية 188
خلاصة 193
الخاتمة والنتائج 194
الملاحق 199
المراجع 210